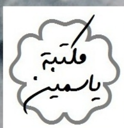
جريمة
أدب إنجليزية

الطبعة الثالثة



رواية الجريمة الأكثر مبيعًا في العالم

للكاتبة الأشهر دورثي سايرز

موت غامض



DOROTHY
L. SAYERS

ترجمة
أميرة الوصيف


بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

U N N A T U R A L   D E A T H

موت غامض

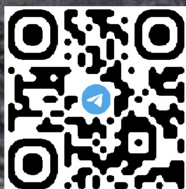
احذر ـ عزيزي القارئ ـ من الفتيات الجميلات الواثقات الثريّات؛ فقد تغدو بين ليلةٍ وضحاها ضحية لهنّ...

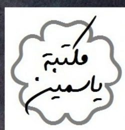
يكفي أن تتعرَّف على بطلة الرواية، وتوطِّد علاقتك بها، حتى تتحول إلى لعبة بين يديها، وسواء أَرْضَيْتَ غرورها أم لم تفعل، فأنت حتماً ضحية مُدرجة في قائمة التصفيات، والغدر، والجشع الذي يتناهبُها.

هنا، يأتيكَ الموت متنكِّراً في زيٍّ شبحٍ غير مرئي، ينقضُّ عليك بلا استئذان، ولا انتظار.. ولكن كيف؟ ولماذا؟ ومتى؟

لا تهمُّ الإجابات الآن، الأهم: أن تقرأ (موت غامض) لينجلي الغموض والحيرة من قلبكَ وعقلك.

استمتعْ، اقرأ، واتركْ لنا ملاحظاتك.

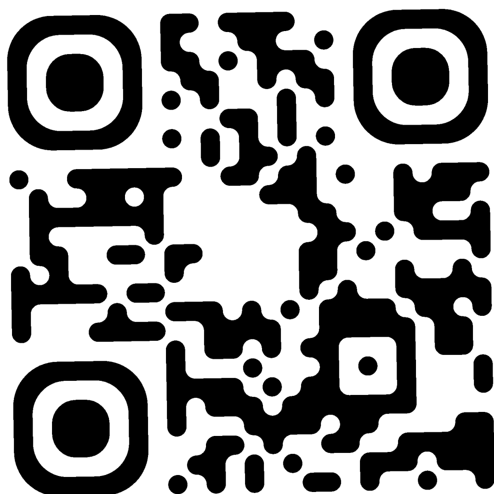







بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

@bookland.kw
bookland kw
www.booklandkw.com



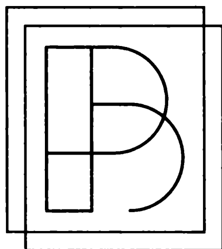


موت غامض

دورثي سايرز

ردمك: 978-1-956510-79-9





بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

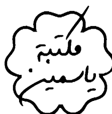
booklandkw
bookland.kw
www.booklandkw.com

موت غامض

رواية الجريمة الأكثر مبيعًا في العالم

للكاتبة الأشهر دورثي سايرز

ترجمة: أميرة الوصيف



telegram @
yasmeenbook

الطبعة الثالثة
2025

الجزء الأول
المشكلة الطبية

إنني أتساءل في ذهولٍ: كيف قبضتُ على هذا الشيء؟
كيف عثرت عليه؟ يا إلهي كيف مررت به على هذا النحوِ الغريب؟
إنني أتساءل حقًا: من أين جاء بغتةً هكذا؟
ذلك السؤال الذي يتعيَّن عليّ أن أبحث عن إجابة عاجلة له.
(تاجر البندقية)

الفصل الأول

"لقد كان الموت مُباغتًا غامضًا غير مُتَوقعٍ بكل تأكيد."
كان ذلك نص رسالة الدكتور باترسون لرئيس قلم المحكمة المسؤول عن قضية ريج.ف. بريتشارد.
"ولكن إذا كان يعتقد أن تلك المرأة قد قُتِلَت...."
"عزيزي تشارلز"، قالها الرجل الذي كان يضع نظارته ذات العدسَة الواحدة ثم أردف قائلًا:
"إن الأمر لا ينطَبِق على جميع الناس يا عزيزي، فمعظمهم - تحديدًا الأطباء - لا يُفكرون في الأشياءِ التي قد تُسَبب لهم الوقوع في المشاكل المُريعة على هذا النحو، ففي حالة السيد بريتشارد على سبيل المثال ستجد أن الدكتور باترسون قد بذلَ كل ما في وسعه من خلال رفض شهادة السيدة تايلور وإرسال هذا الخطاب المُثير للقلق بشكلٍ استثنائي عاجل إلى رئيس المحكمة المسؤول عن القضية، فهو لا يستطيع حقًا إثبات مدى حماقَة هذا الرجل، فلو أنه قد أجرى تحقيقًا مع السيدة تايلور لعلمَ أن السيد بريتشارد كان يخشى حقًا ترك زوجته بمفردها، وعلى أية حال فإن باترسون لا يملك أي دليل لتأييد حجته على الإطلاق، وإذا افترضنا حتى إنه كان مُخطئًا تمامًا، فما الذي سيحدث حينها بحقِ الجحيم؟!
"الأمر سيَّان"، قالها الشاب اليافع غريب الأطوار فجأة، والذي كان يُحاول جاهدًا استخراج فُقاعَة حلزون الكروم الدافئة من صدفتها، ثم نظر إليها بتوتر قبل وضعها في فمه:
-أجل بالطبع، إنها حالة صريحة من الواجب العام التعبير عن شكوكِ المرء

-قد يكون هذا واجبك. قالها الشخص الآخر مُضيفًا:

-لكني لا أعتقد أبدًا أن الواجب العام قد يُحتِّم عليك أن تأكل القواقع وأنت لا تُحبها. أنا لا أؤمن بذلك حقًا، وبناءً عليه لماذا يتوجَب على المرء أن يُصارع مصيرًا قاسيًا على أية حال؟أيها النادِل، من فضلك خُذ هذه القواقِع وأحضر لنا جميعًا أطباقَ المحار بدلًا منها، قالها ثم واصَل حديثه:

-فكما قُلتُ لك يا عزيزي ربما يكون جزء من عملك أن تمتلك شكوكًا حول القضية، وأن تقوم باستدعاء التحقيق، وحينها ربما تُثير الجدل لدى الجميع بشكلٍ عام، حتى إنكَ إذا أخطأت في الحُكم على أمرٍ ما لن يتحدث الناس عن هذا، فأنت قبل كل شيء ضابط دؤوب جاد ذكي مُتَحمس بعض الشيء لكن الأطباء! هؤلاء المساكين يتوخَّون الحَذر بشكلٍ أبدي أثناء إشرافهم على تلك التحقيقات أو الملفات الجنائية، فالناس بشكلٍ عام لا يميلون إلى استدعاء شخص كل ما يشغله هو الإشارة إلى أصابع الاتهام بوجود جريمة قتل. إنهم يتجنبون بدورهم أمرًا كهذا حتى لا يَتسَبب في إثارة موجة - حتى وإن كانت صغيرة - من الاستفزازات.

-أستَميحكَ عُذرًا، قالها الشاب ذو الوجهِ النَحيل مُستديرًا بغتةً، والذي كان يجلس بمفرده خلف الطاولة المُجاورة لهم.

-أعرف جيدًا أنه من الوقاحَة أن أقوم الآن بمُقاطَعة حديثكم هذا، ولكن كل كلمة تفوَّهتم بها صحيحة للغاية، فأنا شخصيًا خير شاهِد على صدق هذا الكلام ومدى واقعيته، فأنا ذلك النموذج للطبيب الذي يعتمد بشكلٍ رئيسي على خيالاتِ مرضاه وأحكامهم المُسبَقَة إلى حَد لا يُمكنكم تَصوره، بينما يتذمر هؤلاء المرضى ويستاؤون من أقل الإجراءاتِ والتدابير الوقائية.. فإذا تجرأتُ يومًا على سبيل المثال وقمتُ بتقديم طلب تشريح جُثَة أحدهم

فإنهم سوف يثورون غضبًا وسيحاربون تلك الفكرة، وستجدهم أيضًا يرفضون بشكلٍ قطعي العَبث بأجسادِ الموتى المساكين. وهكذا حتى إنكَ إذا طلبتَ منهم الإذن في التحقيق بشأن أحد تلك الأمراض الغامضة المجهولة التي تدخل في نطاقِ اهتماماتك البحثية، سوف يتوهمون أنكَ بهذا الدور تُلَمِّح إلى شيءٍ ما غير سار، وبالطبع إذا سمحتَ للأمور أن تسير في مسارها الطبيعي بشكلٍ عادي، ثم اتَّضح بعد ذلك أنه قد تمَّ استخدام بعض الحيل، ستجد قاضي التحكيم الجنائي يقبض على حلقكَ مُضيِّقًا الخِناق عليك، كما أن الصحافة بدورها ستجعل منك أضحوكة. وبغضّ النظر عن تلك الطريقة التي سيتم استخدامها ضدك في تلك الحرب، إلا أنك سوف تتمنى من أعماقكَ حقًا أنك لم تُولَد أصلًا!

-إنك تتحدث من واقع تجربتكَ الشخصية وشعورك الخاص ياعزيزي!، قالها الرجل الذي كان يضع عدسة نظارة واحدة مُبديًا الكثير والكثير من الاهتمام بشأن هذا الموضوع المُثار.

-أجل، قالها الرجل صاحب الوجه النَحيل بنبرةٍ تَعاطُف واضحة

-فلو أنني تصرَّفت في هذا الموقف الحَرِج كأي شخص في هذا العالم بدلًا من تَقمُّصي دور "المواطن المُتَحَمِس" لما كنتُ الآن أبحث بدوري عن وظيفةٍ جديدةٍ اليوم!

حدَّق الرجل صاحب العدسة الواحدة بمطعم السوهو بابتسامة غائمة فاترة مُتأملًا أرجاءَ المكان حيث كان الرجل البدين الجالس إلى جوارهم من ناحيةِ اليمين يتسلّى مع سيدتين من الجوقَة الموسيقية التي كانت نساؤها تجلسن حول الطاولة الأخرى خلفهُ. لقد كشفَ المشهد أيضًا عن مُشاركة السيدات العجائز لطعامهنَ، حيث أبدينَ كامل إعجابهن بمجموعة من

الأطباقِ الفرنسية التي قدَّمها النادِل، تحديدًا طبق الحساء الفرنسي الذي كان هذا المطعم يتميز بإعداده على نحوٍ شهي مُمتاز. أضِف إلى ذلك أيضًا زجاجة نبيذ موتون الذي تمت صناعته في عام 1916. كما جلسَ في الجانب الآخر للغرفة رجل ريفي وزوجته وقد بدأ كلاهما بمُطالبة النادل بتقديم وجباتٍ مُنفصلة لهما بطريقةٍ طفوليةٍ ساذجة، فقد طلبت السيدة عصير الليمون كما أرادَ الرجل تناول الويسكي والصودا، ومن ناحيته كان السيد صاحب الشعر الفضي يجلس خلف المنضدة المُجاورة يطلب بإرهاقٍ بالغ من النادل تحضير طبق سلطة تأهُبًا لاحتفالٍ عائلي، والذي لم يكن يفكر في أي شيء إضافي آخر خلال تلك الليلة بعيدًا عن تقديم بعض التعديلات اللطيفة التي تخص أطباق الثوم والأعشابِ المفرومَة. قامَ نادل المقهى الرئيسي بفحص طبق سمك السلمون المُرَقَط ثم قدَّمه للسيد صاحب العدسة الواحدة وكذلك لرفيقه، ثم انسحبَ وتركهم في حالة من الخصوصية يبحث عنها الناس البُسطاء في مقاهي الشاي اللطيفة لكنهم نادرًا ما يجدونها.

-في الواقع أشعر وكأني أمير فلوريزل من بوهيميا. قالها الرجل صاحب النظارة ذات العدسَة الواحدة مُضيفًا:

-أنا واثق بأنك يا سيدي تمتلك قصة مُثيرة للاهتمام ترغب بشدة في أن تحكيها لنا، وسأكون مُمتنًا لكَ جدًا إذا أمتعْتنا بسرد أحداث ووقائع قصتك تلك. أتصَّور أيضًا أنك قد أنهيت عشاءكَ، وعلى هذا فقد يكون من غير اللائق بالنسبة لك أن تترك طاولتك وتنضم إلينا لتحكي لنا قصتك أثناء تناولنا الطعام. اعذرني حقًا يا سيدي فتعاطفي مع قصتك كبير وصادق جدًا في حقيقة الأمر.

-لا تكن أحمقَ يا بيتر. قالها الرجل الآخر غريب الأطوار.

-إن صديقنا أكثر عقلانية مما تعتقد. قالها مُضيفًا مُتأملًا وجه الرجل الغريب:
-وإذا كان هناك أي شيء تريد الإفصاح عنه وإزاحته عن صدرك، فعليك أن تتأكد إذن أن هذا الشيء لن يذهب إلى أبعد من ذلك، عليك الوثوق بِنا.
ابتسمَ الرجل الآخر مُتجهمًا قليلًا وقال:
-سوف أسرد لكم تفاصيل تلك الحكاية إن كان هذا الأمر لن يُسَبب لكم الإزعاج والضيق، فأنا مجرد مثالٍ توضيحيٍّ على ذلك، هذا كل ما في الأمر.
-من جانبي أؤكِّد لك ذلك. قالها الرجل الذي يُدعى بيتر مُواصلًا حديثه:
-هيا امضِ قُدُمًا وتناولْ من فضلك شيئًا ما برفقتنا، فإنه لأمر شديد البؤس والمرارة ألا يبتهج قلب المرء قليلًا. كما أنني أُحَفزك على أن تبدأ سرد تفاصيل قصتك منذ البداية إذا سمحت، فأنا أحد أصحاب تلك العقول البسيطة التافهة، كما أن التفاصيل تُبهجني للغاية والتداعيات تسحرني، لا مشكلة لديّ أيضًا في الإطالة فلا يُمكننا رفض عرض معقول مُغرٍ، كما أني واثقٌ أن رفيقي تشارلز يؤيدني في ذلك بدوره.
-حسنًا، قالها الرجل الغريب مُتابعًا:
-لنبدأ قصتنا منذ البداية، فأنا رجل أمتهنُ الطب وأهتم تحديدًا بموضوع السرطان، ولقد تمنيتُ حقًا تمامًا كما معظم الناس أن أتخصص في هذا الموضوع، ولكن لم يكن لديّ المال الكافي عندما أنهيتُ اختباراتي التي تسمح لي بالاستقرار في ميدان عملي البحثي. وقد تعيَّن عليَّ القيام بممارسة تدريبية في المنطقة لكنني بقيتُ على تواصل مع أهم الرجال هناك آملًا بالعودة إلى ذلك الموضوع يومًا ما، ويمكنني القول إنني قد حصلت على بعضِ الدعوات الكريمة من أحد الأشخاص، وقد تمَّ الاتفاق أيضًا على أنه من الجيد أن أبدأ رحلتي العملية كمُمارس عام لمهنة الطب حتى أتمكن من تحصيل خبرة شاملة

والتي من شأنها توسيع آفاقي المعرفية في هذا الحقل، وألا تكون قاصرةً على اتجاهٍ واحد.

-بناءً على ذلك فعندما حصلت على برنامجي التدريبي القصير في بلدة... في الواقع إنني أُفَضِل هنا ألا أذكر اسم البلدة الحقيقي فلنسمِّها البلدة "إكس" الواقعة أسفل هامبشير، والتي هي قرية صغيرة محدودة المساحة متواضعة الحال يعيش فيها حوالي 5000 شخص. لقد سُررت حقًا لعثوري على حالة مريضة سرطان هناك وسط قائمة المرضى الخاصة بي، لقد كانت حالة امرأة عجوز...

-منذ متى كان ذلك على وجهِ التحديد؟، قاطعه بيتر بسؤاله المُباغِت

-منذ ثلاثة أعوام. في الواقع لم يكن بمقدوري تقديم أية مُساعدة طبية لتلك الحالة، فلقد كانت السيدة في الثانية والسبعين من عمرها، كما أنها قامت بإجراء عملية واحدة فقط، وعلى الرغم من ذلك فإن المرأة العجوز كانت تمتلك روح تلك الطفلة المُحِبَة للحياة، ولهذا فقد قاتلت بشراسَة من أجل استعادة صحتها، ومع أنها لم تكن حقًا نموذجًا للمرأة التي تتمتع بقوةِ الفِكر أو قوة الشخصية، الأمر الذي ظهرَ جليًا من خلال تعاملها مع الآخرين لكنها كانت عنيدة جدًا بالإضافة إلى امتلاكها قوة إرادة تُحفزها على ألا تموت وتُغادِر عالمها هذا.

لقد عاشت بمفردها برفقة ابنة أخيها والتي كانت شابة يافعة تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها، وقبل ذلك كانت تعيش مع سيدة أخرى عجوز وهي عمة الفتاة سابقة الذكر والتي كانت تنتمي إلى القسمِ الآخر من العائلة، وقد كانت صديقتها المُقَربَة منذ أيام المدرسة. وعندما ماتت العمة جاءت الفتاة والتي كانت قريبة السيدة العجوز الوحيدة حينها، ثم استقالت من وظيفتها كممرضة في المشفى الملكي المجاني لتعتني بتلك الضحية: مريضتي.

جديرٌ بالذكر أن الفتاة عاشت مع تلك السيدة العجوز قبل عام في تلك البلدة "إكس" من توَلِّيَّ مهمة التدريب العملي هناك في تلك المنطقة. أتمنى أن أكون قد وضَّحت موقفي لكم.

-تمامًا، ولكن أخبرني هل كان هناك مُمرضة أخرى سوى تلك الفتاة؟

-لم يحدث هذا نهائيًا خلال تلك الفترة، حيث إنَّ المريضة كانت تمتلك القدرة على التَجول في الأرجاء وزيارة المعارف والأقارب، وتقوم ببعضِ تلك الأعمالِ المنزلية الخفيفة، كأن تهتم بالزهور والحياكة والقراءة وكذلك قيادة سيارتها لفتراتٍ زمنية قصيرة. في الواقع لقد كانت تقوم بكل تلك الأشياء التي تُفضِّل السيدات العجائز القيام بها بأنفسهن بغية تَمضية الوقت، كما أنها كانت تُعاني آلامًا شديدة خلال بعض الأيام السيئة من آنٍ إلى آخر، لكن فترة تدريب ابنة أخيها كانت كافية لتجعلها قادرة على القيام بكلِ تلك الأشياء الضرورية.

-كيف كانت ابنة أخيها؟

-في حقيقة الأمر لقد كانت فتاة لطيفة مُتَعلمة ومُثقفة، تتمتع بصحةٍ جيدة كما أنها كانت أكثر عقلانية من عمتها، كما أنها كانت ذكية رقيقة تُجيد الاعتماد على نفسها في كل شيء تقريبًا. إنها تبدو تمامًا كما نموذج الفتاة العصرية المُفعمة بالحيوية واليقظة، ذلك النوع الذي يُمثل المرأة التي باستطاعتها الحفاظ على يقظتها وعدم نسيان الأشياء. ومع مرور الأيام تطوَّر المرض على نحو أشد بؤسًا، تلك النتيجة التي أعادت السيدة العجوز إلى نقطة البداية من جديد، حيث باتَ من الضروري إجراء عملية جراحية أخرى. حدثَ ذلك منذ أن كنت في البلدة "إكس" منذ ثمانية أشهر، حيثُ اصطحبتُها برفقتي إلى لندن وأخذتها لأعرضها على أستاذي ورئيسي السير واربرتون جيلس.

وعلى الرغم من أن العملية قد تمت بنجاح إلا أن ذلك قد حدث بعد أن تضرَّر العضو الفاعل نفسه وتعرَّض إلى كثيرٍ من الاعتداءات السابقة، مما جعل النهاية مسألة وقت فحسب. أعتقدُ أنني لا أحتاج لأن أخوض في المزيدِ من التفاصيل التي تتعلق بتلك النقطة. لقد بذلنا كل جهودنا من أجل خدمة تلك السيدة، وقد أردتُ أن تبقى في المدينة تحت رعاية واهتمام السير واربرتون لكنها عارضت ذلك بشدة، فلقد اعتادت على نمطِ الحياة الريفية، ولم يكن بمقدورها الشعور بالسعادة إلا في منزلها الخاص. وعلى هذا فقد عادت إلى بلدتها "إكس"، وحينها تمكَّنت من جعلها قادرة على القيام بعددٍ من الزياراتِ الطبية للمراكز العلاجية الأقرب حتى تحظى برعاية طبية ممتازة من وقتٍ إلى آخر. لاحقًا تصاعدت تطورات تلك العملية التي قامت بإجرائها حتى إنها اضطرت إلى فصل ممرضتها السابقة والسير على نفس تلك الخُطى القديمة لتكون تحت رعاية ابنة أخيها.

-لحظة واحدة أيها الطبيب، قالها الرجل الذي يُدعى تشارلز مُضيفًا:

-لقد قلت إنكَ قد أخذتَ تلك المرأة العجوز إلى السير واربرتون جيلس في لندن وهكذا، فهل معنى ذلك أن مريضتك تلك كانت ميسورة الحال من الناحيةِ المادية؟

-أجل، لقد كانت سيدة ثرية جدًا.

-وهل عرفتَ إن كانت قد قامت بكتابة وصية أم لا؟

-لا، أعتقدُ أنني قُلت إنها كانت تنفر بشدة من فكرةِ الموت نفسها. لقد كانت ترفض بشدة أن تقوم بكتابة وصيتها لأن التفكير في تلك الأمور كان يُربكها جدًا ويُغضبها. لقد تجرأتُ مرة على التحدث في هذا الموضوع بشكلٍ تلقائي قبل أن تخضع لإجراء تلك العملية بفترةٍ قصيرة، ولكن نتيجة ذلك كانت

بالغة السوء حقًا. كما أنها قالت بالحرفِ الواحد إن الحديث عن ذلك الأمر مسألة غير ضرورية بالمرة، ثم نظرت إلى ابنة أخيها مُضيفةً:

-فأنتِ ياعزيزتي تمثّلين كل أهلي وأقاربي في هذا العالم بأسره، وكل ما أملك سيكون لكِ يومًا ما مهما يحدث. كما أنني أثِق تمام الثقة أنكِ سوف تتذكرين خدَمي وبعض المؤسسات الخيرية الصغيرة حينها، وعلى هذا فأنا لا أُصِر على كتابة وصيتي على الإطلاق.

-إنني أتذكر كل ذلك جيدًا، فقد قالت السيدة تلك الكلمات قبل فترةٍ وجيزة من بدء أحداث قصتنا، تلك الكلمات التي لا علاقة لها بالمضمون.

-من فضلكَ يا سيدي، اسردْ لنا كل التفاصيل، قالها بيتر

-حسنًا، في واقع الأمر قبل الحادثة بفترةٍ زمنيةٍ قصيرة ذهبتُ إلى منزل مريضتي تلك ووجدتها في حالة غير جيدة على الرغم من أنها لم تكن هكذا قبلها بأيام وقد زادت عصبيَّتها على نحوٍ ملحوظ، وعندما سألتُ ابنة أخيها عن السبب أجابتني أنها تتصرف بتلك الطريقة منذ أن كان مُحاميها هنا-كان مُحاميها الخاص قادمًا من بلدتها الأصلية ولم يكن أحد مُحامي المنطقة المحلية- لقد أصَرَّ الرجل على إجراء مقابلة خاصة مع السيدة العجوز، وفي نهاية ذلك اللقاء شعرت المرأة بالغضب والهياج والانفعال الشديد، وصرَّحت بغتةً أن الجميع يتآمرون عليها ويخططون لقتلها قبل أن يحين أجلها! لقد رحلَ المُحامي أيضًا بشكلٍ مُفاجىء قبل أن يترك تفسيرًا منطقيًا لابنة أخيها، لكنه أكَّد لها أنه متى ما أرادت عمتها رؤيته في أي وقت فعليها أن تُرسِل إليه، وحينها سوف يأتيها في الحال سواء أكان ذلك نهارًا أو ليلًا.

-وهل أرسلتْ إليه يومًا؟

-كلا! فلقد شعرت السيدة العجوز بالانزعاج الشديد لكونها تتعامل مع

هذا الرجل! حتى إن آخر عمل قامت به هو إنهاء وسحب كل أوراقه منه نهائيًا وأرسلتْها على الفور إلى مُحامي البلدة المحلي. استمرَّ الحال على هذا المنوال حتى تقرَّر إجراء عملية جراحية ثالثة لها، وبعد ذلك أصبحت المرأة أكثر وهنًا وضعفًا بشكلٍ جَلي وأُصيبت بالدوار وباتت غير قادرة على فهم أي شيء يتسم ببعضِ التعقيد، الأمر الذي جعلها تشعر بالمزيدِ من الألم بخصوص أعمالها، وعلى الجانبِ الآخر كانت ابنة أخيها تمتلك توكيلًا، وقد شرعت فورًا في إدارة أموال عمتها بشكلٍ تام.

-متى كان ذلك؟

-في إبريل عام 1925، في الواقع لقد تمتعت السيدة بالكثيرِ من الحيوية والقوة خلال تلك الفترة، فقد استعادت قوتها البدنية تدريجيًا وعلى نحوٍ بارز، كما أنني كنت أُراقِب حالتها عن كَثَب وأشرع في تطبيق كل الوسائل العلاجية الحديثة، ومن ثَم يمكنني الحصول بالفعل على نتائج مُذهلة لا تُخطئها العين، لقد أدهشتْنا النتائج حقًا! فما وجدناه لم يكن مُتوقعًا.

-يتعيَّن عليّ القول أننا خلال تلك الفترة كنا نبحث لها عن ممرضة أخرى إضافية، فلم يكن بمقدور ابنة أخيها القيام بالمهام النهارية والليلية معًا. وصلت المُمرضة الأولى في شهر إبريل والتي كانت فتاة شابة ساحرة تتمتع بصحةٍ مُمتازة فقد كانت نموذجًا للممرضة المثالية، تلك التي وضعتُ فيها كامل ثقتي للاعتماد على جهودها فيما يخص رعاية المريضة.

لقد تمَّ ترشيحها لي من جانب السير واربرتون جيلس، ومع أن عمرها لم يتجاوز الثامنة والعشرين إلا أنها كانت تمتلك حكمة امرأة بضعف عمرها، ناهيك عن تلك السُلطَة التقديرية التي كانت تتمتع بها. يمكنني القول إنني أصبحت مُتعَلقًا بها شيئًا فشيئًا وكذلك كانت هي بالنسبة لي.

لقد قمتُ بخطبتها لاحقًا وتمنينا أن نتزوج هذا العام إلى أن وقعَ ذلك الحادث الملعون المُنذِر بالشؤم.. قالها الطبيب مُتعضًا، ثم نظر إلى تشارلز بفتور والذي كان يُتَمتم قائلًا:

-يا للحظ السيئ!

-لقد كانت خطيبتي أيضًا مُهتَمة بشدة بحالة تلك المريضة، ويرجع ذلك جُزئيًا إلى أنني المسؤول عن الإشراف الطبي عنها، وجزء آخر يعود إلى اهتمامها البالغ بالمرضِ نفسه، لقد وهبت نفسها لمساعدتي على تحقيق كل الجهود اللازمة، وتأهبت لَمد يد العون لي في حياتي العملية، فقط إذا أُتيحت لي الفرصة بغية إنجاز كل أهدافي في هذا المجال المُحَدد، وعلى هذا فقد استمرت الأوضاع على هذا النحو حتى شهر سبتمبر الجاري. شيئًا فشيئًا ضعفت القدراتِ العقلية للمريضة وبدأت تتخيل أمورًا لا أساس لها من الصحة، والتي حفَّزتها بدورها على القيام بأشياءٍ معينة. فلقد ظنت السيدة أن الممرضة الجديدة أيضًا تُريد قتلها! تمامًا كما كانت تظن أن المُحامي يود القيام بذلك! حتى إنها أكدت لابنة أخيها أنها قد تعرضت إلى التَسَمُم. ليس هناك أدنى شك أنها قد أرجعت شعورها بالألم إلى هذا السبب! فلقد كانت المنطقية شيئًا عبثيًا لا طائل منه بالنسبة إليها. لقد بكت ورفضت أن تسمح للممرضة بالاقتراب منها. لم يكن هناك أي سبيل آخر للتعامُل مع هذا الموقف سوى أن يتم التخلص من المُمرضة، ذلك الأمر الذي لم يعُد بأي نَفع على المريضة على الإطلاق. أرسلتُ بدوري خطيبتي إلى المدينة مُجَددًا ثم أجريت اتصالاً بعيادة السير واربرتون لإرسال مُمرضة أخرى إلى المنزل. وقد وصلت المُمرضة بالفعل في اليوم الثاني وكانت ثاني أفضل خيار كما توقعتُ، الأمر الذي أقلقني من أن تلقَى نفس الرفض من جانب المريضة، لكنها كانت مُتحمسة جدًا للقيام بمهمتها على

أكملِ وجه مهما كانت الصعوبات ولم تعترض السيدة العجوز على ذلك، رغم تحسُن الأوضاع العامة نسبيًا إلا أنني بدأتُ أرى بنفسي تلك الصعوبات التي تُعانيها ابنة الأخ، تلك الفتاة المسكينة التي كانت تقضي لياليها الطويلة في خدمة عمتها العجوز والتي كانت تعمل تحت ظروفٍ ضاغطة مُربِكَة. إنني أظنّ أنها قد رأت أن عمتها امرأة قاسية سيئة جدًا، وعلى الرغم من تعاملها الخَشِن معها يومًا بعد يوم إلا أن العجوز بدأت تُكافح مرضها بكل بسالَة، فلم يكن هناك أي داعٍ للقلق بشأن حالتها الصحية في تلك الفترة، لكن الفتاة لم تكن راضية عن ذلك. وفي أحد صباحات نوفمبر هرعت إليّ في مُنتصف الليل وأخبرتني أن عمتها تحتضر.

-عندما وصلتُ وجدت المريضة تتألم بشدة لكنها لم تكن في خطرٍ حقيقي، وطلبتُ من الممرضة أن تُعطيها حُقنَة مورفين، كما أني منحت الفتاة جُرعَة من البروميد وأخبرتها أن تذهب إلى النوم مُباشرةً وألا تقوم بأي مجهود خلال الأيام القليلة القادمة.

-فحصتُ المريضة جيدًا في اليومِ التالي وتيقنت أنها تُبلي حسنًا؛ حيث كان قلبها قويًا ثابتًا كما أن صحتها بدأت تتحسَن على نحوٍ واضح، وتراجَع المرض بصورةٍ جلية غريبة.

-اعتذرت الفتاة لاحقًا عن اضطرابها المُتزايد ليلة أمس وأكدت أنها ظنَّت حقًا أن عمتها كانت تحتضر! أكدتُ لها عكس ذلك تمامًا حتى إنني أقسمتُ لها أن حالتها الصحية الراهنة تؤكد أنها ستعيش لخمسة أو لستة أشهر إضافية! فكما تعرفون في حالاتٍ كهذه يتوجب على المرء أن يتحدث بكل أريحية وعدالَة. لقد قلت لها:

-على أية حال يا آنستي لا أريدكِ أن توتّري نفسك لفترةٍ أطول، وعليكِ أن

تعلمي أنه عندما يأتي الموت يكون بمثابَة راحة لصاحبه من أية مُعاناة.

-أجل، قالتها مُضيفةً:

-يا عمّتي المسكينة! أخشى أن أكون أنانية جدًا، لكنها هي قريبتي الوحيدة المُتبقية على قيدِ الحياة في هذا العالم الواسع!

-بعد ثلاثة أيام أخرى وبينما كنت أجلس في مكتبي تلقَّيت رسالة هاتفية تقول:

"احضَر فورًا؛ لقد ماتت المريضَة!"

-يا إلهي الرحيم!، صاحَ تشارلز في دهشة

-الأمر في غاية الوضوح يا سادة، قالها بيتر، لكن صديقه قاطعهُ ساخرًا:

-اصمت يا شيرلوك هولمز! فقصة الطبيب ليست واضحة على الإطلاق، على النقيض فهي أبعد ما تكون عن ذلك! فهي لا تبدو كهدفٍ محدَّدٍ للتصويب، لكنني ألاحظ أن النادل يحوم حولنا في عدم ارتياح بينما يقوم زملاؤه بجمع كراسي المقهى وترتيبها وحملها بعيدًا. هل تودُّ المجيء معنا لاستكمال قصتك في شقتي؟ يمكنني أن أقدِّم لك كأس نبيذ مُدهِش. هل ستأتي؟رائع! قُم باستدعاء سيارة أجرة أيها النادل! إلى شارع110 بالقرب من محطةِ بيكاديللي.

الفصل الثاني

"أستدلُّ على وجود شيءٍ خبيث، عندما أشعر بوخزِ إبهامي."

ماكبِث

كانت ليلة نيسان صافية وباردة، كما أنها شهدت وجود تلك القطعة الخشبية المقطوعَة من جذوعِ إحدى الأشجارِ والتي كانت تتوهَج في إحدى زوايا الموقد بهدفِ التدفئةِ. هناك أيضًا عدد كبير من رفوفِ الكتب التي تُزيّنها أربطة الأغلفة الطرية اللامعة التي تتلألأ أسفل ضوء المصباح.

ثمة بيانو ضخم مفتوح والذي يبدو وكأن أحدهم قد قام بحشوه بالوسائد وزوَّده بهذا الكرسي ذي الذراعين. لقد كان المشهد مهيبًا مُخيفًا بعض الشيء.

وضعَ الخادم المُخلص أكواب النبيذ المُعتَّقَة على الطاولة الإنجليزية الطابع، تلك التي تشتمل على مجموعة كبيرة من الأطباقِ قرمزيةِ اللون ورسوم لببغاء أصفر وزهور الأقحوان التي تُغطي سطحها وتلمع من الزوايا المُظلِمَة.

كان الطبيب قد قَدَّمَ لتوِّه افتتاحيته الجمالية لسرد القصة، ثم أضافَ لَفتةً أدبية وكأنه يبحث عن مقادير تلك الدراما البشرية، وفي تلك اللحظة التي دخلَ فيها الخادم مرةً ثانية قال:

-لقد اتَّصل بك المُفَتش سوج يا سيدي، ولقد تركَ لك رسالة تقول إنه من الأفضل إذا هاتفتَه على الفور وقت وصولك إلى المنزل.

-حقًا؟ هل اتَّصل السيد سوج؟ حسنًا، من فضلكَ اتَّصل به الآن. إن مكالمته تتعلق بشركة وربلشام يا تشارلز. لقد أفسَد سوج الأمر كما هي العادة! من المؤكد أنَّ الخبَّاز لديه حجَّته الخاصة التي تمنعه من إتمام عمله، أنا واثق جدًا من ذلك. حسنًا، مرحبًا! هل أنت معي أيها المُفَتِش؟ ما الذي يتعيَّن عليَّ إخبارك

به؟ أجل، ما أردتُ قوله إنه يتوجَّب علينا أن نُعدم ذلك الروتين الخانِق. والآن استمع إليّ: ينبغي لكَ أن تجد الحارِس حتى وإن كان في منطقةِ الرمال. أرجوك افعل ذلك؛ فأنا أعتقد أنك إذا قمتَ بهذا وتحدثت إليه سيأتي. أنا متأكد من ذلك بالطبع. وإذا لم يستجبْ لدعوتك أخبره أنك تعرف مكانه بالفعل، وإذا تذمَّر أخبره أنك ستُرسِل إليه عصابَة تقوم بتحويل مسار الأحداث، حسنًا لنكتفِ بذلك القدر، وأخبرني بما آلتْ إليه الأمور لاحقًا.

وضعَ الرجل سماعة الهاتف أرضًا ثم قال:

-اعذرني أيها الطبيب، فلقد كان يتعين عليّ إنهاء تلك المهمة البسيطة التي تتعلق بالعمل، والآن أرجوك امضِ قُدُمًا، ماذا حدث لاحقًا بعد أن ماتت السيدة العجوز؟ هل ماتت أثناء نومها كما أظن؟ أتخيَّل أنها قضتْ نحبها في حالة تامة من السلام تمامًا، بتلك الطريقة المُرَتَبَة الأنيقة المثالية من دون مُعاناة أو ألم، من دون نزيف أو أية أعراض واضحة، لقد ماتت بطريقةٍ طبيعية أليس كذلك؟

-بالضبط، لقد تناولت الطعام في تمام الساعة السادسة صباحًا-بعض الحساء وحلوى الحليب - ثم أعطتها الممرضة حقنة المورفين في تمام الساعة الثامنة، وقد خرجت مُباشرةً من أجل إحضار بعض أوعية الزهور لوضعها على طاولة الدَرج الصغيرة المسائية، لكن الخادمة عادت إليها لتتحدث عن بعضِ الترتيبات التي تخصّ اليوم التالي. وبينما كانتا تتحدثان صعدت ابنة الأخ إلى الغرفة وبقيت لدقيقة أو لدقيقتين، ثم صرخت قائلةً:

-أيتها المُمرضة! أيتها المُمرضة!

هرعت الأخيرة إلى داخل الغرفة، ووجدت المريضة ميتة!

-بالطبع أول ما خطَر ببالي أن موتها جاء بسبب تناول جُرعَة زائدة من

المورفين والتي أدت إلى تلك النتيجة ولكن...

-بالطبع لن تؤدي الجُرعَة إلى موتها بهذه السُرعة

-كلا، لكنَّني اعتقدتُ أنها ربما دخلت لتوّها في غيبوبة طويلة المدى، وفي حقيقة الأمر لقد تمكنَّا من دحض هذا الاحتمال لاحقًا، فقد أكدت لي الممرضة أن هذا لم يحدث، كما أننا قمنا بفحص كل حُقَن المورفين المُتاحَة لدينا. لم يكن هناك أي علامة أيضًا على أن المريضة قد حاولت أن تتحرك أو أن تُجهِد نفسها أو أنها كانت تُقاوم شيئًا ما. لقد عُثِر على طاولة العشاء إلى جوار إحدى الزوايا وكأنَّ أحدهم قد قام بدفعها، فمن المؤكد أن الفتاة كانت مُضطربة تحت تأثير صدمة رؤية جسد عمتها جُثةً هامدةً.

-وماذا عن الحساء وحلوى الحليب؟

-في الواقع لقد فكرتُ بدوري في هذا الأمر أيضًا، وليسَ لسيطرة الأفكار الشريرة على رأسي أو لافتراض نية سيئة، لكن الفكرة خطرت على ذهني وتساءلت إن كانت قد تناولت الكثير من الطعام فأُصيبت مثلًا بانتفاخ المعدة الذي يضغط على القلب أو هذا النوع من الأمور، على أية حال عندما طُلِب مني النظر في ذلك لم يكن شيئًا مُحتَملًا، فقد كانت كمية الطعام محدودة جدًا، كما أن ساعتين هي فترة زمنية كافية لإتمام عملية الهضم. فلو كان هذا هو السبب الحقيقي لكان الموت قد وقع في وقتٍ أبكر. شعرتُ بالحيرة الشديدة وكذلك كان الحال مع المُمرضة. لقد كانت مُضطربة جدًا.

-وماذا عن ابنة الأخ؟

-لم يكن بمقدور تلك الفتاة أن تقول شيئًا، لقد كان وضعها أصعب مما تعتقد! ولاختصارِ تلك القصة الطويلة فقد كنتُ مُنزعجًا جدًا من أن تنتهي حياة مريضتي المسكينة على هذا النحو المُربِك. وعلى هذا فقد فكرتُ في

القضية مرارًا وتكرارًا ثم طلبتُ من الطبيب الشرعي تشريح الجثة.
-وهل كان هناك أية صعوبات؟
-لم يكن هناك صعوبات حقيقية ملموسة، فقط ذلك الشعور العام بالنفورِ وبالاستياء لكن لم يكن هناك مُعارضَة جدية. لقد شرحتُ للجهاتِ المعنية أنني أثق أنه ربما كان هناك مرضٌ غامضٌ مبهمٌ والذي تسبَّب بدوره في ذلك، والذي قد فشلتُ في تشخيصه ربما! لذا فمن الأفضل أن أقوم بإجراء تحقيقٍ لأحظى بالرضا التام عن الحالة. إن الشيء الوحيد الذي أربَك الفتاة ابنة شقيق المريضة المُتوفاة هو أن يتم استجوابها في هذا التحقيق، وعلى هذا فقد تسرعتُ في القول وأخبرتُها أن الاستجواب لن يكون شيئًا ضروريًا.
-هل تعني أنكَ تقدَّمت بطلب تشريح الجُثَة هذا من تلقاءِ ذاتك؟
-أجل، في الواقع لم يكن لديَّ أي شَك أنه باستطاعتي أن أعثر على سبب منطقي للوفاة يُساعدني على إدلائي بشهادتي الطبية الخاصة. كان لديّ القليل من الحظ، كما أن السيدة العجوز كانت تُشير من آنٍ إلى آخر إلى قبولها التام وتأييدها لمسألة حرق الجُثَث، وقد تمنَّت ابنة أخيها الابتعاد تمامًا عن المشهد. لقد تطلَّبَ ذلك الأمر استدعاء شخص آخر ذي مؤهلات خاصة لتوقيع الشهادة معي. ونتيجة لذلك فقد أقنعتُ الطبيب الآخر بالمجيء وبمساعدتي على تشريح الجُثَة.
-وهل عثرتَ على شيءٍ ما؟
-لم أتمكن من التوصل إلى شيء على الإطلاق، كما أن الطبيب الآخر قد رأى أنني أحمق بما فيه الكفاية لأنني أقوم بإثارة كل هذه الفوضى، حيث كان يعتقد أن المرأة العجوز كانت لتموت في أي حالة بشكلٍ عام، فكان من الكافي جدًا أن نذكر أنها قضت نحبها بسبب إصابتها بمرض السرطان

أو بالموت المُفاجىء أو بالسكتة القلبية فلنكتفِ بذلك القدر، لكني شعرتُ بألم الضمير ولم أحظَ بالرضا تمامًا فلم يكن هناك أي علامة جسدية مادية من شأنها البرهَنَة على سبب الوفاة بشكلٍ طبيعي. صممتُ بدوري على إجراء هذا التحليل التفصيلي.

-هل كنتَ تشتبه ب.....؟

-لا ليس تمامًا لكني لم أشعر بالرضا، وعلى أية حال فقد تَبيَّن لاحقًا من خلال تشريح الجثة أنه لا علاقةَ للمورفين بالوفاة تمامًا، فقد بدأ الموت بالفعل قبل أن تبدأ الحُقنَة في إحداث تأثيرها الخاص. عندما أفكر في إيجاد تحليل لذلك المشهد أفترض أنه ربما يكون ذلك بسبب الصدمة بشكلٍ ما!

-هل أسفرَ التحقيق عن أشياءٍ خاصة؟

-أجل بالطبع، لكن مع مُراعاة السِرية فيما يخص الجنازة ومراسم العزاء، وقد سمعَ الطبيب الشرعي بتلك الاحتمالية وبدأ بالفعل في إجراء التحقيقات، كما أن الممرضة التي كانت تعمل على رعاية المريضة مؤخرًا ظنت أنني أتَّهمها بالإهمالِ أو بشيءٍ آخر، وعليه فقد تصرفت بطريقةٍ غير احترافية وأثارت بعض الجَلَبَة والمتاعِب.

-ولم يُسفِر كل ذلك عن أي شيء؟

-لم يكن هناك أي نتيجة، كما أنه لم تكن هناك أي إشارة توحي بوجود سمّ أو شيء كهذا، وقد تركَنا المُحَللون في حيرة من أمرنا تمامًا كما كُنا من قبل. لقد بدأتُ أفكر أنني قد قمت بشيء غير دقيق، وعلى عكس حُكمي وتقديري الاحترافي للموقف قمتُ بتوقيع الشهادة ودوَّنت فيها:

"سكتة قلبية تحت تأثير الصدمة"

وقد ذهبت مريضتي إلى قبرها بعد أسبوعٍ من القلق من دون استجواب.

-قبرها؟
-أجل، فقد كان هناك فضيحة أخرى، فقد سمعتْ سُلطات محارق الجُثث -والتي كانت مُحَددة جدًا بشأن عملها- عن تلك الحالة من الفوضى، وقد رفضت المُشاركة فيها، وعلى هذا فقد تمَّ وضع الجسد في باحةِ الكنيسة إذا لزمَ أمر الرجوع إليه. حضرتْ أعدادٌ كبيرة من الجماهير الغفيرة العزاء، كما أنه كان هناك حالة واضحة من التَعاطُف مع ابنة أخ الفقيدة. وفي اليوم التالي أرسلَ إليّ أحد مرضاي مُلاحظة هامة يقول فيها إنهم لم يعودوا بحاجه إلى خدماتي الطبية. وفي اليوم الذي يليه تمَّ تجاهُلي في الطريق من جانب زوجة العُمدَة. لقد أصبحتُ في نظرهم مجرَّد طبيب غير مُحتَرِف ينشد الإشارة بأصابع الاتهام إلى السيدة فُلانَة والسيدة فُلانة مؤكدًا على وجود جريمة قتل. في بعض الأحيان كانوا يُرَددون أنني أتَّهم شقيق عم المريضة الراحلة، وفي أحيانٍ أخرى كانوا يقولون إنني أتحدث عن المُمرضة الرقيقة التي انضمت إلى العمل مؤخرًا. لقد اتهموني بتلفيق كل ذلك لأنني أردتُ الانتقام من تلك المُمرضَة الجديدة التي حلَّت محل خطيبتي التي كانت تعمل في هذا المكان في وقتٍ سابق. ولقد اكتشفتُ شائعة أخرى تقول إن المريضة كانت على علم أنني قمتُ بعقدِ صفقة مع خطيبتي بدلًا من القيام بإنجاز مهمتي، وعلى هذا أكون قد قمتُ بقتل المرأة العجوز بدافعِ الانتقام! ولأنني كنتُ أرفض التوقيع على الشهادة كان مروِّجو الشائعات يتصاعدون في سردهم لتلك الوقائع من دون الشعور بالذنب. لقد قاومتُ بشدة لمدة عام لكن وضعي أصبح لا يُحتَمَل مع مرور الوقت، كما أن السعي لم يؤدِّ إلى أية نتائج ملموسة، وعلى هذا فقد قررتُ الابتعاد والبحث عن بداية جديدة للتخلص من مذاق المرارة الذي التصقَ بفمي خلال تلك المدة. وها أنا هنا الآن لتحقيق ذلك

الغرض، هذا كل ما في الأمر، كما أن المغزى من قولي هذا إنه لا يتعيَّن على الواحد مِنا الشعور بالفضول إزاء تلك الواجبات العامة. قالها الطبيب ثم رسمَ ابتسامة عصبية على وجهه، وعاد مُجَددًا إلى مقعده.

-في الواقع لم تعد تلك القضية تهمُّني! لم أعد مُهتمًا بأولئك الأوغاد!، قالها مُجَفِفًا كأسه.

-صدقت! صدقت!، قالها الرجل الآخر مُرَحِّبًا بضيفه

ظلَّ لبضعِ دقائق يتأمل نار الموقد مُطرقًا برأسه يُفكِر، ثم قال بغتةً:

-أتعرفون؟ في الواقع الأمر لا يقتصر على مسألة شعوري بالاهتمام إزاء تلك القضية، لكني أشعر بقوة في أعماقي أنَّ هناك شيئاً ما وراء هذا الحادث! إنني أشم رائحة الأخذ بالثأر! كل تلك الأحاسيس تجعلني أثق أنه لابد من فتح باب التحقيق بكل الطُرق! أعرف جيدًا أن هذا الشعور لن يُغادرني يومًا. أجل أنا متأكد من ذلك. لقد شعرت وكأن هناك نبرة تحذيرية عامة استشعرتها تحديدًا خلال هذا اليوم الذي حصلتُ فيه على تقييم قيمتي الضريبية، وحينها اكتشفت أنني كنت أدفع 900 دولار خلال ثلاث السنوات الأخيرة. لقد تأملتُ الموقف بكل جوانبه وإرهاصاته وقررتُ حينها الرحيل على الفور إلى بقعة بعيدة نائية. إنني دائمًا أميل بشكلٍ فطري إلى فك تلك الألغاز وحلّها على طريقتي، فحتى خلال أسفاري البسيطة من مكانٍ إلى آخر أجدُني أبدأ بحياكة خيوط المؤامرة والبحث والتحقيق، قالها بنبرةٍ تذكيرية مُضيفًا:

-إنني أعتقد حقًا أن هناك سِرًا ما وراء ذلك الحادث وهذه هوايتي اليومية، ففي حقيقة الأمر أنا لست مُستمعًا جيدًا فحسب. لقد خدعتكَ فلديّ دافع خفي وراء ذلك. قالها الرجل مُلقيًا رأسه إلى الوراء حيث برزَ فكَّه الأجوف بشكلٍ لافِت على طريقة شيرلوك هولمز.

-لقد بدأتَ تُثير شكوكي، قالها الطبيب بعد أن توقفَ لفترةٍ قصيرة من الوقت، ثم قال:
-أعتقدُ أنك اللورد بيتر ويمسي. لقد تساءلتُ لماذا يبدو وجهكَ مألوفًا جدًا بالنسبة إليّ؟! لكنه بالطبع مُختلف قليلًا عن صورتك التي تمَّ نشرها في الجرائد منذ بضع سنوات مع ملف كشف سِر غموض ريدلازيل!
-صحيح جدًا، على الرغم من ذلك فهو نفس الوجه الساذج، لكن ربما المشهد الآن أقرب إلى نَزع السلاح، ألا تعتقد ذلك؟ في حقيقة الأمر فأنا لم أختر تلك المهنة لكني أبذل قصارى جهدي فيها. أتمنى ألا يتسبب الكشف عن هويتي في إزعاجكَ أو مُضايقتك. إنني أقوم بدورٍ مُشتَرَك مع صديقي المُحَقق باركر من شرطة سكوتلاند يارد فهو مَن يقوم بالجانب الحقيقي لهذا العمل، أنا فقط أقوم بتقديم الاقتراحات وأستبعد تلك القرائن التي لا حاجة لنا بها في ملف القضية، وهكذا نتمكن في نهايةِ المطاف من إيجاد التفسير الصحيح للأمر ويهتف العالم كله في دهشة:
-يا له من حدس ذلك الذي يمتلكه المُحَقق الشاب! حسنًا أخبرني من فضلك ـــ إن كنتَ لا تُمانِع ـــ بكل ما تعرفه عن تفاصيل تلك القضية، وأرجو أن تسمح بتزويدي بأسماء وعناوين الجهات والأطراف المعنية لأحصل على فرصة النظر في تلك القضية.
فكَّر الطبيب لوهلة، ثم هز رأسه قائلًا:
-هذا لُطف منك حقًا، لكني اكتفيت من تَكَبُد العناء بسبب تلك القضية، كما أنه من غير اللائق أن أتحدث عن تفاصيل تلك المشكلة والأسماء المتورطة فيها، فإذا تسببتُ في إثارة المزيدِ من الفوضى سيؤدي ذلك إلى إرباك أهالي البلدة، وسينتهي بي المطاف كأحد أطباء السُفن السكارى في البحارِ الجنوبية

أو في أي مكانٍ آخر ممن يسردون قصص حيواتهم للناس ويتلقّون تحذيرات هائلة على الدوام. أعتقد أنه من الأفضل ألا نُشاكِس الكلاب النائمة وسوف تتحسن الأمور من تلقاء نفسها، فلن يُشَكِّل تدخُّلك فارقًا في الأمر.

-كما تُحِب، قالها بيتر ويسمي مُضيفًا:

-لكني سأفكر في المسألة مُجَددًا، وإذا خطرَ على بالي أي اقتراح مفيد سأخبرك به.

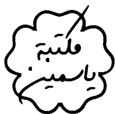
-هذا لُطف بالغ منك. ردَّ الزائر ثم أخذ قبعته وعصاه التي كان يُمسِك بها الخادم الذي أجابَ صوت قرع الجرس ومضى بهدوء.

-حسنًا طابت ليلتكم وأشكركم على الإصغاء إليّ بكل انتباه وصبر، ثم استدارَ بغتةً أثناء توجُّهه ناحية الباب وقال:

-ولكن أخبرني كيف سُتبلغني بما توصَّلتَ إليه وأنت لا تعرف اسمي ولا عنواني؟!

ضحكَ اللورد بيتر وقال مازحًا:

-أنا المُحقق هوكشو هل نسيت؟ سوف أتحدَّث إليك في نهاية هذا الأسبوع بأي طريقةٍ مُمكنة.



الفصل الثالث

"تقول الإحصائيات إنَّ عدد النساء يفوق عدد الرجال بحوالي مليوني نسمة في أرجاء مملكة إنجلترا وويلز، وهذا في حد ذاته أمرٌ مُثير للدهشة والغرابَة."
جيلبرت فرانكو

-ما الذي تعتقده حقًا بشأن تلكَ القصة؟، سألهُ المُحَقق باركر.

لقد كان قد انطلقَ بدوره لتناول وجبة الإفطار برفقةِ بيتر ويمسي، قبل الانطلاق إلى الاتجاه المؤدي إلى نوتينج، وحينها اطَّلعا على خطابٍ مُرسَلٍ من شخصٍ مجهول.

-أعتقدُ أنَّ صديقنا الطبيب شديد الثقة فيما يتعلق بتخصصه، فمن السهل أن تُصاب تلك السيدة العجوز بأزمة قلبية في هذه السن، كما أنها كانت مريضة بالفعل.

-وبناءً على ذلك أعتقدُ أن مرضى السرطان مُعرَّضون إلى ذلك، مع أنَّ هناك قلَّة منهم تجدهم يتعاملون مع المرض على نحوٍ غير مُتَوقع إلى هذا الحَد الذي يجعلك تتساءل بدهشةٍ عن مدى قدرتهم على التَشَبُث بالحياة. في الواقع لا يمكنني أيضًا استبعاد ابنة أخيها، ربما هي مَن مهَّدت لها الطريق للموت، فلقد عرفت أنها كانت تصف عمتها بأوصافٍ بالغة السوء.

-لقد اعتقدتُ نفس الشيء عندما سردَ لنا الطبيب الحكاية من وجهة نظره، ولكن ما الذي فعلته ابنة شقيقها؟ فهي في نهاية المطاف لم تضع لها السم في الطعام وكذلك لم تقم بخنقها، وإلا لكان الطب الشرعي قد عثر على علاماتٍ تُوحي بذلك في أنحاءِ جسدها، ألا تعتقد ذلك؟ وفي نهاية المطاف فقد ماتت العمة- ربما تكون الفتاة مُحِقَّة في أنَّ سبب موت قريبتها يعود إلى

خطأ طبيب شاب!

-ربما، وتَذَكَّر دائمًا أننا لا نملك إلا رؤيته الخاصة لحكاية الممرضة وابنة شقيق السيدة العجوز، وهذا لا يجوز طبقًا لقوانين التحقيق والتقصي المُتَبعة في شرطة سكوت يارد كما تعرف، فيتعيَّن علينا إذن ألا نفقد رؤيتنا الخاصة للمشهد، بالإضافة إلى أن الفتاة كانت آخر من مَكثَ مع السيدة العجوز قبل موتها، كما أن هذا ربما يُشير بدوره إلى أنها قد أعطتها جُرعة زائدة.

-أجل ولكن الطبيب الشرعي أكَّد أن هذا الأمر لم يحدث، وأنه لا علاقة للحقن بموت تلك السيدة. فإذا وضعنا هذا الأمر جانبًا ربما تكون المُمرضة هي مَن تسببت في ذلك، كأن تكون مثلًا قد تحدثت بطريقة غبية عن أمرٍ ما سَبَّب للسيدة العجوز صدمة مُباغتة، ربما كانت عصبية بعض الشيء وأربكت سيدتها من دون أن تقصد. من المُمكن أن تكون قد تحدثت معها في موضوع الموت مثلًا مما جعلها تبدو شديدة الحساسية إزاء الأمر.

-أجل! لقد انتظرتَ طويلًا حتى تصل إلى استنتاجك هذا يا عزيزي! ألم تُدرك أيضًا أنَّ ثمة شخصاً آخر مُريباً في هذه القصة؟ إنني أقصد مُحامي السيدة العجوز! ذلك الرجل الذي جاءها ليتحدث عن الوصية، ثم وقعت بينهما مُشاجرة مما أدى إلى عودته إلى الديارِ مُنهزمًا مقهورًا!

-أتَّفق معك! افترضْ أنَّ هذا المحامي كان يرغب في توقيع تلك الوصية لصالح شخص آخر مختلف تمامًا، ربما شخص من خارج تلك القصة التي نعرفها وعندما لم تنجح خطته في جذب انتباه السيدة إليه وتحقيق غرضه، فكَّر في إرسال ممرضة إلى هناك كنوع من الدعم حتى تحل محلَّه.

-يبدو الأمر حقًا وكأنه مؤامرة مُفَصلَة مدروسَة. قالها المُحَقق باركر بنبرةٍ مُتَشَككة

-أضفْ إلى ذلك أنه ما كان ليعرف أنه قد تمَّ طرد خطيبة الطبيب المُمرضة الأولى وإرسالها بعيدًا، إلا إذا كانَ مُتحالفًا مع ابنة شقيق السيدة العجوز، وحينها يكونُ قد حثَّها على توجيه مهامِّها والتصرف بذكاء حتى تلقى قبول تلك المرأة المريضة.

-في الواقع لا أوافقكَ الرأي بخصوص تلك الفكرة يا تشارلز، فابنة شقيق السيدة العجوز لن تتحالف مع المحامي لأنه سيتم حرمانها من الميراث على هذا النحو!

-لا أعرف يا عزيزي، في الواقع لديّ شعور أن السيدة العجوز كان لها أن تلقى حتفها في هذا التوقيت، سواء أكان ذلك مقصودًا أو موتًا طبيعيًا.

-على أي حال أشتبهُ أنه ربما يكون هناك جريمة قتل وراء كواليس تلك الحادثة، وعليه فإنني بحاجة لأن أُلقي نظرة على القضية. قالها ثم قرعَ الجرس.

-من فضلك خُذ هذا الجواب يا بانتر وأرسله عبر البريد، حسنًا؟

-بالطبع يا سيدي، أجابَ الخادم.

دفعَ اللورد بيتر ويمسي برسالته الورقية نحو الرجل.

-ما الذي تنوي كتابته؟، سألهُ باركر متأملًا تلك الورقة الموضوعة أمامه

كتبَ اللورد بيتر ويمسي:

"أليست الحضارة أمرًا رائعًا؟"

وقَّع بيتر رسالته البسيطة، ثم وضعها داخل مظروف ورقي وقال مازحًا:

-إذا أردت التَحرر من الرسائل السخيفة يا عزيزي تشارلز، عليك إذن التفكير بعقلية المُحَققين ورجال الشرطة، ضعْ حيلهم في رأسك دائمًا.

-إذن أخبرني ما الذي تنوي فعله لاحقًا؟، سأله باركر

-أتمنى أن تسمح بإرسالي إلى جهة مونومارك الخاصة بالتحقيقات، حتى

يُمكنني أن أحصل على اسم العميل، فلا يُمكنني القيام بتلك الخطوة من دون تصريح رسمي، وربما حينها يحصلون على معلومات قيِّمة في المقابل!
-لا، ردَّ عليه صديقه قائلًا:
-في الواقع أنا لا أؤيد أبدًا مسألة انتهاك خصوصية أسرار الاعترافات ضمن مسار التحقيقات، فلا يمكن أن أسمح بحدوث ذلك على الإطلاق تحت أي مُسَمى. ولكن عندما تُنهي كتابة رسالتك الثمينة الغامضة تلك، يمكنني أن أسمح لك بالذهاب إلى مكتب صديقة لي ولن يستغرق الأمر فترةً طويلة. أعتقدُ أنك ستكون مُهتمًا جدًا بتلك الزيارة. في حقيقة الأمر ستكون أنت أول شخص أصطحبه إلى هناك، ستكون صديقتي في غاية الحماسَة والسرور.
ضحك الرجل بثقة.
شعر باركر بالحرج والارتباك الشديدين، فعلى الرغم من أنهما كانا صديقين مُقربين إلا أن بيتر ويمسي لطالما تعاملَ مع صديقه باركر بشكلٍ أكثر تَحَفُظًا فيما يتعلق بالأمورِ الشخصية، فهو يتعمَّد إخفاءها وتجاهلها، ولكن مع هذا الكشف عن زيارة تلك الصديقة فقد أعلنَ الصديقان عن مرحلة صداقة أكثر عُمقًا وحميمية، مع أن بيتر ويمسي لم يكن واثقًا جدًا إن كانت تلك الطريقة ستعجب باركر أم لا؟
فلقد تعاملَ مع حياته تبعًا لمنهج أخلاقيات الطبقة المتوسطة التي وُلِد وتربَّى عليها طيلة فترة حياته، كما أنه يعرف جيدًا أنَّ باركر لم يُفصح يومًا عن أسرار حياته الشخصية، كما أنه لا يُفَضِّل التحدث عنها طيلة الوقت.
-إنها خبيرة جدًا فيما يخصُّ مجال التحقيقات. قالها بيتر بخجل ثم أضاف:
-إنها حقًا امرأة ماهرة جدًا، يمكننا اللقاء معًا في شقة صغيرة في بيمليكو. هل ستأتي يا تشارلز؟ أعتقد أنه يتعيِّن عليك القدوم. إنني أرغب حقًا في

استضافتكما معًا.

-أجل بالطبع، قالها باركر بسرعة

-أودُّ حقًّا المجيء، فلقد مرَّ وقتٌ طويلٌ جدًا منذ أن التقينا آخر مرة.. أقصدُ عندما قمنا بإجراء بعض التعديلات اللازمة خلال الاجتماع الأخير منذ بضعة أشهر.

-إنني حقًّا أحبُّ العمل على هذا النحو ضمن هذا الفريق، لأن هذا يجعلني أشعر بارتياحٍ أكبر. قالها بيتر ويمسي أثناء قيادته الطريق مُتجهًا إلى الناحية اليُسرى.

-الأمر ذاته ينطبق عليَّ، قالها باركر

-أجل أتفهَّمك، فالعمل يتمُّ في إطارٍ من التعاون والتفاهُم والمحبة فيما بيننا، وسترى بنفسك الآن ما أقصده حول تبادل وجهات النظر عندما نصل إلى هناك. قالها اللورد بيتر ويمسي، ثم أزاحَ البوابة الحديدية بكلتا يديه حتى يتسنَّى لهما العبور.

-إنني أرى حقًّا أن تلك القضية مُختلفة كل الاختلاف عن بقية القضايا الأخرى، حيث إنها تفتح ملفًا جديدًا من نوعه بطريقةٍ استثنائية، فإلى وقتنا هذا نحن لا نرى جديدًا تحت الشمس، وما من أدلة أو براهين يُمكننا الكشف عنها أو تسليط الضوء عليها، وكل ما يتوجب علينا القيام به الآن هو أن ننظر بعين العقل بوجهة نظر موضوعية غير قاصرة.

-أتَّفق معك؛ فالقضية هذه المرة مختلفة تمامًا عما سبق.

-تاكسي!، قالها بحيوية واضحة مُشيرًا ناحية إحدى سيارات الأجرة، ثم مضى قُدُمًا:

-إنني أعتقد أننا جميعًا كبشر بحاجة إلى منفَذ بُغية العبور إلى الجانب الآخر،

ألا تعتقد ذلك يا تشارلز؟، قالها، ثم أبلغَ السائق:
-ساحة جورج من فضلك
-لا يمكننا حقًا إلقاء اللوم على أي شخص بحاجةٍ إلى مَنفَذ. فعدم إيجاد الطريق يا عزيزي هو ما يجعلنا نشعر بكل هذه المرارة، ألا تتفق معي في ذلك الأمر؟ أعتقدُ أن تلك المسألة تنطبق بدورها كذلك على حل القضايا ومُتابعة سير التحقيقات، فمن الأفضل أن يمنح المُحَققون للناس مَنفَذاً يُمكِّنهم من اتباع بوصلتهم الخاصة والاهتداء إلى الطريق بدلًا من أن نسخر منهم في الكتب. فلا يهم في هذه الحالة مدى عذوبة وجمال اللغة إن كانت لم تمنحني المعنى الذي أتوق حقًا للبحث عنه، وهذا ما نجده ملموسًا بشدة هذه الأيام، أليس كذلك؟
اتَّفقَ معه السيد باركر، ثم شرعَ اللورد بيتر ويمسي في التسكُع بين صفحاتِ الأدب حتى توقفت سيارة الأجرة أمام أحد تلك المباني الطويلة الضخمة والذي بدا كمنزل فيكتوري مُزَود بالخدم، بينما بدت العتاقة والقِدَم جليَّيْنِ على هيكله الخارجي، تحديدًا حوافِّه الخارجية وإطاراته. قرعَ اللورد بيتر ويمسي الجرس البارز واستراحَ مُتكئًا على أعمدة الشُرفَة.
-انتبهْ؛ فالدَّرَج مُكَوَّن من ستةِ طوابق. قالها شارحًا
-تستغرق صديقتنا وقتًا أطول حتى تُجيب الجرس، فليس هناك جهة أخرى للشقة كما ترى، فليس بمقدورها أيضًا الحصول على شقة باهظة الثمن في تلك الفترة. إنها تعتقد أن المسكن الباهظ أيضًا لا يُناسبها.
ارتاحَ السيد باركر جدًا، فكم تُعجبه تلك الأجواء المُتواضعة التي تُحيط بدورها بتلك المرأة. ها هو يمشي بخُطى وئيدة واثقة شاعرًا بالاسترخاءِ التام، واضعًا قدميه عند عتبة باب منزلها لينتظر بصبرٍ.

قبل بضعِ دقائق فتحت امرأة نحيلة متوسطة العمر الباب بغتةً. تلك التي وقفت أمامهما بوجهٍ شاحِب وبأسلوب مَرِح نابض بالحياة.

كانت المرأة ترتدي معطفًا داكنًا وتنورة مُرَقطة وسُترَة ذات رقبة عالية وقلادة ذهبية طويلة، تتدلى منها مجموعة من الحُلي والزخارف، كما أنها اعتمرتْ قُبعة شبكية غطت شعرها الفضي. لقد بدت ثيابها أكثر مُلائمةً لحقبة الملك إدوارد الأخير.

-يا إلهي يا سيد بيتر! من اللطيف رؤيتك حقًا! أتمنى فقط أن تلتمسوا لي العُذر لأن غرفة الجلوس في حالةٍ تامة من الفوضى. تفضلوا. لقد أنهيت القوائم ليلة أمس. في الواقع لقد كنتُ على وشك أن أضع قُبعتي وأحضرها لك. أتمنى ألا تعتقد أنني قد استغرقت وقتًا طويلًا في إنجاز تلك المهام، فهناك الكثير من الأوراق التي كنت أعمل على تسجيلها. كان عليك الاتصال حتى أُسرِّع من إيقاع وتيرة العمل قليلًا.

-على الإطلاق يا سيدة كليمبسون، هذا هو صديقي المُحَقق باركر الذي حدثتكِ عنه.

-كيف حالك يا سيد باركر؟ أم أنه يتعيَّن عليَّ أن أُناديك بحضرةِ المُحَقق؟! اعذرني من فضلك إن كنتُ قد ارتكبت خطأ للتو، فهذه هي المرة الأولى التي أكون فيها بين يدي رجال الشرطة. أتمنى ألا تكون من الوقاحة أن أُصرِح بذلك، تعالا من فضلكما. أخشى أنكما قد صعدتما عدة طوابق. أتمنى ألا يكون ذلك قد أزعجكما، فأنا أفضِّل دائمًا السَكن في الطابق العلوي، هكذا يكون الوضع أفضل، والشكر للسيد بيتر ويمسي لأنني أحظى الآن بمنظرٍ رائعٍ بين المنازلِ المُجاورة. أعتقد أنه بمقدور المرء أن يعمل بكل حرية وإبداع عندما يشعر أنه ليس مُحتَجزًا مُقيدًا تمامًا كما قال هاملت في العمل المسرحي

الشهير. يا إلهي! ما زالت السيدة وينبوتل تترك الدلو على الدَرَج فهي تعتاد وضعه دائمًا في هذه الزاوية المُظلمة، فأنا دائمًا أتحدث معها حول هذا الأمر. إذا بقيتما مُتشبِّثيْن بسورِ الدَرَج سوف تتمكنان من تَجنُّبه بكل بساطة. يتبقَّى عتبة واحدة فقط. ها نحن ذا! من فضلكما تجاهلا تلك الحالة من الفوضى العارمة. دائمًا أرى أن أدوات مائدة الإفطار تجعل المنزل يبدو بشعًا غير مُرتبٍ، أعتذر حقًا عن فوضوية الشكل فهي غير مقصودة بالمرة، حتى إنني أتساءل دومًا ما نفع الأشخاص الأذكياء العباقرة إن لم يخترعوا لنا أطباقًا مُزودة بخاصيةِ التنظيف الذاتي؟ تفضلا بالجلوس. لن أترككما للحظة إضافية، كما أنني أعرف أن اللورد بيتر ويمسي لن يتردد في أن يُدخن غليونه بكل أريحية. أرجوك تعاملْ وكأنك في منزلك يا سيدي المُحَقق، فأنا لا أُمانِع رائحة السجائر، كما أنه يحق لك التدخين متى شئت فأنت ضيفي.

كانت الغرفة الصغيرة في غايةِ الأناقة على الرغم من ازدحامها ببعض الأدوات والزخارف والصور الفوتوغرافية التي لم تسمح بوجود أية مساحة ولو ضئيلة من الفراغِ. أما عن ذلك المشهد المُربِك الذي تحدَّثت عنه السيدة منذ قليل فقد كان يتمثل بدوره في وجود صينية وجبة الإفطار الفضية التي تحمل على سطحها قشرة بيض فارغة وكوباً مُستخدَماً وطبقاً مُتهالِكاً. حملتْ السيدة الصينية بغتةً ثم مضت على عجل مُحاولة السيطرة على كافة أعمال الشَغب، ثم دفعت بالطاولة ناحية ممَر الدَرَج. كما مضى السيد باركر بحالةِ ارتباكٍ وحيرة جليَّة، وتوجَّه بحذر ناحية كرسي ذي ذراعين تمَّ وضعه حول الطاولة الجانبية وتَثبيته بعددٍ من الوسائد الصلبة، والتي لم تُمكِّنه من الاتكاء جيدًا.

اتَّجه اللورد بيتر ويمسي إلى المقعدِ المُجاور للنافذة، وجلس يُدَخن سجائره ثم شبكَ يديه معًا أعلى رُكبتيه. نظرت إليه السيدة كليمبسون من إحدى الزوايا

الجانبية وحدَّقت في وجهه لوهلة ثم قالت:
-لقد تفقدت كل الحالات الخاصة بالقضية بحذرٍ بالغ ودقة. قالتها مُتصفحةً أوراقها الموضوعة أمامها ثم واصلت:
-أخشى أني لم أقم بتدوين الكثير من المُلاحظات، لكني حرصت كل الحرص على الكتابة بخطٍ واضح للغاية. أعتقد أنه لا توجد أية أخطاء في تلك التقارير. يا إلهي! كم هي مؤسفة تلك النسائية التي تقع السيدات ضحايا لها. لقد تمكنتُ من القيام بالتحقيق من خلال النظر إليه من جميع الزوايا، حتى إنني حصلت على مُساعدة أحد رجال الدين الصالحين-كان رجلًا لطيفًا جداً- كما أنني واثقة من أن كافة تلك القضايا التي تتلقى عونكم تكون على ما يُرام، إذا كنتم تفضلون أن أُراجِع معكم بعض المعلومات.
-ليس الآن يا سيدة كليمبسون، قالها اللورد بيتر مُقاطعًا لها بنبرة سريعة.
-أعتقد أن الأمور تسير على ما يُرام معكَ يا تشارلز، أليس كذلك؟ ما خطبك؟ هل جئتُ إلى هنا برفقة أحد أصدقائي من البُكم؟! حسنًا، سأتحدث أنا، في الواقع يا سيدة كليمبسون لقد أتينا إليكِ اليوم من أجل الحصول على دعمكِ ومساعدتكِ في قضية أخرى مختلفة بعض الشيء.
أمسكت السيدة كليمبسون بدفتر عملها، وأعارته كامل انتباهها في الحال.
-في الواقع ينقسِم التحقيق إلى قسمين، قالها اللورد بيتر ويمسي مُضيفًا:
-أعتقدُ أن الجزء الأول منه مُمِل نوعًا ما، أريدكِ أن تذهبي إلى سومرست هاوس (فقط إذا كنتِ ترغبين في القيام بذلك) من أجل البَحث عن شيءٍ هام يتعلق بتلك القضية التي نحن بصدد تفقد كافة جوانبها. أريدكِ أن تقومي بفحص كل شهادات الوفاة في هامبشير التي وقعت خلال شهر نوفمير لعام 1925. في حقيقة الأمر يا سيدة كليمبسون أنا لا أعرف اسم المدينة ولا اسم

المتوفاة، ولكن ما يتعين عليكِ البحث عنه هو العثور على شهادة وفاة لسيدة مُسِنَة في الثالثة والسبعين من عمرها مع الأخذ في الاعتبار أن سبب وفاتها إصابتها بمرضِ السرطان، وربما تجدين السبب هو الموت المُفاجىء أو سكتة قلبية أو شيء من هذا القبيل. من المفترض أنَّ مَن قام بالتوقيع على شهادة الوفاة طبيبان، كان أحدهما موظفًا طبيًا في القطاع الصحي أو ما يُمكننا تسميته بجرَّاح الشُرطَة، يعمل فيما يتعلق بتلك الشؤون الطبية المُحَددة في الورش والمصانع، وكذلك يُشرف بدوره على جدول القيام بالأعمالِ التعويضية الخاصة بالعُمال في إحدى المستشفياتِ الكبيرة، أو ربما هو شخص تمَّ تعيينه للنظرِ في تلك القضية مُباشرةً من جانب السُلطات الرسمية. إذا أردتِ الحصول على عُذرٍ ما من أجل مواصلة البحث يمكنكِ القول إنكِ تقومين بجمعِ الإحصاءات التي تتعلق بمرضِ السرطان، فما نريده حقًا هو العثور على أسماء الأطراف المَعنية بتلك القضية وكذلك اسم المدينة.

-ولكن افترض أنني عثرت على الكثيرِ من الحالاتِ المُشابهة خلال القيام بعمليتيّ البحث والتحقيق؟

-كنتُ لأتحدث لتوِّي عن هذا الجزء الآن، فلو أنكِ قمتِ ببذل جهدٍ بارزٍ ملحوظٍ وتصرفتِ بلباقتكِ وذكائكِ المعهود، لتمكنتِ من مُساعدتنا في حل هذا اللغز، فكل ما أريده منكِ يا سيدة كليمبسون هو أن تذهبي إلى تلك البلدة مجهولة الاسم وتقومي باستخدام مهاراتكِ وإمكانياتك، ولكن حاولي أن تقومي بمُمارسة الموضوع بشكلٍ طبيعي تلقائي من دون أن يظهر على أنه "استجواب"، فيمكنكِ بكل بساطة الحصول على المعلومات التي نحتاج إليها من خلال التحدث مع إحدى سيدات البلدة الثرثارات. حتى إنه يتعيَّن عليكِ أن تُتقني بدوركِ لعب دور المرأة الثرثارة. أعرف أنه بإمكانكِ إتقان

ذلك وإنجاز المهمة على أكمل وجه رغم أن هذا عكس طبيعتكِ. إنني شديد الثقة أنكِ جديرة بتحقيق الكثير من الأشياء هناك، فأهالي المنطقة ما زالوا يتحدثون عن تلك الحادثة بنوعٍ من التَشَكُك والارتياب، كما أنهم لن ينسوا تفاصيل الواقعة لفترةٍ طويلة، وسيظلون يتحدثون عنها بلؤم.

-وكيف يمكنني أن أعرف الحالة المعنية بقضيتنا تلك؟

-رائع يا سيدة كليمبسون! كنت أتوقع أن تقومي بطرح هذا السؤال، فإذا كنتِ تمتلكين الوقت الكافي الآن فبإمكان صديقي المُحَقق السيد باركر أن يسرد عليكِ تفاصيل القصة. كل ما يتعيَّن عليكِ فعله هو الإصغاء جيدًا. والآن هيا يا صديقي، ابدأ بسرد تفاصيل الحكاية.

شرع المُحَقق باركر في سرد تلك القصة التي حكاها لهما الطبيب ليلة أمس بكل تَمَهُل وجَلَد، واستمعت إليه السيدة كليمبسون باهتمامٍ واضح، ثم بدأت في تسجيل التواريخ والتفاصيل بتركيزٍ شديد. وحينها لاحظ السيد باركر استغراقها الكامل في تدوين المُلاحظات، كما أنها طرحت مجموعة من الأسئلة المهمة الثاقبة بينما تألقت عيناها بذكاءٍ. وعندما أنهى السيد باركر المُحَقق سرد القصة بأكملها كررتها السيدة كليمبسون، وقد قام بدوره بتهنئتها لامتلاكها ذاكرة قوية مُترابطة.

-لقد قالت لي إحدى صديقاتي إنني كنت لأصبح مُحامية رائعة مُتَمكنة في يومٍ من الأيام، قالتها السيدة كليمبسون ثم أضافت:

-ولكن بالطبع عندما كنت فتاة صغيرة لم يكن مسموحًا بتعليم الفتيات، لم يكن هناك أيٌّ من تلك الفرص والوسائل المُتاحَة الآن، كما أن أبي لم يكن يؤمن بمسألة تعليم بناته، كان يُفكر بتلك الطريقة الرجعية القديمة.

-لا تنزعجي أبدًا يا سيدة كليمبسون فكل هذا لا يهم على الإطلاق، يكفينا

فقط أنكِ تملكين المهارات الرئيسية المطلوبة التي نريدها حقًا، تلك التي تعدُّ مقومات نادرة. ونحن نشعر بكامل الامتنان لكونكِ تعملين معنا ضمن فريق واحد، وبهذا يمكننا المُضي قُدُمًا قدر استطاعتنا ومُتابعة مجرى التحقيقات.

-سوف أتوجَّه إلى سومرست هاوس على الفور. قالتها المرأة بنبرةٍ تفيض بالحيوية والنشاط مُضيفةً:

-سأخبرك بمجرد وصولي إلى هامبشير.

-حسنًا، هذا رائع ولكن أعتقد أولًا أنه يتعيَّن عليّ الآن منحك كل النفقات الخاصة بالسفر حتى تتمكني من القيام برحلتكِ بشكلٍ آمن، كما أنني أرى أنه من الأفضل أن تحصلي على مبلغ إضافي من المال يُمكِّنكِ من شراء منزل آخر خاص بكِ، لا أُحرِّضكِ بالطبع على التصرف كما الأثرياء فأنا أعرف جيدًا أن تصرفاتهم الطائشة تلك تجعلهم يفتقدون إلى الثقة، لكني أقترح أن نقدم لكِ منحة مالية تُقَدر بحوالي 800 دولار في العام، وربما تستطيعين حينها الحصول على منزل آخر مُريح في المستقبل. سأمنحكِ حوالة بخمسين دولاراً الآن كمقدَّم إذا كنتِ تتحمسين بدوركِ لتلك الفكرة.

-يا إلهي! في الواقع....

قالتها السيدة بسرعة غريبة، لكنه أضاف:

-هذه أمور تتعلق بالعمل يا عزيزتي، لذا لا يتعيَّن عليكِ أبدًا الشعور بالخجل، وأنا واثق أنكِ ستقومين بتقدير كل التكاليف والنفقات بطريقتكِ الطبيعية المُعتادَة.

-بالطبع يا سيد بيتر، سأبذل قصارى جهدي من أجل القيام بذلك على أكمل وجه. قالتها السيدة كليمبسون ثم فتَّشت جيب معطفها باحثةً عن أختام الطوابع.

-يا إلهي! كم أنا مُهمِلَة! في الواقع كان لديّ الكثير من الطوابع ولكن الليلة الماضية أقرضتُّ السيدة ويليامز آخر طوابع كانت معي لإرسالها إلى ابنها المُقيم في اليابان، أرغب في البحث مُجَددًا فقط لو تسمحون لي أيها السادة، فأنا واثقة أنه قد كان بحوزتي الكثير. حسنًا! ها أنا أجد طابعًا في حقيبتي! الشكر للرب! لقد كنت واثقة أنني ما زلتُ أحتفظ بالكثير منها. هل أقوم بتوقيع اسمي على الطابع يا سيد بيتر؟ أعتقد أن والدي كان ليتفاجأ جدًا عندما يرى ابنته تُوقِع إيصالًا ماليًا بهذه الطريقة، فهو دائمًا يقول إنه لا علاقة للنساء بالأمور المالية على الإطلاق، أعتقد أن الظروف قد تغيرت كثيرًا، ألا تعتقد ذلك؟

قادتهما السيدة كليمبسون ناحية الباب إلى حيث طوابِق الدَرَج، ثم أغلقت الباب خلفهما.

-هل يمكنني أن أطرح سؤالًا؟، قالها المُحَقق باركر

-الأمر ليس كما تظن!، قالها بيتر على الفور بنبرةٍ تلقائية

-بالطبع ليس كما أظن، قالها باركر مازحًا ثم أضاف:

-أعرف جيدًا أنك تملك عقلًا قذرًا يا صديقي العزيز، وبما أننا صديقان مقرَّبان، فأنا أعرف بدوري ما يدور في عقلك منذ المرةِ الأولى التي أشرتَ فيها إلى تلك الزيارة، فعلاقتنا الحميمة تجعلنا نبدو وكأننا نسمع أفكار بعضنا بعضاً.

-كفاكَ عبثًا، أخبرني مَن هي السيدة كليمبسون؟

-إن السيدة كليمبسون هي ذاك المزيج الهائل بين التَجلي المُدهش والترابط الغريب المُربِك بين كافة مقومات الطبيعة. انظر إلى قوة المياه. تأمَّل حركات المَد والجزر. ألقِ نظرة خاطفة على الكهرباء. باغِت الشمس بنظرة على استحياء! إن تذوقك لكل تلك المشاهد المُختلطة المُتناغمة سيجعلك تتعرف على سِحر وقوة شخصية السيدة كليمبسون، فعلى الرغم من أن الشباب دائمًا

يسخرون من السيدات الأكبر سنًا إلا أنني أرى بوضوح عبقرية تلك المرأة وقدرتها على نسج خيوط القصص الجنائية، فهي تعرف جيدًا كيف تفك شفرة أي لغز مهما كان صعباً لأنها تتحلى بهذا الشغف الطبيعي التلقائي الذي لا زَيف فيه.

-حسنًا فهمت، ولكن هل تقصد بذلك أيضًا أن السيدة كليمبسون وكيلة تحقيق بالنسبة إليك؟

-أجل! تلك المرأة حقًا بمثابة ذراعي الأيمن. إنها لا تكل ولا تمل من طرح الأسئلة المُحَددة المهمة التي تخص التحقيقات والاستجوابات، كما أنها لا تخجل أبدًا من طرح أفكارها بكل أريحية فهي تتجرأ على الحديث بشكلٍ عقلاني منطقي. فتلك الأسئلة التي ربما يتردد أحد المُحَققين الشباب في إلقائها تُبادر السيدة كليمبسون بطرحها في الحال. إنها أشبه بالقطةِ الماكرة التي تبذل كل جهدها من أجل إلقاء القبض على فأرها.

-حسنًا هذا أمر جيد!، قالها المُحَقق باركر مُضيفًا:

-في الواقع، إنها فكرة رائعة يا عزيزي بيتر!

-بالطبع فهي فكرتي في نهاية المطاف! عليك مثلًا أن تفكر في الأمر جيدًا، فإذا أردتُ باعتباري أتولَّى التحقيق في قضيةٍ ما أن أقوم بطرح مجموعة من الأسئلة، تُرى مَن هذا الشخص الذي سأقوم بإرساله إلى هناك؟ هل سأُرسل بدوري رجلًا ضخمًا يحمل دفتره في يده ليُربِك الآخرين ويلفت نظرهم بكل الطرق؟ كلا! ها أنا أرسل امرأة عادية جدًا ذات وجه مألوف تضع الكثير من الإكسسوارات والزخارف التي تُحيط برقبتها، تمامًا شأنها شأن بقية السيدات. وبالطبع عندما تتحدث تلك المرأة لن يشتبه أحدٌ في نواياها الخفية ولن يُصاب بالدهشة ولن يشعر بالانزعاج. سوف يتعيَّن عليك يومًا

ما ياعزيزي أن تصنع لي تمثالًا وأن تنقش فيه ما يلي:
"إلى هذا الرجل الذي جعل ملايين النساء يعشن في سعادة من دون أن يدَّعي تواضعًا مُزيفًا في حضرتهن، أو أن ينسب مجهودهن إلى نفسه!
-أتمنى ألا تُطيل حديثك لفترةٍ أطول. أضاف مُتذمرًا
-وماذا عن كل تلك التقارير المكتوبة؟ هل ستتحول إلى فاعل خير بغتةً في عمرك هذا؟
-بالطبع لا، ولكن من الأفضل أن نقوم باستئجار سيارة الآن. قالها ويمسي
-دعنا نتحدث في هذا الأمر لاحقًا، فيتوجب علينا الآن فقط استئجار سيارة مع أنني حقًا أرغب في تأييد تلك النزعة الاشتراكية للسيطرة على تحديات العصر الاقتصادية الراهنة.
-ما هذا؟ وأين ثروتك يا عزيزي المُحَقق؟!
-لقد اشتريتُ مجموعة من الطبعاتِ الأولى لبعضِ الكتب، ولهذا فلم يعد لديّ المال الكافي.
-يا إلهي! لا عزاء للطبقة الأرستقراطية إذن! من فضلك ابتعد عني الآن! هل فقدتَ عقلك يا عزيزي؟ أنا واثق أنه سوف ينتهي بك المطاف في النهاية بتنظيف المجارير!
-لا عليك، ينبغي لنا أن نتحرك الآن. خُذني إلى المتحف البريطاني أيها السائق. هل ترغب أن أُقِلك إلى مكانٍ آخر؟ لا؟ حسنًا أنا ذاهب الآن لعقد مُقارنة بين مخطوطة تريستان القديمة والنُسَخ الحديثة منها.
توجَّه المُحَقق باركر إلى جهة العربَة، وبدأ بالقيام بروتينه المُعتاد اليومي في استجواب مجموعة من فتيات منطقة نوتينج دال. لقد شعر حينها أنه يوجدُ في مكانٍ يخلو من النماذج التي تتمتع بنفسِ موهبة السيدة كليمبسون.

الفصل الرابع

"كفُقاعةٍ من الحقولِ الخضراء."
الملك هنري الخامس

رسالة من السيدة ألكساندرا كاثرين كليمبسون إلى اللورد بيتر ويمسي

السيدة هاميلتون بادج،
فيرفيو، شارع نيلسون،
ليهامبتون،هانتس.
29 أبريل 1927.

عزيزي السيد بيتر ويمسي:
أثق بأن هذا الخبر سوف يُسعدك كثيرًا، فبعد أن أخفقت محاولاتي البحثية مرتين تمكنت في نهاية المطاف من العثور على المكانِ الصحيح. إن المرأة التي تبحث عنها تُدعى أجاثا داوسون. لقد أمسكتُ بشهادة وفاتها بالأمس. يؤسفني إبلاغك أيضًا أن أهالي البلدة ما زالوا يتحدثون بالسوء عن الدكتور كار، فتلك هي طبيعة البشر كما تعرف. لقد كنت محظوظة بما يكفي لأنني تمكنت من تأمين غرفة في نفس الشارع المؤدي إلى جادة ويلنجتون الذي اعتادت السيدة أجاثا أن تعيش فيه. إن مالكة المنزل امرأة لطيفة على الرغم من كونها ثرثارة قليلًا وهذا في حد ذاته يسير لصالحنا. لقد دبرت لي غرفة مُبهجة جيدة للنوم وغرفة معيشية أخرى لقاء بضعة جنيهات فقط. أعتقد

أنك سترى هذا سعرًا مُناسبًا. أتمنى ألا تراه باهظًا مُكَلفًا فالمسألة الآن تسير كما توقعتها بالضبط عزيزي المُحَقق. سأقوم بإعداد تقريرٍ مفصَّلٍ حول نفقاتي خلال تلك الفترة وسوف أرسله إليك لاحقًا. في الواقع إنَّ تكلفة النفقات تشمل بدورها عدة أشياء منها ملابسي وأدواتي ومعداتي وبقية تلك الأشياء التي أحرص على شرائها واقتنائها من أجل تحسين مستوى حياتي الاجتماعي المعيشي حتى يُناسب تلك الطبقة التي أدَّعي أنني أنتمي إليها خلال تلك المهمة. لقد حرصت أيضًا على تنظيف الثياب والمقتنيات القديمة حتى تبدو جديدة حفاظًا على المظهر العام الخارجي. هناك أمرٌ إضافيٌّ أيضًا أودُّ إخبارك به أيها المُحَقق، لقد ذكرتُ للسيدة بادج صاحبة المنزل الحالي أنني أُعاني من مرض الروماتيزم (وهذا أمر حقيقي) وقد اقترحت عليّ الذهاب ودفن جسدي بالتربة الرملية فهي مفيدة جدًا للتخلص من آلام ذلك المرض، وربما أيضًا أرى طبيبًا جديدًا، لقد قلتُ لها إنَّ الأمر يختلف من شخصٍ إلى آخر فمن المؤكد أنه لن يؤدي إلى نفس النتيجة. اتفقتُ مع السيدة بادج حتى إنها تحدثت فجأة وبكل تلقائية كاشفةً عن قصة مرض السيدة داوسون وأخبرتني بتلك العلاقة بين الدكتور كار والمُمرضة! لقد قالت بالحرفِ الواحد:

-لم أثق يومًا في تلك المُمرضة الأولى، فكل شيء يُشير إلى وجود شُبهَة بينها وبين ذلك الطبيب سالف الذكر، كما أن وجوده هناك لم يكن بسبب رعاية السيدة داوسون، ولكن من أجل البقاء إلى جوار خطيبته تلك دائمًا.

-لا عجب إذن أنه لم يعد بمقدور الآنسة ويتاكر أن تتحمل الموقف لفترةٍ أطول لذا فقد طلبت من الفتاة المُغادرة، وعليه فلم يكن الدكتور كار يهتم بعدها بصحةِ المرأة العجوز، بل كان كل ما يشغل باله حقًا هو أن يخدع

الجميع ويجعلهم يتوهمون بأن السيدة العجوز بخير حال! وقد قالت لي الآنسة ويتكار إنها قد شعرت بكذبه، وقد سألت بدوري السيدة بادج إن كانت تعرف الآنسة ويتكار فقالت لي إنها ابنة شقيق السيدة داوسون، وأنها قد تعرفت إليها لأن خادمتها كانت على معرفة شخصية بخادمة منزلهم، وقد تناقلتُ المزيد من الأخبار أيضًا من خلالهما كما بمقدورك أن تتخيل الوضع يا سيد بيتر. لقد عرفت أيضًا هذا القس الذي كان يُتابع تلك القضية بعد وقوع حادث الوفاة وأخبرتني مالكة منزلي أنه بإمكاني الالتقاء به في الكنيسة. في الواقع أتشوق لمعرفة بعض التفاصيل المهمة حول هذا الحادث، حتى إنه من الممكن أن أطلب من أحد أصدقائي من رجال الدين أن يُرشحني له كصديقة بحيث أتمكن من جمع المعلومات التي أحتاجها إذا أُتيحت لي الفرصة. سأكتب لك في القريب عندما تصللكَ المعلومات المطلوبة حتى أُخبرك بها وصلتُ إليه من خلال تلك التقارير. إنني أحاول الآن قضاء معظم الساعات آملةً إجراء المزيد من التحقيقاتِ الاستقصائية قدر الإمكان، كما أنني أبذل كل جهدي بغية التَلَصُص على منزل السيدة داوسون الذي بات منزل الآنسة ويتاكر حاليًا. أترقب دائمًا وجود أحدهم. أنتظر لحظة قدومه ناظرةً إلى بُستان المنزل في الجهة المُقابلة.

تحياتي الحارة،
ألكساندرا كاثرين كليمبسون

نظرت المُمرضة الصهباء إلى زائرها بشكلٍ خاطِف ثم استدارت.
-كل شيء على ما يُرام، قالها الرجل مُعتَذِراً ثم أضاف:
-في الواقع لم آتِ إلى هنا لأبيع الحساء أو الجرامافون أو لأقترض منكِ بعض المال، أو لكي أقوم بتسجيل اسمكِ في إحدى الجمعيات الخيرية. فأنا اللورد بيتر ويمسي، أعني أنا المُحَقق بيتر ويمسي. فاسمي ليس لقبًا مسيحيًا أو ما شابَه. لقد جئتُ إليكِ لأطرح بعض الأسئلة وأتمنى حقًا ألا يُزعجك هذا الأمر، هل تقرئين جريدة العالم اليوم؟
-في بعض الأحيان، قالتها الآنسة فليتر المُمرضة الأولى، وكأنها تود أن تدخل فقط في صُلبِ الموضوع من دون أية مقدمات.
-حسنًا، ربما هذا يعني إذن أنكِ قد لاحظتِ وجود اسمي مُقتَرِنًا ببعض الجرائم مؤخرًا فأنا أعمل في قسمِ الشرطة السرية كهواية. إن مهنتي أشبَه بمُتَنَفَس بسيط غير ضار لفضول البشر الطبيعي، فإذا زاد هذا الشعور عن حد، من دون وجود أي مَنفَذ للتعبير عنه، فقد يؤدي بدوره إلى الانتحار. إن شغف المهنة هو ذلك السعي الحقيقي الدؤوب من أجل تحقيق أهداف صحية لا تنشد إثارة المشاعر والانفعالات على نحوٍ عكسي.
-عرفتكَ الآن!، قالتها المُمرضة فليتر ببطء
-أجل! أنتَ اللورد بيتر الذي كشفَ لغز قضية جوليان فريك! لقد قمتَ بإدانته بالبراهين القاطعة! أجل، ألستَ أنت؟
-أجل أنا، على الرغم من أن الإشارة إلى تلك الحادثة تحديدًا لا تجعلني على ما يُرام (قالها اللورد بيتر ببساطة) ولكن لديّ الآن مهمة أخرى أرغب في الحصول على مُساعدتكِ للكشف عن حل لها.
-أيمكنكَ الجلوس من فضلك؟ قالتها المُمرضة فليتر ثم جلست هي

الأخرى
-لا أعرف كيف أتحدث معكِ في هذا الموضوع، ولكن قولي لي: هل تعرفين الدكتور إدوارد كار؟، لقد خرجتْ كلماته على نحوٍ سريع طائش.
-ما الأمر؟، قالتْها هاتفة وسألته:
-هل تعتقد إذن أنها جريمة قتل؟
نظرَ إليها اللورد بيتر لبضعِ ثوان. كان وجهها متوهجًا بينما لمعت عيناها من فرط الذهول أسفل حاجبيها الكثيفين. لوَّحت الفتاة بيديها القويَّتين العريضتين يمينًا ويسارًا. وقد لاحظ المُحَقق كيف أمسكت بسرعة بأذرع الكرسي.
-في الواقع لا أظن أبدًا أنها جريمة قتل، لكنني أرغب في معرفة رأيكِ الخاص.
-رأيي؟ قالتها مُتفقدةً نفسها وأردفت:
-فكما تعرف لا يُفتَرَض بي أن أُدلي بآرائي حول حالاتي المرضية التي قمتُ برعايتها والإشراف عليها
-أعتقد أنكِ تقدمين لي رأيكِ بالفعل بتلك الأوراقِ الطبية التي تشرح طبيعة مرض الراحلة. قالها المُحَقق بيتر راسمًا ابتسامة عريضة على وجهه.
-أريدكِ أن تشرحي لي تشخيص الدكتور كار السابق لحالة الوفاة
-ولكن أنت تعرف أيها المُحَقق أنني خطيبة الدكتور كار، فهل لهذا تأثير على الموقف بأسره؟
-كلا فأنتِ على أية حال كنتِ تؤدين مهمتكِ الطبية، لذا حدِّثيني عن تشخيص الدكتور كار بشكلٍ تفصيلي أكثر
-لقد كنا نعمل معًا على عددٍ كامل من مرضى السرطان، وشرعنا في دراسة

تلك الآثار الناجمة عنهُ، في حقيقة الأمر لقد قام الدكتور كار بواجبه على أكمل وجه ولا أقول ذلك لأني خطيبته، لقد اتفقت معه منذ البداية على المُصارَحَة والمُكاشَفَة، ولقد كان بالفعل شخصًا مسؤولًا قام بكل جهده من دون تقصير، كما أنه ذكر في تقريره الطبي الخاص بكل شفافية أن موت السيدة العجوز غير قابل لأي تفسير فقد غابَ عنه المنطق. لقد كان مُحِقًا تمامًا في وجهة نظره تلك، كما أن السيدة نفسها كانت تتصرف بغرابةٍ واضحة على مسمَع ومرأى الجميع. ظهرت عصبيتها بشكلٍ جلي على أتفَه الأسباب، كما أنها كانت تحت تأثير حُقَن المورفين والتي ربما تسببت في غيابها عن الوعي تمامًا لعدة ساعات. علينا القول أيضًا إن تلك السيدة كانت عنيدة للغاية.

-لقد قال لي الدكتور كار إنها كانت تتوهَم أشياءً كثيرة أبرزُها أن أحدهم يرغب في أن يضع لها سُمًا في الطعام! هل هذا صحيح؟

فركت المُمرضة ذات الشعر الأحمر أصابعها ببطء مُحتكةً بذراعِ الكرسي ثم ترددت، فقلتُ:

-إذا كنتِ تخشين مسألة الإفصاح عن بعض التفاصيل والتصريحات التي تخص تلك القضية على الأرجح فاسمحي لي أن أُعلمكِ أن صديقي المُحَقق باركر يعمل معي على هذا الملف، وهذا يُتيح لي الحق رسميًا في طرح بعض الأسئلة.

-من هذا المُنطَلق يمكنني أن أتحدث بحريةٍ تامة، ففي واقع الأمر لم أفهم يومًا فكرة وضع السم في الطعام تلك. لم أرَ شيئًا مُشابهًا. فالمرأة دائمًا لم تكن تشعر بهذا النفور، فلطالما كانت السيدة داوسون امرأة طيبة عطوفة، كما أن المريضة كانت لتُظهِر خوفها هذا إن كانت تحس به، فلقد قبَّلتني عندما رحلت كما أنها قدمت لي هدية ثمينة وقالت إنها آسفة للغاية لما حدث.

-ألم تُظهِر أي نوع من التَشَكُك أو النفور عندما كنتِ تُقدمين لها الطعام؟
-حسنًا، في حقيقة الأمر لم يكن مسموحًا لي تقديمُ أي طعامٍ لها آخر أسبوع، لقد قالت لي الآنسة ويتكار إن عمتها تمتلك بعض الأفكارً المُضحكة المُثيرة للسخرية، وأنها تقوم بتحضير وجباتها بنفسها.
-شيء مُثير للاهتمام حقًا! وهل كانت الآنسة ويتكار هي أول مَن أشارت لكِ بتلك النقطة التي تخص تصرف السيدة داوسون بغرابَة؟
-أجل، وقد توسلت إليّ ألا أُخبر أحدًا عن هذا الأمر على الإطلاق، تحديدًا السيدة داوسون حتى لا أُخيفها أو أغضبها
-لم أخبرها بشيء. في الواقع لا أخبر المرضى بأي شيء من هذا لأنه لا يعود عليهم بالنَفع.
-هل تحدثت السيدة داوسون عن تلك النقطة مع أي شخصٍ آخر؟ مثل الدكتور كار على سبيل المثال؟
-لا، فطبقًا لما تقوله الآنسة فيلتر فعمتها السيدة داوسون خائفة من الطبيب أيضًا، لأنها تتخيل أنه مُتحالِف معي من أجل القضاء عليها نهائيًا. ولقد كانت تنظر إلينا بترقُب من حين إلى آخر، وكلما شاهدتنا نجلس معًا ونتحدث لفتراتٍ طويلة أو نتبادل القُبَل كانت تنظر إليها شذرًا، لأنه طبقًا لنظرية الآنسة فيلتر فهي تعتقد أننا نتحالف عليها ونقوم بحياكة خيوط المؤامرة ضدها.
-ماذا عن الخادمات؟
-كان هناك خادمات جديدات في تلك الفترة على وجه التحديد، ولم تكن الآنسة فيلتر تتحدث معهنَّ عن شيءٍ كهذا حتى لا يُخبرن المريضة بأي شيء، لكنهن سرعان ما غادرن المنزل

-غريب! لماذا غادرن المنزل؟ وكم كان عددهن بالضبط؟ وهل ذهبن معًا مرة واحدة؟

-خادمتان. كانتا شقيقتين، وعندما كسرت إحداهن الكثير والكثير من الأواني الفخارية أعطتها الآنسة فليتر إنذارًا بالفصل، وعلى هذا رحلت أختها برفقتها في نفس الوقت.

-حسنًا ربما يرجع طرد الفتيات اللواتي كن يعملن في مجال الخدمة إلى كسر عدد من الأواني الفاخرة الثمينة وما إلى ذلك من تلك الأشياء، ولكن ألم يكن لرحيلهن علاقة بكِ كممرضة؟

-كلا! الأمر لا يتعلق بعدم انسجامهن مع الممرضة. قالتها الآنسة فيلتر مُبتسمةً ثم أضافت:

-كنَّ فتيات جيدات، لكنهن لسن ذكيات بما فيه الكفاية فيما يتعلق بمجال الخدمة، هذا كل شيء.

-حسنًا دعينا نتحدث عن شيء آخر ربما يُسَلِط بدوره الضوء على تلك الحادثة الغريبة. كان هناك زيارة من محامي العائلة، ذلك الذي أغضبَ مريضتك جدًا وأصابها بالهياج العصبي بشكلٍ مُباغِت، هل كان ذلك خلال فترة خدمتكِ؟

-كلا، لقد سمعت عن ذلك فقط من الدكتور كار، كما أنه لم يسمع أبدًا اسم المُحامي، ولم يعرف سبب مجيئه أو أي شيء يتعلق بهذا الخصوص.

-يا للأسف! قالها اللورد بيتر

-لقد كنت أتمنى بشدة أن أعرف أمورًا كثيرة تخص هذا المُحامي، فأولئك الأشخاص تُحيط بهم هالة من الغموض المُنذر بالشؤم، كما أنهم يتنقلون من مكانٍ إلى آخر مُصطحبين برفقتهم تلك الحقائب الضخمة المُثيرة للدهشة

وللريبة، ويترددون على تلك الاجتماعات المُبهمة تاركين رسائلهم الطارئة. في الواقع لو لم أكن أشتبه في دور ذلك المُحامي لربما ما تعاملت مع تلك القضية بقدرٍ كبيرٍ من التقدير، لم يأتِ ذلك الرجل مُجَددًا، كما أنه لم يكتب لهم الرسائل أليس كذلك؟

-لا أعرف. حسنًا، أعتقد أنني تذكرت شيئًا واحدًا قالته السيدة داوسون في آخر مرة التقت فيها المُحامي.

-ما الذي قالته؟

-لقد قالت إنهم كانوا يحاولوا قتلها قبل موعدها

-متى كان ذلك؟

-قبل أن أُغادر بأسبوعين، حيث كانت الآنسة فليتر تقف مُمسكةً بأوراق البريد، وكانت هناك بعض الأوراق الرسمية الأخرى التي تحتاج لأن يقوم أحدهم بتوقيعها. لقد أربكَ هذا المشهد السيدة العجوز. إنني ما زلتُ أتذكر رؤيتها مذعورة خائفة، ربما بإمكان الخادمتين إخبارك بتفاصيل أكثر بشأن تلك الليلة، فلقد كانتا تُنظفان الدَرج العلوي حينها، وأنصتتا إلى معظم الحديث الذي قيل، وهُرعتا إليّ لإخباري، فلم أسألهما من تلقاء نفسي عمَّا حدث، فهذه ليست طبيعتي الخاصة، وكذلك لا يجوز للمرضات الثرثرة مع الخادمات من وراء أصحاب المنزل. لقد قالت الآنسة ويتاكر إن عمتها قد تلقت اتصالًا مُزعجًا من المُحامي.

-رائع جدًا يا آنسة فليتر، في الواقع لديّ سؤال آخر، هل تتذكرين اسميّ الخادمتين؟

-أجل، في الواقع كان اسم عائلتهما مُضحكًا للغاية: بيرثا وإيليفن جوتو بيرد، في الواقع لا أعرف إلى أين ذهبتا! لكن يمكنني القول إنكَ ستعثر

عليهما إذا شرعت في البحث على الفور.
-لديّ سؤال أخير وأريدكِ أن تتحلي بالدقة التامة أثناء الإجابة عليه، اتفقنا؟ كيف تبدو الآنسة ويتكار؟
اعتلت الدهشة وجه المُمرضة فجأة، ثم قالت:
-طويلة وجميلة وواثقة كما أنها قوية الإرادة، لقد كانت تعمل كممرضة مُختصة في المشفى الملكي المجاني، إلى أن ذهبت في نهاية الفترة للعيش برفقة عمتها كما تعرف. جدير بالذكر أيضًا أنها قد عملت كممرضة خبيرة في غرفة العمليات لسنواتٍ طويلة. في الواقع لم تكن الآنسة ويتكار تُحبني وكذلك كان حالي معها يا لورد بيتر، ومع ذلك فقد كنا نُقَدِر بعضنا بعضاً والطريقة التي ننظر بها إلى الأمور من حولنا، كما كنا متمكنتين من القيام بأعمال التمريض على أكمل وجه.
-ولماذا لم تكن الآنسة ويتكار تُحبكِ بحق الجحيم؟ ففي الواقع أنتِ من ألطف الشخصيات التي التقيتها في حياتي كلها
-لا أعرف السبب. قالتها المُمرضة بعد أن بدا الحرج جليًا عليها
-أعتقد أن نيران الكراهية قد تأججت بداخلها منذ البداية، فمن المؤكد أنكَ قد سمعت تلك الأشياء التي قيلت في أرجاء البلدة عندما غادرتُ! لقد قالوا عني أشياءً عجيبة! لقد اعتبروني فتاة ملعونة بمعنى الكلمة! من المؤكد أنها مَن قامت بنشر تلك القصص.
-حسنًا، هل أنتِ خطيبة الدكتور كار فعلًا؟، قالها المُحَقق بلطُف
-أجل وهذا لا علاقة له أبدًا بما حدث، فما أزعجني حقًا أنها اتهمتني بإهمال المريضة، وأنا لم أكن أفكر في أمرٍ كهذا على الإطلاق.
-أعرف أنه لا علاقة لخطبتكما بتلك القضية، لكنني أتساءل: تُرى هل

اعتبرت الآنسة ويتكار الأمر بمثابة إهانة لها؟ هل كانت ويتكار مخطوبة لأحدهم على أية حال؟

-كلا، هل تعني أنها شعرت بالغيرة؟ لكن الدكتور كار لم.....

-أرجوكِ اهدئي قليلًا، أنا لم أقل شيئًا بعينه، نحن فقط نتناقش في الأمر سويًا ونفكر معًا: تُرى لماذا؟

وجدها اللورد بيتر تنفعل بشدة كما القطة المُشاكسة.

-ألا تعتقدين أن هناك شيئاً ما؟

-لقد كنت أفكر في ذلك الأمر ذات مرة، قالتها فليتر مُعتَرِفةً وأضافت:

-لكن عندما طلبنا من الجهات المعنية تشريح الجُثَة تخليتُ عن تلك الفكرة تمامًا

-ولكن الآنسة فليتر لم ترفض تشريح الجثة أليس كذلك؟

-لا لم ترفض، لكن ألا ترى أنه من المُثير للشُبهة أن تجدها تجوب في كل الأرجاء لتنقل شائعات كاذبة تتعلق بتورطي في موت عمتها؟ الأمر كله يُشير إلى أنها ربما تكون مَن دبرت هذا الحادث، فليس لديكَ أي فكرة عما قالته للناس!

-ربما أنتِ مُحِقَة، من المُمكن أن يكون هذا ما حدث فعلًا

-ولكن ليس هناك أي دافع حقيقي لارتكاب الجريمة وقتل تلك السيدة العجوز البريئة!

-هذه هي المرة الثانية التي تستخدمين فيها تلك العبارة. قالها اللورد بيتر ويمسي مُضيفًا:

-فحتى وقتنا هذا، ليس هناك أي دليل على وجود جريمة قتل.

-أعرف ذلك
-لكنك رغم هذا تعتقدين ذلك؟!
-أجل.
-وهل تعتقدين أن الآنسة ويتاكر هي مَن قامت بذلك؟
-أجل.
مضى اللورد بيتر ويمسي نحو النافذة المُقَوَسَة، ووقف مكانه يُفكر لبعض الوقت بينما كسر الصمت التام صوت ممرضة أخرى قد دخلت لتوها بعد أن طرقت باب الغرفة، ثم قالت:
-المعذرة، لكن هناك ضيف ينتظرك في الخارج يا فليتر، إنه الدكتور كار، لقد جاء من أجلك.
لحقَ بها الطبيب كار بعد نطقها اسمه، ثم أدهشته رؤية بيتر ويمسي بشكلٍ مُباغت، وحينها نظر إليه المُحَقق وقال:
-ألم أقل لكَ إنني سأعود إليك مُجَددًا (قالها بابتهاجٍ شديد) فاسمي هو شيرلوك هولمز. تسرني رؤيتك حقًا دكتور كار. اطمئن سوف نحل تلك القضية في القريب العاجل، ولن أُحدث الكثير من الجلبة.
-كيف جاء إلى هنا؟، قالها الدكتور كار بينما لم تبدُ السعادة جليةً على ملامح وجهه
-ألستَ أنت مَن أرسله؟ أعتقدُ أنه رجل لطيف، قالتها المُمرضة فليتر
-إنه شخص مجنون!، قالها الدكتور كار، لكن الممرضة صححت حديثه قائلةً:
-إنه شخص ماهر!

الفصل الخامس

"إن تلك الثرثرة أشبَه بمذاقِ الحلوى الأبدي"
هودبيراس، كبير الخَدَم

-إذن هل أنتِ تفكرين في القدوم إلى ليمبتون والاستقرار هناك؟، قالتها السيدة مارجترويد مُضيفةً:

-كم من الرائع حقًا أن تقومي بذلك، فليس هناك أجمل من المكوث معنا في الأبرشية فنحن نجتمع معًا هناك خلال أيام الأسبوع، وهناك أيضًا قد اجتمعتُ لأول مرة بعددٍ كبير من البروتستانتين وأدركت جيدًا أنه يمكننا جميعًا التحدث معًا والاتفاق على تقديم الخير أيًا كان، فما يهم هنا ليس انتماؤنا الديني الخاص ولكن ما يهمنا حقًا هو رغبتنا في تقديم العون لبعضنا بعضاً. لقد تيقنت حينها أنني لم أكن من البروتستانيين بشكلٍ جيد، وعلى هذا فقد حكمت عليهم من منظورٍ خاطىء.

-هل تفكرين في إيجاد منزل ما يا سيدة كليمبسون؟

-في الواقع لست متأكدة جدًا من ذلك، فالإيجارات مرتفعة جدًا في أيامنا تلك وأخشى أيضًا أن يفوق شراء المنزل حدود إمكانياتي المادية الراهنة، وعلى هذا فإنه يتعيَّن عليّ أن أتأمل تلك المسألة جيدًا وأن أدرس السؤال من كافة الجوانب. إنني أفضل حقًا العيش في الأبرشية بالقرب من الكنيسة إذا كان هذا مُمكنًا، ربما يكون بمقدور قِس المنطقة أن يرى إن كان هناك شيءٌ مناسبٌ لي في تلك المرحلة.

-أوه بالطبع يا عزيزتي أنا واثقة أنه لن يتردد في اقتراح شيء مناسب لكِ

خلال تلك المرحلة في تلك المنطقة السكنية الجميلة التي نعيش فيها. أنا متأكدة أنكِ ستحبين العيش هنا.

-هل كنتِ تعيشين في منطقة نيلسون من قبل؟ أعتقد أن السيدة جارتك قد أخبرتني بشيءٍ كهذا، أليس كذلك؟

-أجل لقد أخبرت السيدة بادج بذلك الأمر.

-أنا واثقة من أن مالكة منزلكِ الجديد ستجعلكِ تنعمين بالراحةِ التامة فهي امرأة لطيفة حقًا مع أنها ثرثارة بعض الشيء فهي تتحدث على الدوام، أليس لديها أية اقتراحات بخصوص ذلك الموضوع سابق الذكر؟ على أية حال أنا واثقة أنها إذا كانت تستطيع فعل شيء لن تتأخر ولو سمعت أي جديد لأخبرتك به في الحال.

-أجل بالطبع أعلم ذلك، قالتها السيدة كليمبسون ثم حاولت التَحلي بالحكمة والحصافَة أثناء حديثها وأضافت:

-لقد ذكرت شيئًا ما عن أحد المنازل الموجودة في جادة ويلنغتون.

-جادة ويلنغتون؟ لقد فاجأتني حقًا بذلك، فأنا أعرف تقريبًا جميع سُكان تلك المنطقة على وجه التحديد. ربما تتحدث عن آل برافيتس فهم سُيغادرون منزلهم في القريب على الرغم من أنهم كانوا يتحدثون عن ذلك الأمر منذ سبعة أعوام تقريبًا. إنني أتذكر كل ما قالوه عن ذلك المنزل.

-هل تسمعين ذلك يا سيدة بيس؟، قالتها المرأة متأملةً وجه امرأة أخرى تجلس إلى جوارهما ثم قالت:

-تقول السيدة كليمبسون أن آل برافيتس سيغادرون ذلك المنزل بالفعل!

-يا إلهي!، هتفت السيدة بيس، ثم رفعت عينيها البارزتين بغتةً بعيدًا عن قطعة القماش التي كانت تقوم بحياكتها، ثم سددت نظراتها ناحية السيدة

كليمبسون كما نظارات الأوبرا!

-حسنًا بما أنها هذه هي الأخبار المُتداولة، فإنني أعتقد أن سبب ذلك ربما يعود إلى رغبة شقيقها في الرحيل من المنزل، فقد أثار تلك المسألة خلال الأسبوع الماضي كما أنه سوف ينتقل للعيش معهم في منزلهم الجديد بشكلٍ مؤقت مما قد يحسم الأمر بصورةٍ قطعية، بالطبع فهم يُعانون من ضيقِ المكان كما أن الأسرة بحاجة إلى غرفةِ نوم إضافية للفتياتِ الصغيرات. أعتقد أنهم قد توصلوا بدورهم إلى حلٍ عقلاني في نهايةِ المطاف ناهيك عن أن شقيقها شخص ميسور الحال وهذا أمر جيد لأنه سيقود الأطفال للعيش في مكانٍ أفضل أكثر مُلائمة من بيئتهم المعيشية الحالية. إنني فقط أتساءل: تُرى إلى أين سيذهبون؟ أعتقد أنهم قد يتوجهون إلى أحد منازل وينشستر مع أنه سيتعيَّن عليهم إذن شراء سيارة وأتوقع أنهم سيقومون بذلك على أي حال.

-أعتقد أن اسم العائلة ليس آل بارفيت، قاطعتها السيدة كليمبسون قائلةً ثم أردفت:

-أظن أن ملكية المنزل الذي تحدثت عنه جارتي يعود بدوره إلى الآنسة ويتكار.

-الآنسة ويتكار؟، صاحت المرأة بصوتٍ مُدوٍّ بغتةً

-يا إلهي! لا! بالطبع لا!، قالتها المرأة الأخرى التي كانت تُحيك الثوب في صمتٍ تام بجوارهما طيلة تلك الجلسة.

-أنا واثقة أن الآنسة ويتكار كانت لتُخبرني أنها تفكر في مُغادرة منزلها إذا كان الأمر حقيقيًا فنحن صديقتان مُقَربتان. أعتقد أن تلك الفكرة الخاطئة قد راودت ذهن السيدة بادج فحسب، فالناس أحيانًا يختلقون مثل تلك القصص من العدم.

-لا يمكنني أيضًا أن أُصَدق أمرًا كهذا، قالتها السيدة بيس

-أعتقد أن هناك شيئًا ما يتخفى وراء هذا الموضوع، فالآنسة ويتكار قد تحدثت معي من قبل حول رغبتها في إدارة مزرعة للدجاج، لكنها كانت تتحدث عن المسألة بشكلٍ عام مُبهَم، فهي تضع ثقتها فيّ ولذلك تُخبرني بما تنوي فعله.

-في الواقع لم تقل السيدة بادج أن الآنسة ويتكار سوف تنتقل من منزلها!، قاطعتها السيدة كليمبسون

-لقد قالت فقط إن الآنسة ويتكار قد تُرِكَت بمفردها بعد حادثة الموت المُفاجئة وأنها لن تندهش إذا وجدت نفسها وحيدة بائسة في المنزل.

-حسنًا فهمت يا عزيزتي، قالتها السيدة بيس، ثم لوحت بيدها مُضيفةً:

-لكن السيدة بادج قد اعتادت الحُكم على الأمور بشكلٍ خاطىء معظم الوقت مع أنها امرأة ممتازة جدًا، لكن عليّ الاعتراف أنني كنت أفكر مثلها على هذا النحو لفترةٍ طويلة، حتى إنني قلت للآنسة ماري ويتكار المسكينة في هذا اليوم الذي وقع فيه حادث وفاة عمتها السيدة داوسون أنه يتوجب عليها مُغادرة ذلك المنزل لأنها ستشعر بالوحدة القاتلة لاحقًا، أو أنه يمكنها أن تدعو أحد الأشخاص للعيش معها حتى تتمكن من التصدي لتلك العُزلَة والحزن الخانق. فليس من الطبيعي حقًا أن تعيش فتاة يافعة في نفس عمرها بمفردها لفترةٍ طويلة بتلك الطريقة، ولهذا فقد أخبرتها أنه ينبغي لها التعبير عن مشاعرها والإفصاح عما يدور في عقلها.

-وأنا أيضًا يا سيدة بيس أتفق معكِ في هذا الرأي، كما أنني سألت السيدة بادج إن كان هناك أي شيء غريب يتعلق بموت السيدة العجوز؟ وحينها أخبرتني بتلك الظروف الغريبة الغامضة المُحيطة بالحالة مما جعلني لا أشعر

بأية راحة في أن أعيش يومًا ما في مكانٍ كهذا، فهو بالنسبة لي أشبَه ببُقعة سيئة السُمعة مما سيجعلني لا أشعر بالسكينة أثناء وجودي فيه. قالتها السيدة كليمبسون بكل ثقة كما لو كانت تقول الحقيقة فعلًا.

-هذا أمر غير صحيح على الإطلاق!، قالتها السيدة بيس ثم استدارت متأملةً وجه جارتها الأخرى التي قد قطبت جبينها على الفور إثر سماع كلمات السيدة كليمبسون ثم قالت:

--لا يوجد هناك أي قصة خبيثة على الإطلاق فلقد كان الموت طبيعيًا جدًا وها هي السيدة داوسون العجوز قد تحررت من أغلالِ الحياة وصعدت روحها إلى الأعلى مُتجهةً نحو عالمٍ أكثر رَحابَة. أنا واثقة أن مُعاناتها من الألم قد فاقت الوصف. الأمر وما فيه أنً تلك الحكاية مُختَلَقَة من جانب هذا الطبيب الشاب الذي يُدعى الدكتور كار(الذي لم أُحبه يومًا ربما لأنه شخص مُتَغطرس ومغرور ويُبالغ حقًا في تمجيد نفسه) فحاله كحال أي طبيب لا يرضى بتلك النهاية المُباغتة التي كتبها الرب، بل يود أن يُثبِت أن تشخيصه كان مثاليًا لا تشوبه شائبة وأنه لم يرتكب أي خطأ من نوعه على الإطلاق! هذا الكبرياء البشري والغرور البغيض جعله يشعر بالصدمة لوفاة مريضته التي كان قد توقع موتها بعد خمسة أو ستة أشهر على الأقل، وعلى هذا فقد بدأ في رمي الأبرياء بالاتهامات. فنحن ببساطة نتشبث كثيرًا بآرائنا الافتراضية. لقد عانت الآنسة ويتكار الأمرين من خلال مُعايشة تفاصيل تلك القصة الحزينة كما أن تلك الشائعات التي أثارها هذا الطبيب الشاب فاقمت من سوء الوضع. أتمنى أن يكون هذا الشخص قد شعر بالخجل من نفسه نتيجة ما قام به.

-ربما يكون هناك رأيان مختلفان حول هذا الموضوع، قالتها السيدة الأخرى مُستطردةً:

-أعتقد أنه كان لابد من إجراء استدعاء لكافة الأطراف المتورطة في القضية. أعرف أن الطبيب الشاب الدكتور كار كان يتمتع بعقليةٍ مُتَفتحة بعيدة كل البُعد عن الآفاق الضيقة التي يتحلى بها معظم العجائز والكبار في السن. كان الأمر مؤسفًا فعلًا منذ لحظة رحيل المُمرضة الأولى الآنسة فليتر والتي كانت خطيبة الدكتور كار، فمنذ ذلك الحين ظلت السيدة داوسون العجوز أسيرة الصداع والألم، ومع ذلك فإنني أرى أنها لم تكن قادرة على تأدية مهمتها على أكملِ وجه. وجاءت بعدها المُمرضة شارمز تلك السيدة الأكبر سنًا والأكثر خبرة.

-لكن السيدة شارمز لم تكن ذات خبرة كبيرة على الرغم من أنها كانت أكبر سِنًا من المُمرضة الأولى، كما أنها كادت أن تقتل نفسها يومًا ما عندما تناولت تسع حبات من الكالوميل عن طريق الخطأ بدلًا من أن تتناول ثلاث حبات فقط. لقد أخبرتني ذلك بنفسها، وبناءً على ذلك فإني أعتقد أنه بمقدورها القيام بما فعلته مرةً ثانية.

-لكن السيدة داوسون لم تتذمر منها يومًا، فعلى الأقل لقد كان بال تلك المُمرضة مشغولًا بحال مريضتها فقط ولم يكن مُنصَبًا على علاقتها العاطفية مع الطبيب مثل المُمرضة سابقة الذكر! لقد شعرت دائمًا أن الدكتور كار كان غاضبًا من كونها قد حلت محل خطيبته المُمرضة الأولى. لقد خُيل إليّ أنه يعكف على حياكة خيوط مؤامرةٍ ما ضد تلك السيدة لهذا السبب.

-لكنكِ بالطبع لا تعنين أن الدكتور كار قد رفض التوقيع على الشهادة حتى يتسبب في تلك المشكلة فقط من أجل إزعاج المُمرضة وإرباكها. قالتها السيدة كليمبسون

-لا أقصد هذا الأمر على الإطلاق، ولكنه مجرد شعور انتابني خلال تلك الفترة لذا عبَّرت عنه للتو.

-أنا مسرورة جدًا لأني أمتلك وجهة نظر أخرى مُخالفة لكِ يا عزيزتي، فلا أظن أبدًا أن رأيك في محله. قالتها السيدة بيس مُتهكمةً على جارتها، ولحُسن الحظ أن زوجة القس قد هرولت بأقصى سرعة إليهنَّ في تلك اللحظة التي أوشكت فيها الجارة الأخرى على الغضب. اقتربت منهنَّ السيدة مُمسكة بطبقِ كعك ثم أشارت من جديد إلى موضوع منزل ويلنجتون:

-إن الآنسة ويتكار قد عادت للتو إلى منزلها لا أعرف إن كنتِ تودين لقاءها، على العموم يُمكنكِ القدوم برفقتي وسأقدمكِ لها وحينها بإمكانكما التحدث معًا لبعض الوقت. ستحبان بعضكما كثيرًا فهي شخصية مُكافحة صادقة.

-بالمناسبة يا سيدة بيس إن زوجي يتحرق شوقًا للتحدث إليكِ بخصوص فتيان الجوقة فهو يُناقش الأمر الآن مع فيلين. أتساءل إن كنتِ ترغبين في القدوم والانضمام إليه لإعطائه رأيك فهو يُقدره كثيرًا.

لقد نجحت زوجة القِس بكل براعة في فض المُنازعات بين الطرفين، ثم اصطحبت السيدة بيس إلى جناح رجال الدين للقيام باجتماعهم الطارىء بشأن احتفالات الجوقة الموسيقية، بينما توجهت السيدة كليمبسون إلى أحد تلك الكراسي ذات الذراعين حول الطاولة.

-عزيزتي الآنسة ويتكار: اسمحي لي أن أُقدم لكِ السيدة كليمبسون. إنها جارتك وتسكن في جادة نيلسون، أتمنى أن تتعرفا إلى بعضكما بعضاً.

-هذا رائع حقًا! كم أود ذلك، قالتها الآنسة ويتكار.

كان انطباع السيدة كليمبسون الأول عن الآنسة ماري ويتكار أنها لا تُشبه هذا المكان الأثري القديم الذي تسكن فيه. فلقد كانت جميلة وجذابَة جدًا، ذات ملامح واثقة مُدهشة تعتز بذاتها. كانت الفتاة أنيقة مُتفردة في اختيار طراز ثيابها، كما أنها بدت بحالةٍ جيدة جدًا. وحينها نظرت إليها السيدة

كليمبسون نظرةً مختلفة عن تلك التي كانت تسكن رأسها، وقيَّمت الوضع بناءً على تجربتها وخبرتها الطويلة، ورأت أنه من غير المُمكن أن تكون تلك الشابة اليافعة قد قامت بإلحاق أي أذى بتلك المرأة العجوز الراحلة. فلقد حكمت على الموقف انطلاقًا من كل تلك التجارب التي خاضتها مع عدد من السيدات المُرهقات المُتعَبات. كان بمقدورها تشخيص تلك النظرة المُربكة بسهولة واضحة عندما تسأل الآنسة ويتكار:

-كيف حالك؟

لكنها شعرت بغتةً أن تلك النظرة التي ترسمها الآنسة ماري ويتكار على وجهها مألوفة جدًا بالنسبة إليها، هاتان العينان المُتوهجتان المُشرقتان بشيءٍ ما خفي يصعب تفسيره جعلتاها تفكر أنها قد شاهدت ذلك الوجه من قبل، ولكن كيف؟ وأين؟ لم تكن قادرة أن تتذكر شيئًا من هذا كله. تحدثت معها السيدة كليمبسون عن لحظة وصولها إلى البلدة، كما أنها سردت على أسماعها تلك المقدمة الطويلة التي تتعلق بالتقائها القس وزوجته، وحكت لها خبر إصابتها بالروماتيزم وكيف نصحتها جارتها بدفن جسدها في باطنِ التربة الرملية حتى تتمكن من تلقي العلاج على النحو السليم. لم تكن السيدة كليمبسون قادرة على استذكار تلك النظرة على الإطلاق، لذا فضلت ألا تتحدث عن شؤون المنزل وما جرى فيه حتى لا تُثير شكوك الآنسة ويتكار خلال لقائها الأول، ولكن القدر قد تدخل لتوه للإطاحة بهذا التصميم الحكيم. وسرعان ما دمَّر ذلك دبلوماسية كليمبسون من مرةٍ واحدة.

ركضت زوجة القس بغتةً مُتوجهةً ناحية السيدتين الجالستين معًا حول طاولة الشاي، ثم وضعت الملاءات والمفارش البيضاء عند نهاية الأريكة بالقرب من الآنسة ماري ويتكار ثم قالت:

-لماذا لم تُخبريني يا عزيزتي ماري أنكِ سترحلين وتبدئين في مشروع تربية الدجاج الخاص بكِ؟ لم أكن أعرف حقًا أنكِ بدأتِ بالفعل في تنفيذ خططكِ على هذا النحو. ولكن ما ألا أفهمه لماذا لم تُخبريني بذلك بنفسك يا آنستي؟ لقد أقسمتِ لي من قبل أنكِ لن تُخبري أي شخص آخر قبلي.

-لكني لم أقم بشيء على الإطلاق! مَن أخبركِ بهذه القصة العجيبة؟!

نظرت السيدة إلى وجه كليمبسون بدهشةٍ مُباغتة وقالت في شيءٍ من الحرج:

-لقد أخبرتها تلك المرأة أنكِ سوف تتركين منزلكِ وستشرعين في الإشراف على مشروع لتربيةِ الدجاج. قالتها المرأة بارتباكٍ واضح، ثم تأملت وجه السيدة كليمبسون التي تعرفت عليها منذ بضع دقائق فقط. لم تتمكن الأخيرة من الرد على حديثها المُثار، ثم ارتبكت بعض الشيء وقالت:

-في الواقع لقد أخبرتني السيدة بادج مالكة منزلي بتلك الحكاية، وهذا ما رددته فقط من دون أن أعرف إن كان هذا أمرًا صحيحًا أم لا.

-ولكن كيف لها بمعرفة شيء كهذا؟، سألتها الآنسة ماري ثم وجهت حديثها إلى السيدة زوجة القس هذه المرة قائلةً بنبرةٍ مُنزعجة قليلًا:

-في حقيقة الأمر لا أعرف شيئًا عن السيدة كليمبسون من قبل! فهذه هي المرة الأولى التي نلتقي فيها معًا وكنا للتو بصدد التَعارُف فقط، قالتها الآنسة ماري وكأنها تود القول إن هذه هي المرة الأولى والأخيرة.

لقد بدا الارتباك جليًا عليها بعد تصريح زوجة القِس المُباغت، حيث إنها شعرت بالقلق الشديد.

انضمت إليهنَّ السيدة بادج مالكة المنزل على عجل استجابةً لذكر اسمها، ثم قالت مُقاطعةً حديثهن:

-يبدو أنكِ أسأتِ الفهم يا عزيزتي الآنسة ماري ويتكار. ففي واقع الأمر كل

ما قمت به هو أنني سردت تفاصيل شهدتها بالفعل، فأنا لم أدَّعِ شيئًا لكننا قد تحدثنا معًا من قبل، وكنتِ قد أخبرتني بدورك أنكِ تفكرين في الانتقال من هذا المنزل في القريب وأنكِ تُخَططين لتأسيس مزرعة الدواجن الخاصة بكِ، وعلى هذا فأنا لم أقل شيئًا خاطئًا وكذلك لم أقصد تصدير الشائعات بين أهالي المنطقة. كما أن تلك السيدة كليمبسون كانت تبحث عن منزل في نفس الحي بالقرب من الكنيسة لذا فقد أتيت على ذكر منزلك وقصته فهذا كل ما قُلته بالحرفِ الواحد.

شعرت السيدة كليمبسون بالقلقِ والتوتر وقد اعتذرت عما بدر منها لتوها، ثم حاولت البحث عن أرضية آمنة يُمكنها أن تتحمل كامل المسؤولية خلالها، ودفنت رأسها في إحدى الزوايا بحثًا عن السلام.

-حسنًا من فضلك يا سيدتي أوضحي لجارتي العزيزة أنني لم أقم بأي شيء فلقد قطعت لها وعدًا في السابق ألا أُخبر أحدًا قبلها عندما أتأهب حقًا للرحيل، قالتها الآنسة ماري ويتكار ضاحكةً.

-لكن عليكِ أن تتأكدي يا عزيزتي ماري أنني لم أكن أنشر شائعات من تلك النوع. أنا فقط اعتقدت أنكِ ستغادرين منزلك في القريب لأنه لم يعد بمقدورك تحمل الوضع لفترةٍ زمنية أطول، ناهيك عن كوني أرغب بشدة في الالتحاق بوظيفةٍ لديكِ في المزرعة تلك التي تنوين تأسيسها، فأنا أتوق شوقًا للهرب من كل حفلات التنس السخيفة تلك، و أحلم بالعيش في الأرضِ الزراعية وسط الأجواء الريفية المفتوحة الساحرة.

-هل تقرئين للكاتبة شيلا كاي سميث يا سيدة كليمبسون؟

أجابتها الأخيرة أنها مُغرمَة بأعمالِ توماس هاردي فقط

-من المُريع حقًا أن يعيش المرء في قرية صغيرة كتلك لفترةٍ زمنية طويلة فهي

تعج بالحشرات والنميمة. ليس لديكِ أي فكرة عن كم الثرثرة في مكانٍ كهذا يا سيدتي. أنا واثقة أنكِ قد عانيتِ الأمرين من هذا الأمر أيضًا يا آنسة ماري، تحديدًا فيما يتعلق بالشائعات التي أطلقها الدكتور كار والأهالي.

-في الواقع لا يمكنني أبدًا الاعتقاد أنكِ لا تفكرين في التخلص من منزلك بعد كل ما حدث فيه. أعتقد أنكِ لن تشعري بالراحة بداخله مرةً أخرى.

-ولماذا أتركه بحق الجحيم؟، قالتها الآنسة ويتكار ساخرةً.

أدركت السيدة كليمبسون من خلال نظرة الفتاة وطريقتها السريعة في الدفاع عن نفسها بأنها تقوم بدور تلك العزباء التي تسخر طيلة الوقت من أهمية الزواج وجدواه.

-حسنًا في الواقع يا آنسة ماري أعتقد أنه من المُحزِن قليلًا أن يعيش المرء في مكانٍ مات فيه أحدهم. فعلى الرغم من أن السيدة داوسون الطيبة قد تحررت من آلامها في نهايةِ المطاف، إلا أنه ما زال هناك جو من الغموض يُحيط بالقضية وحيثيات الوفاة بشكلٍ عام.

-في الواقع نادرًا ما يعثر المرء على منزلٍ لم يَمُت فيه أحدهم!

-لا أعرف لماذا يقلق الناس كثيرًا بشأن ذلك، ففي نهاية المطاف تتحرر الأرواح وتصعد إلى خالقها، لماذا نصبح أكثر حساسية تجاه ماضي الآخرين الذين لا نعرفهم؟! فهل سنُنَقب مثلًا وراء كافة الأوبئة والحوادث التي مضت منذ فترة زمنية طويلة؟!

دارت المناقشة فيما بَعد بين السيدات وواصلن حديثهن على نحوٍ مُتناغِم، وفي تلك الليلة كتبت السيدة كليمبسون للورد بيتر ويمسي تقول:

دعتني الآنسة ماري ويتكار إلى تناول الشاي برفقتها كما أنها أخبرتني بمدى استمتاعها بالحياةِ الريفية والعيش بين أحضان الطبيعة، كما أنها تُحب منزل

ويلنغتون بشدة ولا يمكنها أبدًا الابتعاد عنه. لقد كانت متوترة كثيرًا من فكرة الإشارة إلى هذا الإعجاب سابق الذكر، هل يمكنني أيضًا أن أقول لك إن السيدة مالكة المنزل تُعارض الآخرين دائمًا؟ في الواقع لقد اتفقت أوصاف تلك المرأة مع ما كتبه شكسبير يومًا. من الواضح أنه بمقدور القارىء أن يجد دائمًا عبارة تصف أي موقف في أعمال هذا الكاتب.

الفصل السادس

"مع الموت تجِف الدماء لكن رائحتها ما تزال تسكن الأنوف."
شامبان، دموع الأرملة".

-لقد ظننتك يا ويمسي حققت إنجازًا كبيرًا في تلك القضية."، قالها السيد باركر مُتذمرًا ثم أضاف:

-فلا أؤمن حقًا أن هناك أي سبب قد يدفع بك إلى التفكير أن موت السيدة داوسون غريبٌ غير منطقيٍّ! فليس لديك أي دليل سوى رأي ذلك الطبيب المُتَعجرف والقليل من الثرثرة.

-يا إلهي! إنك تفكر بعقلية رسمية ضيقة للغاية يا تشارلز، فبحثك الرسمي عن دليلٍ ما يجعلك تقضي تدريجيًا على ذكائك اللامع ويخنق حدسك الخاص. فلا يمكنك أبدًا أن تعمل بجدٍ واستمتاع وسط تمسكك بتلك الأساليب الروتينية المُملة. فأنا مثلًا أواصل عملي كمُحَقق بطريقة مُغايرة عنك تمامًا لأنني أعتبر نفسي طفل الطبيعة المُدَلل وأتسكع بكل حرية بين أرجائها. إنني يا صديقي أحيا بحالةٍ من الشغف المُغَلَف بالإرادة والطموح، فتجدني أُحَلِّق في سمواتِ الخيال المفتوحة حتى يلتصق رأسي بأبعد نجمة سماوية، بهذا الولع الذي يجعلني قادرًا على التحقيق بشكلٍ جدي دائم لا يُصيبه مَلل أو فتور، فأتمكن من خلاله من فك الألغاز الجنائية بسهولة.

-يمكنني القول إن الطبيب ليس لديه أي مُبَرر منطقي يدفع به للقيام بتلك الجريمة خلال تلك الليلة، كما أنه لم يكن هناك أي دليل على وجود آثار عُنف أو تَسَمُم، ليس هناك سببٌ ملموسٌ قد يجعل أحدهم أيضًا يُبادر إلى تلك الفعلة الشنعاء.

اختار اللورد بيتر سيجارة من علبته الخاصة وقام بإشعالها بطريقةٍ فنية.
-أنصتْ إليّ جيدًا أيها الصديق، فأنا أُراهنك أن السيدة أجاثا داوسون قد قُتِلَت وأن الآنسة ماري ويتكار قد تحالفت مع أحدهم وأحضرته إلى المنزل، وعليه قاما بتنفيذ الجريمة بكل احتراف، هل توافقني ذلك؟
ضحك باركر ساخرًا ورد:
-أنا رجل مسكين يا سيادة المُحَقق
-حسنًا ها أنتَ ذا يا عزيزي. قالها اللورد بيتر بنبرةِ المُنتَصِر
-فأنت لست راضيًا عن توقعاتك الخاصة فيما يتعلق بتلك القضية وخط سيرها! يبدو أنك غير واثق من النتائج على الإطلاق!
-لقد رأيت ما يكفي في هذا العمل مما يبعدني تمامًا عن الشعور بالثقة. فهناك الكثير والكثير من النتائج المُباغتة التي تؤكد لنا على الدوام أننا كنا مُخطئين كُليًا بشأن ما نظنه في السابق بعد أن تنكشف التحقيقات.
-حسنًا لا تُجبرني يا صديقي أن أحصل على كل ما تملك لقاء هذا الرهان! فعليك أن تتأكد أنني لا أتراجع عما أقوله! أتمنى ألا تتوسل إليّ حينها عندما يُداهمك شبح الفقر وتمنحني كل أموالك، وإن كان قلبي الطيب سيضطرني إلى أن أُشفِق عليك لاحقًا، فقط ما يهمني في الوقتِ الراهن هو أن أبدأ في اتخاذ الخطوات اللازمة منعًا لإضاعة الوقت.
-وما هي تلك الخطوات؟، سأله المُحَقق باركر مُتَهكمًا
-أولًا أريدك أن تتقدم بطلبِ استخراج ورقة من أجل السماح بنبش الجثة بعيدًا عن تقارير المُحللين السابقين، ومن دون الإشارة بالأمر إلى الآنسة ويتكار ابنة أخ الفقيدة، حسنًا؟
-لا تقلق سأبذل قصارى جهدي لاستخدام كافة الأساليب النفسية الحديثة،

فكما هو مذكور في سِفر المزامير "سوف أُلقي المصيدة لأقبض على الرجال."
-سأترك لك الأمر الآن فأنت الفارس المغوار على أي حال، أليس كذلك؟ ولكن أخبرني يا صديقي العزيز؟ هل حقًا ليس هناك جريمة كاملة؟ وهل يعود الجُناة مُجددًا إلى زيارة مسرح الجريمة؟
-لا تُقاطعني بربك، ولكن على أية حال إنني أؤمن بقوة أن الجُناة الحقيقيين يقومون لاحقًا باتخاذ بعض الخطوات غير الضرورية التي ربما هم ليسوا بحاجةٍ إليها من أجل خلق حالة من الاشتباه والتَشَكك حولهم، وعلى هذا فإنني أُناشدك بوضع إحدى ملفاتنا الجنائية لصالح قوات الشرطة السرية وسط الأوراق القانونية الخاصة بقضية السيدة داوسون حتى تقع بين يدي الآنسة ماري ويتكار، وحينها نكون قد ضربنا عصفورين بحجرٍ واحد.
-حسنًا لنفعلها! ولتبدأ رحلة التحقيق المُمتعة أيها اللورد بيتر ويمسي!

***

قام مُحامي العائلة السيد ماربلز باستدعاء الخادمتين بيرثا وإيلفين اللتين كانتا تعملان في خدمة السيدة أجاثا داوسون في الماضي في منطقة ويلنغتون، وهناك قدمتا شهادتهما بكل أريحية بخصوص القضية.
-حسنًا أعتقد حقًا أن هذا أمرٌ جيدٌ، فشهادتهما سوف تزيد من اشتباه الآخرين في براءة المشهد العام ككل، أراهن أن الآنسة ماري ستنهار كُليًا عند سماع ذلك الخبر.
-كيف هذا؟
-ما أتمناه الآن ألا يحدث مكروهٌ للسيد ماربلز المُحامي، فإنني أخشى حقًا أن أفقده فهو مُحامٍ رائع يقوم بعمله بإخلاص على نحوٍ نادر، كما أنه يتعيَّن على أي رجل بارزٍ في نفس مهنته أن يضطلع بعددٍ من المهام.

-حقًا يا سيد بيتر، لكنني أرى أيضًا أنه من المهم أن يتم التَحَفُظ على الفتاتين إذا أردنا حقًا اكتشاف لغز منزل السيدة داوسون فالخدم دائمًا يعرفون كل شيء.

-الأمر لا يتعلق بتلك المسألة فحسب، ألا تتذكر ما قالته المُمرضة فليتر بأنه قد تم طرد الخادمتين قبل فترة قصيرة من مُغادرتها المكان؟ فإذا تأملنا تفاصيل تلك القصة الغريبة لطرد المُمرضة نفسها بعد فترة من الوقت، سنجد أن ثمة تفاصيلَ بحاجة لأن يتم وضعها معًا أمام أعيننا من أجل التحليل الدقيق. فكيف جاءت إذن قصة رفض السيدة داوسون لأخذ الطعام من أيديهنّ؟ ذلك التصرف العجيب الذي لم تقم به السيدة العجوز من قبل على الإطلاق! فلماذا إذن بدأت تشتبه فيمَن حولها على هذا النحو غير المُبَرر؟ أليس من المنطقي أنه قد تم التخلص من أولئك الفتيات بذريعةٍ ما لتواجه السيدة داوسون بعدها عددًا من الهجمات العصبية الغريبة؟ ألا يبدو الأمر وكأن أحدهم يحاول تدبير مكيدةً ما بكافة الوسائل حتى يقوم بإبعاد الجميع عن الطريق خلال تلك الفترة الزمنية المُحَددَة؟

-حسنًا هناك سبب جيد للتَخَلُص من الفتيات في تلك الفترة يا عزيزي!

-هل تقصد كسر الأواني الفخارية؟

-في الواقع ما يُحيرني يا صديقي هو أنه من الصعب هذه الأيام أن يعثر الناس على خدم جيدين للقيام بالأعمالِ المنزلية، ناهيك عن تلك الجَلبَة المُترتبة على كيفية القيام بالأمر بطريقة صحيحة. فلماذا إذن اختارت الآنسة ماري تلك الفترة الزمنية على وجه التحديد؟ ولماذا تُقَرر إنهاء خدمة المُمرضة الذكية الآنسة فليتر بغتةً؟ وفي نفس الوقت كانت تجلب مزيدًا من أوراق الإيجارات وتقدمها لعمتها حتى تقوم بتوقيعها وهي على تلك الحالة الغريبة! فإذا كانت

شؤون العمل تُزعج عمتها إلى هذا الحَد فلماذا إذن لم تنجح ابنة الأخ في أن يكون هناك شخص مُختص يقوم بتهدئتها ويسهر على رعايتها؟

-لكن الآنسة ماري ويتكار نفسها ممرضة مُتدربة، كما أنها كانت قادرة على الاعتناء بعمتها بنفسها من دون مساعدة أحد!

-أنا واثق من أنها كانت مُمرضة ماهرة حقًا، رغم أنك مُتَحيز قليلًا ولكن عليك أن تحرص على وضع الإعلان الخاص بعملنا في قوات الشرطة السِرية في الجريدة. لن يضر هذا أحدًا على الإطلاق، قالها ويمسي

توقف السيد بيتر فجأة عن الكلام عندما رن جرس الباب ثم رمق خادمه بنظرةٍ مُفاجئة مُتَرَددة عندما سمع شيئًا ما يتحرك خلف رف المكتبة، وحينها قال له المُحَقق باركر في دهشة:

-ما الأمر؟

-يا إلهي! من الواضح أن هذا صوت الفئران!

نظر بيتر ويمسي إلى الخادم الواقف أمامه في سكون وقال:

-احرص كل الحرص على نشر هذا الإعلان في الجريدة يا بانتر، واصل إرساله إلى هيئة التحرير بصفةٍ يومية حتى يأتيك الرد النهائي.

ظهر الإعلان في الجرائد صباح يوم الثلاثاء. استمر الحال على هذا المنوال لبضعة أيام لم يطرأ خلالها أي جديد على الإطلاق، باستثناء أن السيدة كليمبسون قد كتبت إلى السيد بيتر المُحَقق تقول إن جارتها الثرثارة قد تمكنت في نهاية المطاف من إقناع السيدة ماري ويتكار من اتخاذ خطوات فاعلة بخصوص إنشاء وتأسيس مزرعة الدواجن. لقد ذهبتا معًا من أجل الإعلان عن خبر تجارتهما في إحدى الجرائد المهتمة بأخبارِ الدواجن وأُجبرتا على قضاء بعض الوقت خارج المنزل.

وعلى الرغم من أن السيدة كليمبسون قد خشيت تلك الظروف التي لن تجعلها قادرة على المُضي قُدُمًا فيما يخص التحقيقات، إلا أن السيدة جارتها قد وعدتها أن تحكي لها كل شيء سوف تتمكنان من إنجازه خلال رحلتهما تلك. ردَّ عليها اللورد بيتر برسالةٍ أخرى قد طمأنتها كُليًا.

في صباح يوم الثلاثاء التالي كان السيد باركر يُعاني الأمرين من خلال مناقشته وجداله مع السيدة العجوز ربة منزله، والتي اعتادت حرق أواني الطعام أثناء تجهيز وجبة الإفطار. واشتد خلافهما معًا حتى ارتفع صوت رنين الهاتف. وحينها أجاب السيد باركر فإذا به يجد صوت اللورد بيتر:

-مرحبًا هل هذا أنت يا تشارلز؟ استمع إليّ لقد عثر المحامي ماربلز على خطاب يخص تلك الفتاة بيرثا جوتوبيرد، تلك التي قد اختفت من مسكنها يوم الثلاثاء الماضي مما أدى إلى إصابة ربة منزلها بالتوتر، لكن رؤيتها للإعلان المنشور في الجرائد قد عادت علينا بالنفع حيث إنها تود التواصل معنا بغية إخبارنا بكل ما تعرفه، هل يمكنك المجيء إلى مكتب التحقيقات في تمام الساعة الحادية عشرة؟

- لا أعرف. قالها المُحَقق باركر بعصبية واضحة ثم أضاف:

-لديّ عمل يتعيَّن عليّ القيام به الآن، أعتقد أنه بمقدورك أن تدبر الأمر بنفسك، أليس كذلك؟

-أجل بالطبع، كانت نبرة صوته حزينة بعض الشيء

-لكني أعتقد أنك قد ترغب في الحصول على بعض المُتعَة. يا لك من شيطان ناكِر للجميل! فليس لديك أي اهتمام بتلك القضية

-حسنًا أنت تعرف جيدًا أنني لا أؤمن أن هناك جدوى من التحقيق في تلك القضية كما تعرف فلا تستخدم إذن تلك اللغة معي، على أية حال سوف

تُثير ذُعر الفتاة أثناء الاستجواب! سأرى ما يُمكنني فعله إذا كان بمقدوري القدوم في تمام الساعة الحادية عشرة، اتفقنا؟

لم يرد المُحَقق بيتر لأنه قد تم إغلاق الهاتف، وحينها تمتم باركر بمرارة قائلًا:

-بيرثا جوتوبيرد! أقسم أن.....

تمتم بها ومد يد عبر طاولة الإفطار من أجل الإمساك بالجريدة الصباحية التي تم وضعها أمام مربى البرتقال، ثم قرأها بشفتين مُطبقتين ووجد عددًا من العناوين الكثيرة التي جذبت عينيه قبل أن يتناول السمك المُدخن.

"تم العثور على نيبي ميتة في الغابة، وقد كان برفقتها حقيبة يد تحتوي على خمسة دولارات."

أمسك باركر بسماعةِ الهاتف مُجَددًا واتصل برقم اللورد بيتر ويمسي فإذا بالخادم يُجيب:

-سيدي في المرحاض يا سيد باركر، هل تود أن أُدخِل إليه الهاتف؟

-أجل من فضلك

أُغلِق الهاتف مُجَددًا، وحينها هتف اللورد بيتر مرةً أخرى:

-مرحبًا؟

-هل ذكرت مالكة المنزل أين تعمل بيرثا جوتوبيرد؟

-أجل لقد كانت تعمل نادلة في المنزل الواقع عند الزاوية.

-لماذا كل هذا الاهتمام المُباغِت يا عزيزي؟ إنك حقًا تتفنن في إزعاجي أثناء النوم والاستحمام تمامًا كما موسيقى القاعات الرسمية الصادحة، ما الذي تريده الآن أخبرني؟

-ألم تُطالع الأخبار؟

-كلا لقد تركتها إلى ما بعد الانتهاء من تناول وجبة الإفطار. ما الأمر؟ هل

نحن مطلوبون بغية السفر الفوري إلى شانجهاي؟ أم أن الجهات المعنية ترغب في استقطاع نسبة من دخلنا الضريبي؟

-اخرس أيها الأحمق فالأمر جدي للغاية. فأنت كما هي عادتك متأخر دومًا

-ما الأمر؟

-لقد عُثِر على بيرثا جوتربيرد ميتة في الغابة هذا الصباح!

-ماذا؟ ميتة؟ حقًا؟!

-ليس لدينا أي فكرة! فلم يحدث ذلك من أثر التَسَمُم أو سكتة قلبية أو تعرضها للعُنف أو للسرقة. ليس هناك أي إشارة وعلى هذا سأتوجه بدوري إلى مكتب شرطة سكوتلاند يارد لأعرف كافة التفاصيل المرتبطة بالقضية.

-يا إلهي! في الواقع يا تشارلز أود أن أعترف لك أنني شعرت بإحساس سيئ عندما اقترحت عليّ أن نقوم بنشر هذا الإعلان في الجرائد. لقد تمنيت حقًا ألا يُلحق الأذى بأي شخص! ها أنا الآن أشعر وكأني قاتل! كم أشعر بالعار والخجل! أنا شخص ملعون. أرجوك يا تشارلز اذهب الآن إلى مكتب شرطة سكوت يارد وأخبرهم بكل ما تعرفه بخصوص تلك، وسألحق بك في غضون نصف ساعة. فعلى أي حال ليس هناك شك في ذلك سأنضم إليك بسرعة، ربما هناك قصة مختلفة وراء هذا الحادث! ربما لا علاقة له أصلًا بالإعلان، ولكن ما جدوى ذلك الآن؟ الأفضل أن نتحقق من المسألة بأنفسنا. أخبرني يا تشارلز هل كُتِب شيء في الخبر عن شقيقتها؟

-أجل لقد عثروا على خطاب لها والذي ساعد الشرطة في التعرف على هوية المجني عليها. لقد تزوجت الشهر الفائت وسافرت إلى كندا، ذلك الأمر الذي أنقذ حياتها فقد كانت لتقع في خطرٍ واضح إذا عادت إلى شقيقتها. يتعيَّن علينا الإمساك بها وتحذيرها، وحتى نحصل على تلك المعلومات التي

تعرفها. إلى اللقاء الآن. يتوجب عليّ ارتداء ثيابي.

أُغلِق الهاتف مُجَددًا وعم السكون وقد هجر السيد باركر طبق السمك المُدَخَن من دون ندم، وهرع بكل سرعة إلى خارج المنزل مُتجهًا إلى الشارع الرئيسي لاستئجار سيارة إلى ويستمنستر.

كان رئيس شرطة سكوتلاند يارد هو السيد أندرو ماكارثي أحد أصدقاء اللورد بيتر القدامى. لقد استقبله وحاول تهدئته بكل السُبل واستمع بانتباهٍ كبير إلى حكاياته حول السيدة داوسون وحادث وفاتها وتشخيصها بالسرطان وإرادتها والمُحامي الغامض الذي قام بزيارتها مؤخرًا. ولفت انتباه الرجل إلى كل الأمور التي كان على علم بها.

-يمكنني أن أتفهم شعورك بالأسف والحزن البالغ، لكن اطمئن يا عزيزي فأنا أملك تقرير الطب الشرعي الذي يؤكد أن الوفاة كانت طبيعية. ليس هناك أي علامات اعتداء، ربما يُشير هذا إلى تفسيراتٍ مُحَددة لكني لا أعتقد أنني أملك أي داعٍ للاشتباه في قصةٍ ساذجة.

-ولكن ما الذي كانت تفعله في غابة إيبينج؟

هز السيد أندرو أكتافه في قلة حيلة ثم قال:

-سوف نُحَقق في هذا الأمر بالطبع، فالشباب يحبون التَسَكُع في أنحاء البلاد على هذا النحو كما تعرف، لقد كانت مخطوبَة لأحدهم والذي كان يعمل في مجال السكك الحديدية. أعتقد أن كولينز سيذهب إلى مقابلته وربما خرجت الفتاة بيرثا مع صديقٍ آخر.

-ولكن إذا كانت الوفاة طبيعية، كيف بمقدور أحدهم ترك فتاة بهذه الحالة تحتضر بمفردها في تلك المنطقة هكذا؟

-لا أعرف ولكن أعتقد أن الفتاة كانت تمتطي حصاناً برفقة صديقها، ثم

سقطت الأخيرة ميتة بغتةً وخاف رفيقها ثم هرب بسرعة. أرى احتمالية ترجيح هذا السيناريو فهو شائع للغاية.

بدا اللورد بيتر غير مُقتنعٍ بما سمعه للتو وقال:

-متى قضت تلك الفتاة نحبها؟

-منذ خمسة أو ستة أيام كما يعتقد الطبيب الشرعي.

لقد عُثِر عليها بالصدفة البحتة في هذا الجزء المُنعزل المهجور من الغابة عن طريق مساعدة الكلاب البوليسية التي تتبعت رائحة جثتها.

-هل كانت جثتها مُمَددَة هكذا في العراء؟

-ليس بالضبط. لقد عثرنا عليها وسط مجموعة من الشجيرات المُتشابكة المُنتشرة في أرجاءِ الغابة في منطقة مُحددة قد يذهب إليها المتزوجون حديثًا لتأدية لعبة الغميضة.

-أو ربما يمكنك القول إن تلك المنطقة والتي هي مسرح الجريمة تستهدف أن يقوم رجال الشرطة بتأدية لعبة الغميضة مع القاتِل!، قالها اللورد بيتر

-حسنًا يُمكنك وصفها كما تشاء أيها المُحَقق، قالها السير أندرو مُبتسمًا

-في الواقع إن كان الحادث جريمة حقيقية لربما كان هناك شواهد ظاهرة على ذلك، على أي حال حتى الآن لم نعثر على أي دليل ليؤكد بدوره صدق هذا الافتراض فلم يكن جرحاً أو معاناة. سوف أُبقيك على علم بتقرير الطب الشرعي، وفي الوقتِ الراهن إذا كنت ترغب في الذهاب برفقة المُحَقق باركر للشروع في العمل على هذا الملف يُمكنك أن تحصل على كل التسهيلات التي أنت بحاجتها وإذا اكتشفت أي شيء دعني أعرفه.

شكره اللورد بيتر ويمسي وقبض على باركر عند مكتب المفوضية المُجاور ثم انطلق برفقته إلى المَمر.

-في حقيقة الأمر لا تُعجبني تلك الخطة يا عزيزي، فأنا أرى أنه من الأفضل أن تكون أولى خطواتنا في هذا الملف فِعلية ملموسة، فلماذا إذن لا نتوجه الآن مُباشرةً إلى غابة إيبينج ثم نذهب لزيارة السيدة مالكة المنزل لاحقًا؟ لقد حصلت على سيارة جديدة بالمُناسبة. أخبرني إذن ما الذي تُفَضله؟

انطلق باركر ناحية سيارته السوداء الضخمة التي تُشبه أحد تلك الوحوش الداكنة المُخيفة، وتقدم في طريقه إلى غابة إيبينج حيث يمكنه البدء في أعمال التحقيق تحت إشراف رسمي من رجال الشرطة. شق طريقه وسط الزحام برفقة زميله المُحَقق بيتر ثم اقتربوا تمامًا من تلك الجثة التي تم العثور عليها في تلك البقعة المُحددة من الغابة. سرعان ما احتشدت حولهم مجموعة كبيرة من رجال الصحافة والإعلام الذين قد جمعهم الفضول والرغبة في معرفة الحقيقة حتى جلسوا جميعًا في حالةٍ من السكونِ التام.

حاصر المصورون والمُراسلون المُحقق بيتر بإصرارٍ لا ينتهي، فلقد تأملوا حلاً قريباً لتلك القضية المُبهمة على يديه ليتصدر بدوره العناوين العريضة للجرائد، بينما كان المُحَقق باركر يشعر بالضيق الكامل لالتقاط المصورين له عددًا من الصور المُتلاحقة.

نُقِلَت الجثة إلى المشرحة وقد انبعثت روح الكآبة من هذا المكان على نحوٍ لافت. تذمر المُحَقق بيتر ثم قال:

-هذ الطقس الربيعي اللعين! إنني حقًا لا أتحمل أمطار شهر أبريل وارتفاع الحرارة المُباغت، فكل تلك التناقضات الجوية تجعلني أُصاب بالاختناقِ التام وبالارتباك.

-ولكن الأجواء الربيعية لن تجعلنا نُخطىء التَعَرُف على هوية القتيلة يا عزيزي على أي حال!

-أجل، أنا أيضًا لا أعتقد ذلك، أخبرني كيف كان وضع الجثة؟
-كانت مُمَدَدة على ظهرها بشكلٍ طبيعي جدًا، لم يكن هناك خَلل فيما يتعلق بالثيابِ على الإطلاق أو أي شيءٍ آخر. ربما تحولت إلى تلك الوضعية بطريقةٍ عفوية تلقائية عندما سقطت فجأة من فوق الحصان
-لقد محت الأمطار علامات آثار الأقدام تمامًا من فوق الأرض، كما أن العُشب ينتشر في كل مكان، ما رأيك في هذا يا تشارلز؟
-أجل بالإضافة إلى تلك الفروع الكثيرة المُتشابكة المُنتشرة في كل مكان.
-يا إلهي! قالها الضابط ثم أضاف:
-في الواقع ليس هناك أي علامة على وجود أية مُعاناة على الإطلاق، وقد قمت بتسجيل ذلك في التقرير الخاص بي
-ولكن إذا كانت تجلس ثم سقطت فجأة كما تقولون، ألن يؤثر وزنها على تلك البراعم الصغيرة النامية هناك؟
حَدَق المُشرِف بغرابَة في وجه مُحَقق شرطة سكوتلاند يارد.
-أنت لا تفترض أن أحدهم قام بقتلها ثم وضعها هنا يا سيدي، أليس كذلك؟
-في الواقع أنا لا أفترض شيئًا على الإطلاق، قالها باركر
-كل ما في الأمر أنني أحاول التركيز على آثار عجلات السيارة الماثلة أمامنا تلك، من أين جاءت؟
-إنها سيارتنا يا سيدي، لقد جئنا بها إلى هنا بعد أن قطعنا تلك المسافة على الطريق
-هل كل هذا الحشد من رجال الشرطة الذين يعملون معك؟
-جزءٌ منهم من رجال الشرطة، والجزء الآخر من الصحافيين ورجال

الإعلام، وهناك أيضًا تلك المجموعة التي اكتشفت جُثَة الفتاة أولًا وقام أفرادها بالإبلاغ عنها

-ألم تعثروا على آثار أقدام أي شخصٍ آخر إذن؟

-كلا يا سيدي، فلقد أمطرت السماء بغزارة مؤخرًا خلال نهاية هذا الأسبوع بالإضافة إلى أن الأرانب البرية وغيرها من حيوانات الغابة الأخرى تقفز في كل مكان.

-حسنًا يتعيَّن عليك إذن أن تقوم بجولةٍ سريعةٍ في الأرجاء، فربما تتمكن حينها من العثور على آثار أقدام أحدهم على مسافة أبعد. قُم بجمع دائرة من الباحثين وأبلغني بكافةِ النتائج تباعًا. انتبه أيضًا من السماح لهؤلاء الناس من الاقتراب كثيرًا من الجُثَة، فمن الأفضل أن تقوم بتطويق المكان. هل رأيت كل ما ترغب فيه يا بيتر؟.

كان اللورد بيتر ويمسي يمضي في طريقه مُفَتشًا عن أية آثار تظهر في تلك المنطقة، ثم توقف بغتةً عندما رأى لتوه حقيبة في إحدى الزوايا. هرع رجال الشرطة باتجاه الحقيبة أيضًا في نفس الوقت وقد عثروا على شطيرة لحم وزجاجة نبيذ فارغة تُغطيها الصحف المُشَحمَة.

-يبدو أن ذلك يُشير إلى شيءٍ ما!، قالها اللورد بيتر ويمسي

-لا أعتقد أن هناك علاقة لذلك بالجثة المُمَددَة أمامنا

-أعتقد أنك مُخطىء يا صديقي، قالها ويمسي بفتور

-متى اختفت الفتاة على وجه التحديد؟

-لقد غادرت عملها منذ أسبوع، والذي وافَق يوم الأربعاء 27، قالها باركر

-وهذا هو عدد الجريدة ليوم 27 أليس كذلك؟، قالها اللورد بيتر ويمسي

-أجل هذا العدد الأخير الذي عُثِر عليه الساعة السادسة مساءً إلى جوار

الجثة، إلا إذا كان أحدهم قد أحضره إلى هنا. أعتقد أن الفتاة هي مَن قامت بذلك وربما يكون صديقها أيضًا! لا أظن أبدًا أن تلك النسخة من الجريدة قد تم إحضارها من جانب شخص آخر، فمن غير المُحتَمل أن يقوم أحدهم بنزهة هنا تحديدًا في ظل وجود الجُثَة.

-ليس لدينا أية براهين ملموسة حتى هذه اللحظة، فكل ما هو واضح أمامنا الآن أن حادث الوفاة قد وقع بدوره يوم الثلاثاء أو الأربعاء، ربما كانت في مكانٍ آخر لبضعة أيام.

-إنه حادث غريب جدًا.

-هذا صحيح يا سيد باركر وأنا سعيد حقًا أنك تمكنت من العثور على بعض الشواهد، ولكن أخبرني: هل تود أخذها بنفسك أم أنه يتعيَّن عليّ القيام بذلك بدلًا منك؟

-من الأفضل أن تأخذها برفقتك الآن مع الأشياء الأخرى التي تَحفظَت عليها قوات الشرطة، قالها المُحَقق باركر ثم مد يده ناحية اللورد بيتر ويمسي مُشيرًا له أن يترك الحقيبة لرجال الشرطة من أجل فحصها.

-أتفق مع سيادتك أيها المُحَقق أن الفتاة هي مَن جلبت الطرد إلى هناك، كما أنها قد جاءت برفقة أحدهم، فلا يبدو الأمر تمامًا وكأنها كانت بمفردها في تلك المنطقة. أشعر بوجود تفاصيل نفس تلك القصة الشائعة التقليدية المعهودة.

-احتفظ بتلك الزجاجة أيها الشرطي، وقُم بفحص آثار الأصابع المطبوعة عليها.

-حسنًا يمكنك ذلك ولكني أرى أن شطيرة اللحم تلك التي عثرنا عليها بجوار الجثة بحاجة إلى الفحص فهي تبدو كما هي. لم تتعرض إلى أي تَحَوُل

أو تغيير. ربما يرجع ذلك إلى تأثير شجرة البلوط تلك!
أمسك المُحَقق بيتر ويمسي بشطيرة اللحم وبدأ يفحصها على نحوٍ أكثر دقة، ثم مال برأسه قليلًا ليتحقق من نسيجها وتلك الدهون صفراء الشحوم. لقد بدت كنوع نادر من الشطائر التي لم يعد أحد يتناولها هذه الأيام، مما جعله يتساءل عن سبب حرص أي شخص على شراء تلك الوجبة العجيبة ليأكلها في منطقة منعزلة وسط الغابات؟!
عندما شاركه المُحَقق باركر فحَص الشطيرة اقترب منه قليلًا وقال:
-هناك أمر غريب يا بيتر، فتلك الشطيرة على وجه التحديد لا يقدر على شرائها سوى الأشخاص الأثرياء فحسب فهي باهظة الثمن فعلًا، وهذا أمر يعرفه الجميع فلا يقدر على شرائها سوى عينة مُحَددة من طبقاتِ المجتمع. ولكن ما لا أفهمه في تلك الحالة كيف لفتاة خادمة فقيرة مثل بيرثا أن تُواعِد أحد هؤلاء الأثرياء؟ فليس هناك أية منطقية أو تطابُق في تلك الحالة!
-هذا غريب حقاً!
-الأشخاص الأثرياء فقط هم مَن يتناولون تلك الشطيرة، أتفقُ معك فليس بإمكان فتاة مثل بيرثا الحصول عليها إلا إذا كان أحدهم قد أحضرها لها!،
قالها اللورد بيتر مُضيفًا:
-ولكن كيف لهذا أن يحدث وهناك فجوة حقيقية بين الطبقتين!
-في الواقع يتعيَّن علينا فحص كافة المُتعلقات بكل دقةٍ وحذر وعناية، فمن الأفضل أن نضع الجُثَة كذلك تحت الحراسة الأمنية المُشَددة، مع أننا لن نتمكن من القيام بتلك الخطوة وسط هذه الأجواء الربيعية الغريبة التي تشهد ارتفاعًا عجيبًا للرطوبَة ودرجاتِ الحرارة. فبعد أن ألقى ويمسي نظرةً خاطفةً ترك رجال الشرطة للقيام بأعمالهم بمفردهم، ثم وجَّه انتباهه الكامل

إلى تفتيش حقيبة الفتاة الميتة. حدَّق اللورد بيتر في خطاب إيليفن جوتوبيرد والتي بات اسمها الآن إيلفين كروبر بعد أن تزوجت، ثم قرأ لتوِّه عنوانها الكندي المُشار إليه أسفل الرسالة، وأطال بدوره النظر إلى إحدى تلك الملاحظات الجانبية المُدَوَنَة بمزيجٍ من أحبارِ الفضة والنحاس.

-هل قمت بفحص تلك المُلاحظة الجانبية أيها الشرطي؟

-أجل بالطبع يا سيدي.

-وماذا عن هذا المُفتاح الذي عُثِر عليه مع جثتها؟

-لا شك أنه مفتاح شقة الفتاة، فلقد قمنا بدورنا باستدعاء مالكة المنزل حتى تتعرف على الجُثَة بنفسها، فعلى الرغم من أن قوات الشرطة واثقة جدًا من هوية الفتاة إلا أن تلك الخطوة بمثابة جزءٍ من الروتين العام ضمن خطوات التحقيق، فربما يمنحنا استدعاء مالكة المنزل بعض المساعدة.

اختلس الشرطي النظر خلف باب غرفة التشريح ثم قال:

-أعتقد أن السيدة مالكة المنزل قد جاءت!

ظهرت امرأة بدينة من العدم فجأة، والتي انطلقت بخطواتٍ واثقة وشقت الزحام ثم اقتربت من موقع الجثة من دون أية صعوبة. تأملت السيدة جثة القتيلة لبضع دقائق ثم أجهشت بالبُكاء وقالت:

-يا لها من امرأة شابة لطيفة! يا إلهي! لا أعرف حقًا كيف واجهت لتوِّها هذا المصير القاسي؟! لقد كنت قَلِقة عليها جدًا منذ أن غابت عن العمل يوم الأربعاء الماضي. شعرت بقوة أنَّ ثمة شيئاً ما قد حدث! في الواقع أشعر بالأسى والندم الشديد لأنني أطلعتها على ذلك الخبر المُنذر بالشؤم المنشور في الجريدة. فكما تعلم يعج عالمنا الحالي بالكثيرِ من الأحداثِ المؤسفة التي تقع الفتيات الشابات ضحايا لها، فهناك الكثير من الأشخاص الأشبَه بالشياطين

الذين يقومون باستغلال أولئك الفتيات أمثال ذلك المُحامي اللعين سابق الذكر.

شعر اللورد بيتر ويمسي بالحيرة بعد سماعه لكلمات السيدة مالكة المنزل، حيث إنه استشعر نبرة غامضة خلال حديثها ذاك، ثم قال هامسًا موجهًا حديثه إلى باركر:

-يا لصدمة ذلك الرجل إذن عندما يعلم بهذا الخبر!

-سأُراقب صدمته تلك عند التقائه في المرةِ المقبلة، في الواقع أنا في غاية الحزن لما أَلَمَّ بالآنسة بيرثا، لقد كانت فتاة لطيفة طيبة مُحترمة، كما أن أختها الآنسة إيلفين قد تزوجت حديثًا من رجلٍ كنديٍّ يا إلهي! أنا واثقة أن الخبر سيكون صادمًا لها جدًا فهما شقيقتان طيبتانٌ مخلصتان لبعضهما بعضاً، كما أن شقيقتها الراحلة كانت لتتزوج شابًا مُحترمًا يعمل في الجنوب. إن حبيبها شخص لطيف خفيف الظِل لطالما كان يسخر من طبيعة عمله. لقد أعطيتها مفتاح الشقة لأنها اعتادت العودة إلى المنزل متأخرًا، كما أنها أيضًا ما كانت تملك مكانًا آخر خارج المنزل يمكنها المَبيت فيه. فما أقلقني أنها لم تعد إلى المنزل ليلة الأربعاء الماضي. نحن نسمع عن الكثير من الحوادث التي تقع بدورها تلك الأيام، لذا فعندما اختفت الآنسة بيرثا قلتُ إنها قد اختِطفَت!

-هل ربطتكِ بها علاقة وثيقة جعلتكِ تتعرفين عليها عن قُرب؟، سألها المُحَقق باركر

-في الواقع لقد عرفتها منذ بضعة أشهر فقط، لكني لم أكن بحاجة إلى فترة كبيرة حتى أتعرف على طبيعة شخصيتها. فمنذ اللحظةِ الأولى التي رأيتها فيها أدركت أنها فتاة طيبة جدًا؛ فبمقدوري التَعَرُف على شخصية الفتاة بسهولة من واقع خبرتي.

-هل أتت إليكِ برفقة شقيقتها ؟
-أجل جاءتا معًا عندما كانتا تبحثان عن عمل في لندن، وما أعرفه أنهما قد عانتا الأمرين بعد أن ساءت الأوضاع في مكان عملهما السابق، مما دفعهما إلى مُغادرة المكان على الفور. لم يُحالفهما أي حظ على الإطلاق خلال رحلتهما الخاصة.
-مفهوم بالطبع يا سيدتي. ولكن أخبريني: هل سردتا لكِ تفاصيل معاناتهما هناك في ذلك المكان بغية الحصول على نصيحةٍ ما؟
-اعتقد أنهما سردتا لي تفاصيل الحكاية بشكلٍ طبيعي. فكما تعلم لا ترغب الفتيات الشابات في الحصول على أية نصيحة من أحدٍ على الإطلاق، فهذا آخر ما يشغلهن. إنهن لا يأبهن أبدًا بالاستماع إلى نصائح الكبار، فكل ما يتعيَّن علينا فعله هو أن نقوم بتدريبهن على التصرُف بشكل صحيحٍ ولائق لنتركهن يشرعن في القيام برحلتهن الخاصة كما يقول الكتاب المُقدس. لقد كانت الآنسة إيلفين التي باتت الآن زوجة السيد كروبر تضع تلك الفكرة الإنجليزية في رأسها منذ البداية. فقد آمنت أنه ليس ثمة فرق بين أعمالِ الخدمة التي كانت تقوم بها من قبل في محلات الشاي وتلك التي ستقوم بها في منزلي. إنني أيضًا لا أرى فارقًا كبيرًا باستثناء أن العمل حينها كان أكثر جُهدًا ومشقة كما أن الوجبات ليست جيدة أو مُريحة. يُمكنني القول أيضًا يا سيدي إن الآنسة إيلفين كانت هي الفتاة المُسيطرة طيلة الوقت، وقد كانت هي المسؤولة عن إعطاء الضوء الأخضر لشقيقتها. أضِف إلى ذلك أنها قد أبلت حسنًا فيما يخص حياتها ومستقبلها فقد اعتادت على أخذ وجبة الإفطار وحملها إلى حيث محل عمل السيد كوربر يوميًا عند زاوية الطريق، ذلك الشاب الذي بادلها الإعجاب وعاملها بتقديرٍ كبير.

-هذا من حُسن الحظ حقًا، ولكن أليس لديكِ أية فكرة يا سيدتي عن سبب قدوم الفتاتين إلى المدينة؟

-حسنًا أيها المُحَقق في الواقع أعتقد أنه من المُضحك فعلًا أن تطرح عليّ هذا السؤال على وجه التحديد لأني لست قادرة على إيجاد إجابة منطقية له، فأنا لا أعرف ما الذي يجعل تلك السيدة السابقة التي كانتا تعملان في منزلها تتخلى بغتةً عن خدماتهما الجيدة هكذا من دون أي سبب يُذكَر؟ أليس من المفترض أن تقوم ببذل كل ما في بمقدورها من أجل الحفاظ على وجودهما؟ فليس من السهل أبدًا هذه الأيام أن يحصل المرء على خادمات جيدات على هذا النحو! ما أعرفه أنه قد وقعت مشكلة ما في أحد الأيام، كانت المشكلة تخص بيرثا، تلك الفتاة المسكينة. إنه لأمر مُحزِن وقاسٍ حقًا أن يراها المرء على تلك الحالة البائسة! لقد كسرت الفتاة الراحلة حينها إبريقًا قديمًا للشاي والذي كان مُميزًا جدًا وباهظ الثمن، وحينها أخبرتها السيدة مالكة المنزل أنه لا ينبغي لها كسر المزيد من أشيائها وأوانيها الثمينة القَيِمَة ولهذا فقد قالت لها:

-يتعيَّن عليكِ الذهاب الآن

-ولكن..، قالتها الفتاة المسكينة في حيرة

-سوف أمنحك حرفةً جديدة، كما أنكِ ستقدرين على إيجاد مكان آخر جديد. ستذهب معكِ شقيقتكِ إيلفين أيضًا هذه المرة، وسأبدأ في البحث عن خادمة أخرى بديلة تقوم بتأدية خدماتكما في أقربِ فرصة.

-ولكن يا سيدتي...، كررتها بيرثا المسكينة في تَرَدُد واضح، فأردفت سيدتها بنبرةٍ حادة قائلة:

-لماذا لا تذهبين إلى لندن؟ أعتقد أنك ستبلين حسنًا هناك في هذا المكان، كما أنكِ ستحظين بحياة مُمتعة أكثر من تلك التي تحظين بها في منزلك، قالتها..

وفي نهاية هذا الحوار ملأتهما السيدة بتلك القصص الجميلة الحالمة حول مسألة السفر إلى مكان جيد مثل لندن، كما أنها سردت لهما الكثير والكثير من المواقف المُحفزة على اتخاذ تلك الخطوة إلى هذا الحَد الذي جعلهما متحمستين جدًا للذهاب، ومن جانبها قدمت لهما هدايا مالية وتصرفت معهما بلُطفٍ واضح وبمحبة.

-حسنًا، قالها اللورد بيتر ويمسي ثم أضاف:

-يبدو أنها كانت مُستاءة جدًا بشأن كسر إبريق الشاي الخاص بها، هل كانت بيرثا فعلًا تُحَطِم الكثير من الأواني عادة في العمل؟

-في الواقع يا سيدي لم تقم بيرثا يومًا بكسر أي شيء خاص بي خلال فترة عملها هنا في منزلي، ولكن تلك الآنسة التي تُدعى "ويتكار" كانت إحدى أولئك النساء العنيدات اللواتي يمتلكن وجهة نظرهن الخاصة في كل فكرة وحول أي موضوع. كانت امرأة عصبية المزاج في معظم الأوقات. فلقد قالت الآنسة إيلفين شقيقة بيرثا ذات مرة أن تلك الآنسة ويتكار كانت تتصرف بسخطٍ وحنقٍ كبير طيلة الوقت لأنها كانت تشعر وكأن هناك شيئاً ما يحدث من وراء ظهرها. كانت الآنسة إيلفين أكثر صلابَة من شقيقتها، ولكن كما تعرف يا سيدي فنحن جميعًا نمتلك سماتنا الخاصة، أليس كذلك؟ إنني أرى أن تلك السيدة ويتكار كانت ترغب في تعيين أحد معارفها محل بيرثا لسببٍ ما غامض، لذا اختلقت ذلك العُذر من العدم حتى تدفع بهما إلى الخارج، وقد اتفقت معي الآنسة إيلفين في وجهة نظري تلك أيضًا

-من المُمكن جدًا أن يحدث ذلك، قالها بيتر ويمسي. ثم سأل رفيقه المُحَقق باركر قائلًا:

-هل تعتقد أيها المُحَقق أن إيلفين جوتوبيرد على علم بالأمر؟

-لقد أرسلنا إليها برقية على الفور لنُخبرها بما حدث. قالتها السيدة مالكة المنزل مُنتَحبةً

-هذا جيد، أتمنى أن تقومي بإخبارنا عندما ترد على برقيتكِ المُرسَلَة

-بالطبع سوف أتواصل حينها مع سيدي المُحَقق باركر لإبلاغه بكل ما حدث

- حسنًا سأتركك الآن يا تشارلز. يتعيَّن عليّ الذهاب لإرسال برقية ما. هل ترغب في القدوم برفقتي؟

-لا شكرًا لك، قالها باركر مُضيفًا:

-في الواقع يا عزيزي لا تعجبني قيادتك للسيارة، فأنا أفضل السير وسط العاصفة على اختيار ذلك الأمر

-حسنًا، أراك في المدينة إذن.

الفصل السابع

"أخبرني بما تأكله، وسأخبرك مَن أنت."

بريلات سافارين

-حسنًا يا عزيزي أخبرني هل لديك أي معلومة جديدة؟، قالها اللورد بيتر ويمسي في تلك اللحظة التي دخل فيها المُحَقق باركر مصحوبًا برفقة خادمه بانتر في إحدى تلك الأمسيات الليلية.

-أجل، لديّ نظرية جديدة لتلك الجريمة، والتي سوف تُصيبك حقًا بكامل الدهشة! فقد بات لديّ الآن دليلٌ يدعم وجهة نظري في التحقيقات أيضًا.

-عن أية جريمة تتحدث؟

-إنني أتحدث عن جريمة غابات الإيبينج بالطبع! فكما تعرف أنا لا أعتقد أبدًا أن السيدة داوسون العجوز قد قُتِلَت على الإطلاق. فهذه فكرتك وحسب.

-أفهم ذلك وها أنت الآن تود إخباري أن الآنسة بيرثا جوتوبيرد قد تم اختطافها من جانب مجموعة من تُجار الرقيق البيض؟

-وكيف عرفت شيئًا كهذا؟، سأله باركر شاعرًا ببعض الحيرة

-لأن هناك الكثير من الحمقى الذين يعملون في شرطة سكوتلاند يارد والذين يُرجعون بدورهم أي حادث يقع لامرأة يافعة إلى تُجار الرقيق البيض، أو إلى عصابات بائعي المُخدرات، وربما كلاهما معًا!

-في حقيقة الأمر أود أن أُعلمك أننا قمنا بتتبُع تلك الفاتورة التي عثرنا عليها بداخل حقيبة القتيلة بقيمة 5جنيهات، فالأمر شديد الأهمية على أي حال كما تعلم.

-هل توصلتم إلى شيءٍ ما إذن؟

-أجل، فهذا الدليل يُعد بمثابة حل للمشكلة برمتها. لقد تتبعناه ووجدنا أنه تم إرساله ودفعه من جانب سيدة تُدعى فورست والتي تعيش في منطقة أولدلي ستريت الجنوبية. لقد انتقلت بنفسي إلى مكان إقامتها حتى أقوم ببعضِ التحريات.

-هل رأيت السيدة؟

-لقد كانت في الخارج فهي مُعتادَة على ذلك، في الواقع لقد أخبرني الجيران إنها تقوم بعددٍ من العادات المُكَلفة باهظة الثمن بشكلٍ غير مُنتظم وغامض، فهي تمتلك شقة فاخرة مفروشة بأناقة تُطِل على متجرٍ للزهور.

-هل هي شقة مُزَودَة بخدمة فندقية؟

-لا لكنها من ذلك النوع الفاخر المُزَود بمصعد يُريحك من صعود الدَرَج بالشكلِ التقليدي. اعتادت تلك المرأة على الاختفاء لبضعةِ أشهر والظهور فجأة لتقضي ليلة أو ليلتين ثم تُغادر. كما أنها كانت تطلب الطعام من فورتنوم ومايسون وتدفع على الفور ثمن الفاتورة بشكلٍ فوري، أضِف إلى ذلك أن هناك خادمة كبيرة في السن والتي كانت تقوم بتنظيف المنزل في تمام الساعة الحادية عشرة يوميًا في تلك الفترة التي كانت السيدة فورست تخرج فيها بغية التَجول في أرجاء البلدة كما هي عادتها.

-ألم يرها أحدهم أبدًا؟

-أجل، في الواقع يا عزيزي لقد استطاع سُكان الشقة المُجاورة لها وكذلك تلك الفتاة التي تعمل في محل الزهور منحي أوصافها بكل دقة. فهي امرأة طويلة ترتدي ثيابًا أنيقة مُبالغ فيها باهظة الثمن، كما تلك الأحذية المُرصَعة بالجواهر. أنت بالطبع تعرف ذلك النوع من الأشياء. إنها تنتمي إلى تلك

الطبقات التي ترتدي ملابس مُتكلفة وتفوح منها روائح العطور الثمينة التي تسكن أنوف المرأة، وكذلك تضع مساحيق التجميل والبودرة البيضاء اللافتة التي تُلائم الموضة، كما أنَّ فمها مصبوغٌ بأحمرِ الشفاه، وحاجبيها باللون الأسود الداكن المُربِك للعين، ولا يمكننا أيضًا أن ننسى أو نتناسى أظافر الأصابع المطلية باللونِ الوردي.

-لم أكن أعلم أنك درست تلك المرأة جيدًا إلى هذا الحد أيها المُحَقق تشارلز!

واصل المُحَقق تشارلز باركر حديثه قائلًا:

-كما أنها تقود سيارة ماركة رينو خضراء داكنة، مُزَودة بأربعة مقاعد منسوجة. والمرآب الخاص بها بالقرب من زاوية الطريق

لقد قال لي أحد جيرانها إنه قد رأى تلك السيارة تندفع إلى الأمام ليلًا يوم 27 من الشهر في تمام الساعة الحادية عشرة، ثم عادت في الثامنة من صباح اليوم التالي.

-هل يُمكنك تقدير كمية البنزين التي استخدمتها السيارة في رحلتها تلك إذن؟

-أجل، لقد عملنا جاهدين على ذلك الأمر واكتشفنا أن كمية البنزين الموضوعة كانت تكفي للقيام برحلة إلى غابات الإيبنج والعودة منها، والأكثر من ذلك أن رجل الشرطة الذي ذهب بدوره لُمعاينة الشقة قد قال إنه قد تم إعداد عشاء لشخصين في تلك الشقة خلال الليل، وقد عثر أيضًا على ثلاث زجاجاتٍ من الخمرِ وشطيرة لحم.

-هل كانت شطيرة لحم خنزير أيضًا كتلك التي عُثِر عليها بداخل حقيبة القتيلة؟

-وكيف عرفت ذلك؟ لكن أعتقد أنها كانت من نفس النوع على الأرجح،

فقد أخبرني العاملون في مطعم فورتنوم ومايسون أنهم أرسلوا إلى السيدة فورست شطيرة لحم خنزير بالفعل على عنوان منزلها قبل أسبوعين

-يبدو هذا دليلًا قاطعًا في حد ذاته، أعتقد أنه ربما تم استدراج بيرثا جوتوبيرد إلى هناك لغرضٍ ما مُبهَم من جانب السيدة فورست من أجل تناول وجبة العشاء معها.

-كلا! أعتقد أنَّ ثمة رجلاً ما كان هناك.

-أجل بالطبع، فالسيدة فورست قد اعتادت على إقامة الحفلات في منزلها وجمع كل الضيوف معًا، ربما تناولت الفتاة المسكينة الكثير من الخمر الذي تلاه لاحقًا حدوث شيءٍ ما. ربما أُصيبت بالصدمة أو سقطت ضحية جُرعَة مخدراتٍ زائدة! وحينها قام أحدهم باصطحابها إلى الخارج وسط الغابة بعيدًا عن المنزل بغية التَخَلُص منها.

-من الممكن جدًا، فتشريح الجُثَة ربما يُخبرنا بشيءٍ ما.

-جاء الخادم بانتر مُهرولًا ثم وقف أمامهما في حيرة.

-ما الأمر يا بانتر؟، قالها اللورد بيتر

-هناك اتصال هاتفي من أجل السيد باركر

-التمس لي العُذر يا سيدي، قالها باركر

-لقد طلبت من العاملين بمحل الزهور الاتصال بي هنا إذا عادت السيدة فورست في أي وقت، فإذا كانت قد وصلت إلى هناك هل لك أن تنضم إليّ؟

-بالطبع.

أنهى باركر اتصاله، ثم عاد شاعرًا بالقليل من الانتصار.

-لقد صعدت إلى شقتها. هيا بنا لنذهب الآن ومن الأفضل أن نركب سيارة أجرة، فلن أُجازِف بركوب سيارتك والانطلاق بتلك السُرعة الجنونية

الغريبة، هيا أسرع لا أريد أن أفقد هذا اللقاء.

فتحت السيدة فورست باب شقتها الواقعة في شارع أودلي بالمنطقة الجنوبية بنفسها. وقد تعرف عليها اللورد ويمسي منذ المرة الأولى بناءً على تلك الأوصاف المُقَدمَة له من رفيقه المُحَقق باركر.

عند رؤيتها لبطاقة باركر وأوراق هوية ضيفه قادتهما إلى غرفة الجلوس الوردية من دون أن تُسَجِل أي اعتراض، ثم انطلقوا إلى إحدى قطع الأثاث باهظة الثمن التي تمَّ شراؤها من شارع ريجنت.

-من فضلكم تفضلوا بالجلوس، هل تدخنون السجائر؟ ماذا عن صديقك؟

-إنه زميلي اللورد بيتر ويمسي، قالها السيد باركر بشكلٍ مُباغِت

نظر إليها اللورد بيتر بطريقته الاحترافية المعهودة، حيث ضيق عينيه قليلًا متأملًا قطع الأثاث القديمة التي تملأ أرجاء المكان، تلك التي تغطيها المفروشات والأقمشة المُطرزة الأنيقة التي تبدو وكأنه قد تمَّ تفصيلها لها تحديدًا من أجل ذلك. تعرفت إليهما السيدة فورست بكل أريحية ومن دون أن تبدو علامات الانزعاج جليةً على وجهها. لاحظ باركر تلك النظرة المُرتسمة على وجه السيدة مالكة المنزل الثرية، وهمس صديقه أنه يتعيَّن عليهما الآن البدء في طرح أسئلة التحقيق حتى يتعرفا على تلك التفاصيل المَخفية التي تجعل مشهد الجريمة يبدو أكثر غموضًا بصفةٍ عامة.

-في الواقع نحن نرغب بشدة في طرح عدد من الأسئلة التي تخص حادثاً قد وقع يوم 26 من الشهر الماضي عليكِ يا سيدتي. قالها المُحَقق بنبرةٍ رسمية ثم أضاف:

-أعتقد أنكِ كنتِ في المدينة خلال هذا الشهر، أليس كذلك؟

قطبت السيدة فورست جبينها مُحاولةً أن تتذكر أين كانت حينها على وجه

التحديد.
لاحظ اللورد بيتر في تلك اللحظة أن المرأة لم تبدُ يافعة جدًا في حُلتها الرسمية الخضراء تلك، على الرغم من أنها كانت على مشارف الثلاثينيات إلا أنها بدت أكبر سنًا. فقد كانت عيناها تكتحلان بالنُضجِ والبلوغ.
-أجل أعتقد أنني كنت في الخارج. لقد سافرت إلى المدينة وقضيت هناك بضعة أيام خلال ذلك الوقت، كيف يمكنني أن أُساعدك؟
-في حقيقة الأمر يا سيدتي لقد عثرنا على فاتورة ما تخصك بقيمة خمسة جنيهات تقريبًا، قالها المُحَقق باركر ثم أضاف:
-تمَّ إصدار السَنَد من بنك لويدز التابع لأنظمة المدفوعات يوم 19
-من المُحتَمَل جدًا أن يكون الأمر صحيحًا، أعتقد أنني بالفعل قد أرسلت سندًا ماليًا لأحدهم في تلك الفترة، لقد قمت بذلك مُستخدمةً دفتر الشيكات الخاص بي على ما أظن.
-على الرغم من أن الأمر قد لا يبدو مُهمًا وضروريًا بالنسبة لكِ، إلا أنه من المفيد حقًا أن تتذكري هوية الشخص الذي قمتِ بدفعه له!
-حسنًا أتفهم ذلك، أظن أنني قد دفعت المال لصانع ثيابي خلال هذا الوقت، أو ربما أرسلته إلى رجل المرآب، أجل أظن أن السَنَد كان بقيمة خمسة جنيهات ثم تناولت العشاء في مطعم فيري برفقة صديقتي ودفعت خمسة جنيهات إضافية لقاءِ الخدمة. كما أنني صرفت سندًا آخر بحوالي خمسة وعشرين جنيهاً لكنني لا أعرف حقًا أين ذهب الإيصال الثالث! يا إلهي! تذكرت! كم أنا غبية! لقد وضعته في أحد رهانات الخيول!
-هل كان ذلك من خلال أحد وكلاء الرهانات؟
-لا الأمر ليس له أية علاقة بتلك الجهة على الإطلاق، ففي هذا اليوم

توجهت إلى مكان جديد وقدمت الرهان الخاص بي أن أدفع خمسة جنيهات لقاء حصانين أحدهما يُدعى بريتي والآخر آتوبي أو شيءٍ كهذا، وبالطبع لم يُكتَب الفوز لأي من ذَيْنك الكائنين البائسين. أعطاني رجل القطار البقشيش ودَوَّن لي الاسم على الفاتورة وقمت بتسليمها إلى أقرب موظف رهانات رأيته- لقد كان رجلًا رمادي الشعر ذا صوت أجش- وكانت هذه هي آخر مرة رأيت فيها ذلك الإيصال.

-هل بمقدورك تَذَكُر تاريخ هذا اليوم على وجه التحديد؟

-أعتقد أنه كان يوم السبت. أجل أنا واثقة من ذلك.

-شكرًا جزيلًا لكِ يا سيدة فورست، سيكون أمرًا رائعًا حقًا إذا تمكنا من تتَبُع تلك الفواتير والسندات على نحوٍ أكثر دقة، ففي الواقع قد عثرنا على أحدها في ظروفٍ غامضة أخرى.

-هل يمكنني أن أعرف طبيعة تلك الظروف؟ أم أنه أحد تلك الأسرار الرسمية؟

تَردد المُحَقق باركر، فلم يكن يرغب أن يخبر تلك المرأة منذ بداية اللقاء أنهم قد عثروا على هذا السَنَد إلى جوار جُثَة النادلة وسط غابات إيبينج. فمن الممكن أن تنهار السيدة عقب سماعها لكلامٍ كهذا، وعليه فقد أخذ يفكر أن يخبرها بسيناريو آخر مختلف يرتكز أساسًا على قصة عثورهم عليه في منطقةِ سباق الخيل على يد ذلك الجندي المجهول الذي أخذه منها خلال رهانات الخيول. قبل أن يتحدث باركر قاطعه اللورد بيتر للمرةِ الأولى وقال بصوتٍ فظ مرتفع أرهَب زميله بعض الشيء:

-أنت لن تصِل إلى أي شيء مهم من خلال إصرارك على هذا الحديث يا عزيزي المُحَقق، قالها مُتذمرًا

-في الواقع ليس لديّ أي احتمال نذير بالشؤم فيما يتعلق بذلك السَنَد الذي عثرنا عليه وكذلك الحال مع سيلفيا.

-سيفليا! مَن تكون سيلفيا؟، صاحت السيدة فورست مُتعجبةً بدهشةٍ بالغة ثم سألته مرةً أخرى:

-مَن هي سيلفيا؟

اندفع اللورد بيتر قائلًا:

-لطالما أصاب شكسبير في وصف كل شيء من حولنا. لقد كان حقًا يُجيد اختيار الكلمات المُناسبة، أليس كذلك؟ ليرحمه الرب ولكن يتعيَّن عليّ الآن أن أتحلى بالجدية فالمسألة ليست مادة خصبة للسخرية على أي حال، فسيلفيا مُضطربة جدًا كما أن الطبيب يخشى من أن تؤثر الصدمة على قلبها لذا ليس هناك أي مجال للضحك أو للسخرية، ربما أنتِ لا تعرفين ذلك يا آنسة فورست لكن سيلفيا لاندرست هي ابنة عمي، وما تُريد أن تعرفه وما يريد جميعنا أن يعرفه-أرجوكِ لا تُقاطعني أيها المُحَقق- مَن هو الشخص الذي كان يتناول العشاء معكِ ليلة 26 من شهر أبريل؟ مع مَن كنتِ؟ فكل تلك الأسئلة التي طرحها عليكِ رفيقي المُحَقق باركر منذ قليل لن تجعلنا نصل إلى نتيجةٍ مُحَددة! هل يُمكنكِ إخباري بذلك؟

توردت وجنتا السيدة فورست بشكلٍ مُثير للانتباه، ثم بدت عليها علامات الذُعر فحتى أسفل هذا المعطف الثمين ومساحيق التجميل الغالية لم تتمكن من إخفاء صدمتها، حيث إنَّ عينيها اكتستا تعبيرًا أقرب إلى القلق الحاد، لقد بدت غاضبة جدًا تمامًا كما قطط الشوارع الصغيرة.

-يوم السادس والعشرين؟، قالتها السيدة فورست بصوتٍ مُرتعَشٍ ثم أضافت:

-لا يمكنني أن...
-أعرف ذلك. صاح بها ويمسي
-كما أن تلك الفتاة إيلفين أيضًا تعرف ذلك، مَن كان برفقتكِ يا سيدة فورست؟ أجيبيني
-لم يكن هناك أحد، قالتها السيدة فورست لاهثةً
-من فضلك يا سيدة فورست، حاولي أن تتذكري جيدًا. قالها المُحَقق باركر مُتفهمًا ما قاله رفيقه على الفور
-فأنتِ لا تريدين إقناعنا بالتأكيد أنكِ كنتِ تتناولين بمفردكِ ثلاث زجاجات من النبيذ والمزيد من أطباق الطعام التي تكفي لشخصين آخرين إضافيين.
-ولا تنسَ شطيرة اللحم أيضًا أيها المُحَقق، قالها اللورد بيتر في حَنَق مُضيفًا:
-شطيرة لحم الخنزير التي تمَّ طهيها جيدًا وإرسالها من جانب مطعم فورتنوم ومايسون، والآن يا سيدة فورست....
-تَمَهَّل دقيقة من فضلك، سوف أخبرك بكل شيء
جلست المرأة مُشَبكةً يديها، ثم أمسكت بالوسائد الوردية الحريرية بكل توتر وقلق:
-هل تُمانع أن تصب لي كأسًا من النبيذ من فضلك؟ يوجد الرُكن الخاص بمشروب النبيذ في غرفة الطعام في الداخل فوق أحد ألواح الخشب الجانبية.
نهض بيتر ويمسي سريعًا ثم توجه ناحية الغرفة الأخرى المُجاورة. لقد استغرق وقتًا طويلًا في الداخل كما ظن باركر، بينما كانت السيدة فورست تجلس في مكانها في انهيارٍ تام، ومع ذلك فقد حاولت جاهدةً السيطرة على أنفاسها فقد اعتقدَ باركر أنها بدأت تتعافى وتستجمع شتات نفسها.
-يبدو أنها على وشك اختلاق قصة ما، قالها لنفسه. وعلى الرغم من حالة

عدائيته الشديدة لتلك المرأة إلا أنه لم يكن قادرًا أن يضغط عليها خلال تلك المرة. على الجانبِ الآخر كان اللورد بيتر يُحدث المزيد من الإزعاج والضوضاء خلف تلك الأبواب المطوية حيث ارتطمت يداه بمجموعةٍ من القوارير الزجاجية وتَعثَر في مكانه مرات عدة مما أحدث صخبًا هائلًا بدوره أثناء رحلة تفتيشه عن زجاجة النبيذ التي طلبتها السيدة فورست، ثم عاد إليهما في غرفة الجلوس الوردية.

-التمسوا لي عُذر قضاء المزيد من الوقت في البحث عن الزجاجة. قالها مُعتذرًا ثم أعطى السيدة مالكة المنزل زجاجة من النبيذ والصودا.

-المعذرة لم أعثر على السَحارَة هناك في خزينة زجاجات النبيذ

-لا بأس، في الواقع إنني لا أجيد السيطرة على تلك المواقف الحساسة الحرجة إلا بتلك الحيلة، فدائمًا ما ألجأ إلى تناول كوب من النبيذ في حالاتٍ كتلك حتى إن أصدقائي دائمًا ما يُلاحظون تلك الحالة المُباغتة من الهدوء التي تُسيطر عليّ فور تناول كأسٍ من تلك الزجاجة. فحينها أشعر وكأنها قد دغدغت أعصابي وأن كل شيء قد بات على ما يُرام، لا شك أنها تجعلني بحالة ممتازة، أليس كذلك؟ من فضلكَ ضعها على الطاولة، فتلك هي السِر الذي يجعلني قادرة على جَمع شتات نفسي. هل بمقدورك إحضار زجاجة أخرى أصغر حجمًا؟ إذا لم يُزعجك ذلك، هل تُمانع إذا حصلت عليها بنفسي؟ فأنا أشعر بالقلق الشديد فالمسائل الحساسة تُصيبني بالتوتر، تلك هي الفكرة بإيجاز.

خرجَ اللورد بيتر للبحث عن زجاجة أخرى مُجددًا بينما تَململ باركر. لقد كان وجود المُحَققين يُشَكل حرجًا واضحًا ملموسًا في تلك الواقعة. اصطدم بيتر ويمسي بزجاجاتٍ وأوانٍ أخرى أثناء إحضاره للزجاجة المطلوبة.

-والآن أعتقد أن الأمور أصبحت أفضل، هل من الممكن أن تتفضلي علينا بإجابة السؤال المُحَدد يا سيدة فورست؟

-هل يُمكنني أن أعرف أولًا بأي حق تطرح عليّ ذلك السؤال؟

رمقها باركر بنظرةٍ غاضبة، ثم نظر إلى صديقه المُحَقق الذي انفجر قائلًا بلهجةٍ تحتلها الدهشة:

-بأي حق؟، في الواقع نحن نملك كل الحق في طرح هذا السؤال عليكِ يا سيدة فورست؛ فقوات الشرطة يحق لها أن تطرح ما تُريد من الأسئلة ونحن نقف أمام جريمة قتل!

-حقًا؟ جريمة قتل؟!، سألته المرأة بعد أن سيطرت عليها الدهشة البالغة واتسعت حدقتا عينيها على نحوٍ ملموس.

لم يكن المُحَقق باركر قادرًا على تحديد هذا الوضع، لكن اللورد بيتر ويمسي تعرَّف على ذلك بسرعة. لقد رأى بيتر نفس تلك النظرة من قبل على وجه رجل أعمال سابق كان قد أخذ قلمه من أجل توقيع عقد ما، وحينها تمت دعوته كي يكون شاهدًا على التوقيع لكنه رفض، ذلك العقد الذي دمَّر بدوره آلاف الناس. سرعان ما قُتِل ذلك الملياردير رجل الأعمال لاحقًا، وحينها رفض بيتر التحقيق في تلك المسألة واختتم عمله بتدوين عبارة دوماً تقول: "دَع عدل الله يَمُرّ"

-في الواقع أخشى ألا تعود شهادتي في تلك القضية بأي نَفع عليكما أيها السيدان المُحَققان، فلقد كان لديّ بالفعل صديق برفقتي نتناول العشاء معًا يوم 26 من شهر أبريل. لكن ما أعرفه حتى الآن أن هذا الشخص لم يُقتَل كما أنه لم يقتل أحدًا.

-هل كان رجلًا إذن؟، قالها باركر

هزت السيدة فورست رأسها بطريقةٍ ساخرة ثم قالت:

-إنني أعيش بعيدًا عن زوجي. قالتها مُتَمتمة

-أشعر بكامل الأسف تجاهك. قالها باركر

-بناءً على تلك الظروف والوقائع التي قمت بسردها لتوي لا أعرف، أشعر أنه من الصعب أن تُمارسا أساليب الضغط عليّ حتى أُخبركما باسم وبعنوان ذلك الرجل الذي كنت برفقته في تلك الليلة، سيكون الأمر أفضل على كل المستويات إذا كشفتم لي عن بعض تفاصيل تلك القضية....

-حسنًا نحن نريد أن نتأكد أن ذلك الرجل لم يكن شخصًا مُحَددًا نعرفه، فابنة عمي خائفة ومضطربة جدًا من أن يكون هو، كما أن الفتاة إيلفين قد تورطت بدورها في المتاعب بسبب ذلك الأمر وعليه لا يجدر بالمرء أن ينتظر لوقتٍ أطول، فقد فقدت سيلفيا عقلها تمامًا وقامت بهجمة متوحشة ضد هذا الرجل- الذي نظنه كان مغلِكِ- مستخدمةً أحد الأسلحة.. ولحسن الحظ فقد أخطأت إصابة الهدف وقد كسرت الأواني ومزيدًا من المزهريات الثمينة باهظة الثمن. لقد حطمت إحدى تلك التحف الأثرية التي تتجاوز قيمتها آلاف الدولارات والتي سُحِقَت إلى ذرات. لا يمكنكِ تصور ما بمقدور سيلفيا القيام به عندما تُصاب بتلك الحالة العصبية الكريهة، فمن الصعب حقًا السيطرة عليها في ذلك الوقت فإذا قدمتِ لنا دليلًا أكيدًا فقط أن السيد لاندروست الذي نشتبه فيه لم يكن برفقتكِ في تلك الليلة سيكون هذا أمرًا رائعًا قادرًا على تهدئتها ومنع جريمة أخرى من الحدوث. فكما تعرفين يجدر بكِ القيام بذلك حتى لا يُحاصركِ الشعور المُباغت بالذنب، فمن المُثير للحزن والأسف أن تتحول ابنة عمي المسكينة الجميلة اليافعة إلى امرأة مريضة مُصابة بالهياج العقلي بسبب ذلك.

تبدلت ملامح السيدة فورست شيئًا فشيئًا على نحوٍ تدريجي ورسمت على وجهها ابتسامة باهتة.

-أعتقد أنني أتفهم الموقف العام الآن يا سيد بيتر، وإذا أخبرتك باسم الرجل سيكون ذلك في إطارٍ من السرية التامة، أليس كذلك؟

-بالطبع، اتفقنا، قالها اللورد بيتر ويمسي.

-ولكن هذا أمر غير مألوف من شخصٍ يعمل في مهنتك تلك يا سيد بيتر، هل لك أن تُقسِم لي إنك لست من جواسيس زوجي؟ فكيف لي أن أعرف أن هذا ليس فخًا؟

-أقسم لكِ يا سيدتي كرجل نبيل إنني لا أملك أي تواصل مع زوجك على الإطلاق حتى إنني لم أسمع عنه من قبل!

هزت السيدة فورست رأسها في تأثُر وقالت:

-لا يمكنني أبدًا أن أمنحك اسم ذلك الرجل الذي كنتُ أجلس برفقته تلك الليلة يا سيد بيتر، فعلى أية حال لن يعود ذلك بالنَفع عليّ في أي شيء، كما أنه باستطاعتك أن تسأل هذا الرجل السيد لاندرست الذي تشتبه فيه بنفسك إن كان برفقتي أم لا وأنا واثقة أنه سينفي لك هذا الأمر، فهو لم يحدث. ومن ناحيتي فإني أؤكد لك أني لا أعرف شيئًا عن صديقك السيد لاندرست...

-وإذا كانت زوجته ابنة عمك السيدة سيلفيا لاندرست غير راضية أو مطمئنة بشأن ذلك يمكنها القدوم إليّ وسوف أؤكد لها ذلك الأمر بنفسي، هل يُرضيكما ذلك؟

-شكرًا جزيلًا لكِ. قالها اللورد بيتر ثم أضاف مُتكلفًا:

-أعتقد أن هذا أكثر مما قد يتوقعه المرء بشكلٍ عام. أتمنى أن تغفري لي فظاظتي، هل بمقدورك ذلك؟ فالمسألة كلها مُربكة ومُفزعة ومُخيفة ونحن

بحاجه للاستفسار عن تفاصيلٍ كثيرة تتعلق بالموقف كله، لذا كان علينا طرح كل الأسئلة. حسنًا هيا بنا الآنَ أيها المُحَقق فإن كل شيءٍ على ما يُرام ويسير بشكل طبيعي. أشكرك أيضًا سيدي الشرطي على وجودك معنا وإشرافك على الموقف ككل. إنني مُمتن لك كثيرًا.

خرج اللورد بيتر بعصبيةٍ واضحة، ثم لحق به رفيقه المُحَقق باركر بكل حزم وحينها أغلقت السيدة فورست باب شقتها، وأرشد الصديقان بعضهما بعضاً إلى جهة اليسار.

-أظن أنه لم يكن يجدر بنا المُغادرة.

-دعكَ من هذا، أخبرني كيف بمقدورنا الوصول إلى المنطقة الخلفية لتلك الشقق؟

-ولماذا ترغب في التوجه إلى هذه المنطقة؟، سأله باركر حيث بدا الانزعاج جليًا على وجهه

-أتمنى ألا تُغضبك فكرة الذهاب إلى هناك أيها الرفيق، كما أنه بإمكانك المجيء معي وكذلك يُمكنك التراجُع عن تلك الفكرة. لك مُطلَق الحرية فأنا شخص قادر على إنجاز مهام عملي بمفردي على أية حال! فمن الأفضل أن أستطيع تحقيق هذا الهدف وسط جو من الهدوء، وإذا كان هناك شيءٌ ما عالِق في صدرك تريد التعبير عنه بإمكانك فعلها. أعتقد أن الطريق الذي ينبغي لنا أن نسلكه هناك من هذا الاتجاه أعلى تلك الحانة بالقرب من سلة المهملات تلك. واحد اثنان ثلاثة! ها نحن هنا! عليك الانتباه فقط يا صديقي إلى أي عابر سبيل غريب عن تلك المنطقة، اتفقنا؟

اختار المُحقق اللورد بيتر إحدى تلك النوافذ المُلاصقة لشقة السيدة فورست، وأخرج سيجارته وشرع في تدخينها برشاقةِ لص، ثم توقف على بُعد خمسة

أمتار مُتقدمًا بحذرٍ بالغ مُمسكًا بيده اليُمنى على مسافةٍ آمنة من جسده كما لو أنه كان قابلًا للكسر.

اندهش المُحَقق باركر عندما رأى رفيقه المُحَقق بيتر ويمسي يُمسِك بكوب زجاجي طويل بين يديه، والذي كان يُشبِه تلك الأكواب الموضوعة في غرفة الجلوس الوردية الخاصة بالسيدة فورست.

-ما الأمر بحق الجحيم؟، سأله باركر

-اصمت! أنا المُحَقق بيتر ويمسي الذي لا يُقهَر. ها أنا الآن أجمع بصماتِ الأصابع، تلك التي يُمكننا إخضاعها للاختبار والفحص خلال شهر مايو، فلهذا السبب على وجه التحديد حصلت على هذا الكوب الزجاجي وسأحضر كوبًا آخر خلال الزيارة الأخرى التالية. أعتذر بشدة لأنني قمت بتلك الحركة البهلوانية لكني بذلت قصارى جهدي للإمساك بهذا الكوب عندما دخلت الغرفة الأخرى التي تُوضَع فيها زجاجات النبيذ. قمت بتغيير الكوب الزجاجي بشكلٍ سريع ثم مشيت على أطرافِ أصابعي متوجهًا إلى المرحاض وقمت بإخراج الكوب من النافذة السُفلية الصغيرة المُطلة على الشارع. أتمنى ألا تكون قد رأتني! من فضلك احمل حقائبي معك يا رفيق، ولكن انتبه إلى هذا الكوب الزجاجي.

-ما الذي تنوي فعله ببصماتِ الأصابع يا بيتر بحق الجحيم؟

-يؤسفني أن أقول لك إنكَ تتسم بالحماقة قليلًا يا صديقي، أتعرف لماذا؟ لأن السيدة فورست هي أحد الأشخاص الذين تبحث عنهم شرطة سكوتلاند يارد منذ سنوات! وعلى أي حال يجب أن تُقارن تلك البصمات بتلك الأخرى المُنطبعة على زجاجة النبيذ التي عثرنا عليها إلى جوار الجُثَة، مع أنه في بعض الأحيان لا تكون بصمات الأصابع مُجدية على الإطلاق. حسنًا، هل يُمكنك

من فضلك أن تُشير إلى سيارة أجرة؟ فذلك الكوب الزجاجي الثقيل الذي أُمسِك به يجعلني عاجزًا عن تحريك يدي. سيكون الوضع سخيفًا جدًا ألا تتفق معي؟

-لكني رأيت شيئًا آخر مُختلفًا عما رأيته أيها المُحقق تحديدًا عندما ذهبت لتفقد غرف المنزل للمرة الأولى، فقد ألقيت بدوري نظرة خاطفة على المرحاض.

-وماذا بعد؟

-أتعرف ما الذي وجدته هناك في أدراج مغسَلَة السيدة فورست؟

-ماذا؟

-وجدت حُقنَة تحت الجلد

-حقًا؟

-أجل، لقد عثرت عليها بداخل صندوق أدوية صغير مُدَوَن فوقه وصفة لأحد الأطباء حيث كتب يقول:

"تُمنَح هذه الحقنة للسيدة فورست فقط إذا اشتد عليها الألم"

-ما رأيك في هذا الأمر؟

-لا يمكنني الحُكم الآن إلا بعد الحصول على تقرير تشريح الجُثة، قالها السيد باركر

-ألم تحضر معك الوصف الطبي الذي رأيته؟

-لا. لم أُبلغ المرأة حينها بهويتي حتى أتمكن من التَحَفُظ على هذا الشيء، لكني دونت عنوان الصيدلي.

-حقًا؟ هل قمت بذلك؟ في الواقع يا رفيق إنك تمتلك روح المُحَقق الجاد

الفصل الثامن

"يقع كل مجتمع تحت مَقصَلة مُجرِم مُحَدد، بإمكانه إلحاق الكثير من الأذى
بالناس من دون أن يشعر بوخز الضمير أو الخجل."
إدموند بيرسون

رسالة من السيدة إلكساندرا كاثرين كليمبسون إلى اللورد بيتر ويمسي:

فير فيو
حانة نيلسون
ليمبيتون
12 مايو، 1927



عزيزي السيد بيتر،
في الواقع لم أتمكن من الحصول على كل تلك المعلومات التي طلبتها، فالآنسة ويتكار كانت خارج البلاد لبضعة أسابيع، حيث إنها تهتم حاليًا بمسألة الإشراف على مزرعة الدواجن سابقة الذكر، فهي تبحث عن مكان يتسم بوجود منظر طبيعي خلاب، بالإضافة إلى توفر الرعاية الصحية الكاملة. أعتقد أنها تنوي حقًا إدارة ذلك المشروع بمشاركة الآنسة فندلاتر مع أن الآنسة ويتكار ترى جارتها وشريكتها في المستقبل مجرد امرأة شابة ساذجة مُملة. أريد أيضًا إخبارك أيها المُحَقق أنه يبدو أن علاقتي بالآنسة ويتكار لا تسير على ما يُرام. فليس هناك إعجاب مُتبادَل بيننا، أعتقد أن تلك علامة غير صحية، من المؤكد أنك تتذكر كتاب المؤلفة كليمنس دان حول ذلك

الموضوع الاجتماعي، أليس كذلك؟ ومن واقع خبرتي في مجال الخدمة لدى النساء بمختلف أعمارهن وطبقاتهن ومهنهن فقد اكتشفت ذلك وتمكنت من اكتشاف أثره السيئ كقاعدة عامة أثناء البحث والتحقيق والاستقصاء، لكنني لا أرغب في استهلاك وقتك الثمين في مثل تلك الثرثرة، فلقد أخبرتني جارتي السيدة جوترد والتي كانت صديقة قديمة للسيدة داوسون الراحلة بالقليل من الأمور حول حياتها الماضية، حيث قالت إن السيدة داوسون كانت تعيش لمدة خمس سنوات في واركشير برفقة ابنة عمتها السيدة كلارا ويتكار قريبة السيدة ماري ويتكار من ناحية عائلة الأب. أخبرتني أيضًا أن السيدة كلارا كانت تملك شخصية رائعة وأن والدها اعتاد أن يقول ذلك على الدوام، ففي أيامها تمَّ اعتبارها فتاة مُتقدمة ولطيفة جدًا، كما أنها رفضت الكثير من عروض الزواج المُغرية وقصت شعرها وأنشأت عملها الخاص في مجال تربية الخيول.

أعرف بالطبع أنه لم يعد أحدٌ يفكر في ذلك الأمر نهائيًا في أيامنا تلك، فلم تعد المرأة الشابة أو العجوز تفكر في الانضمام إلى هذا الميدان الجريء، بل باتت المسألة أقرب إلى عملٍ ثوري إذا تجرأت إحداهن وتوجهت إلى هذا السبيل. وقد يصفها بعضهم أيضًا بالغرابَةِ والشذوذ. لقد كانت أجاثا داوسون رفيقتها في الدراسة كما أنها تعلقَت بها بشدة، وكنتيجة مُباشرة لتلك الصداقة المتينة تزوجت شقيقة أجاثا هارييت من شقيق كلارا ويتكار "جيمس"، لكن أجاثا وصديقتها لم تهتما كثيرًا بمسألة الزواج تلك وقررتا العيش معًا في منزلٍ كبير قديم مُزَود بالكثير من إسطبلات الخيول الهائلة في قرية وارويكشير ببلدة تدعى كرفتون، أعتقد أن هذا هو الاسم. مع مرور الأيام أصبحت كلارا ويتكار سيدة أعمال ناجحة جدًا في المجتمع كما أنها حققت الكثير من

الإنجازاتِ العملية الهائلة في ذلك الميدان البارز. تعاون معها الكثير من الأشخاص من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة والذين قد ساعدوها في جمع ثروة مالية كبيرة حتى باتت امرأة ثرية جدًا قبل موتها! لم يكن للسيدة أجاثا داوسون أية علاقة بالجانب الذي يتعلق بالأحصنة على الإطلاق، فلقد كانت بدورها تقوم بدور "الشريك المنزلي" الذي يتولى كافة الأمور المُتعلقة بالأعمال المنزلية وشؤون الخدم على اختلاف مشكلاتهم ومُتطلباتهم اليومية.
وعندما ماتت كلارا ويتكار تركت مالها كله لصديقتها ورفيقتها أجاثا داوسون والذي ورثته عائلتها بعد أن قضت نحبها على الرغم من أنها لم تكن على توافق جيد معهم، وذلك ربما يرجع إلى ضيق أُفق أفراد أسرتها فيما يتعلق بردود أفعالهم وتفكيرهم في مسألة قيامها بإدارة هذا العمل الخاص بتربية الخيول وعدم مُباركتهم للأمر برمته. جدير بالذكر أن ابن أخيها تشارلز ويتكار والذي كان يعمل كرجل دين، كما أنه كان أباً للآنسة ويتكار التي نتحدث عنها الآن ينظر بازدراء واضح إلى هذه الأموال، مما جعله يتذمر على الدوام ويشكو بطريقةٍ دينية مُتعصبة مع أنه لم يكن يحق له فعل ذلك، فلقد تمكنت السيدة كلارا من جمع كل ثروتها بجهودها الخاصة فحسب. لكنه أصرَّ على تناول المسألة باستهجان مُتعجبًا لماذا تترك تلك المرأة أموالها لهم على هذا النحو؟ وتُرى كيف جمعتها بتلك السرعة الزمنية وما هو وضعهم الراهن إذا حصلوا على أموال لم يجتهدوا بغية الحصول عليها؟
كان السيد تشارلز وعائلته آخر ما تبقى من آل ويتكار، وعلى هذا الأساس فعندما توفيَ الرجل وزوجته في حادث سيارة طلبت الآنسة داوسون من ماري مُغادرة عملها كممرضة والعيش معها في منزلها الكبير. فكما ترى لقد قُدِر لمال السيدة كلارا ويتكار أن يعود إلى ابنة جيمس ويتكار في نهايةِ

المطاف! وقد أوضحت السيدة داوسون حينها أن هدفها الأبرز هو أن تقوم بتزويد ماري ويتكار بكل الرعاية والحماية والتغذية التي هي بحاجةٍ إليها حتى تعيش في بهجةٍ إلى جوار تلك المرأة الوحيدة العجوز، وقد قبلت ماري ذلك العرض ووافقت أيضًا أن تقوم بخدمة تلك المرأة، وفي تلك اللحظة التي غادرت فيها عمتها الكُبرى المنزل بعد وفاة كلارا عاشت مع السيدة داوسون في لندن لفترةٍ قصيرة من الزمن ثم انتقلتا إلى وارويكشير وانتقلتا لاحقًا إلى ليمبتون. وحينها كانت السيدة داوسون تُعاني بشدة من هذا المرض الذي ماتت تأثُرًا به. وعليه كان على ماري ويتكار الانتظار لفترة زمنية أطول حتى تحصل على مال كلارا ويتكار! أتمنى أن تكون تلك المعلومات مفيدة بالنسبة لك يا سيد بيتر، فالسيدة جارتي لا تعرف بالطبع أشياءً كثيرة عن بقية أفراد العائلة لكنها أكدت لي مرارًا أنه لم يعد هناك أي شخص على قيدِ الحياة من أبناء عائلة ويتكار أو من ناحية عائلة السيدة أجاثا داوسون.

عندما تعود الآنسة ماري ويتكار سوف ألتقي بها لأعرف منها المزيد من الأمور، كما أنني أود إخبارك أني أرفقت لك كشف حساب يشمل كافة النفقات المالية المطلوبة وأتمنى حقًا ألا تعتبر ذلك شيئًا مُبالغًا فيه. أخبرني أيضًا يا سيد بيتر كيف حال عمليات التمويل والاقتراض؟ هل تسير على ما يُرام معك؟

أنا آسفة حقًا لكوني مُقَصرة جدًا فيما يخص الإشراف على المجموعات النسائية الخاصة بالتحقيقات التي أعمل عليها. كم أفتقد أولئك النسوة! فأحوالهن مُثيرة للشفقة!

لقد نسيت أن أخبرك أن الآنسة ماري ويتكار تمتلك سيارة صغيرة. في الواقع أنا لا أعرف شيئًا عن تلك الأمور لكن خادمة السيدة بادج أخبرتني أن

خادمة الآنسة ويتكار تقول إن سيارتها ماركة أوستن 7 (هل هذا صحيح؟) كما أنها سيارة رمادية ورقمها xx9917.

وصل المُحَقق باركر في تلك اللحظة التي أنهى فيها اللورد بيتر قراءة الخطاب، ثم تقدم ببطء وحذر وجلس بدوره في إحدى الزوايا. عكف المُحَقق بيتر على قراءة وثيقة رسمية قام بإخراجها للتو من أحد الأدراج ثم قال في ذهول:

-يا له من حظ!

-ما الأمر؟، سأله المُحَقق باركر في دهشة بالغة

مرَّر له المُحقق بيتر الوثيقة ثم قال له:

-أتعرف؟ لقد بدأت أعتقد أنك مُحِق فيما تظنه بشأن قضية بيرثا جوتوبيرد. ها أنا أيضًا أصبحت أشعر بالارتياح الآن. إنني لا أصدق أي حرف مما سردته السيدة فورست في قصتها. لست مُقتنعًا بما قالته، كما أنني أتمنى فعلًا أن يكون حادث القضاء على بيرثا هو مجرد صدفة بحتة ولا علاقة له أبدًا بذلك الإعلان الذي قمنا بنشره منذ أيام.

-حقًا؟، سأله المُحَقق باركر ببعض المرارة، ثم توجَّه لجلب بعض النبيذ والصودا بنفسه

-أجل، سوف تبتهج كثيرًا عندما تعلم أن تحليل الطب الشرعي قد نفى بدوره وجود أي علامة تدعم نظرية المؤامرة، كما أنه لا أثر للعُنف أو للتسَمُم، المسألة وما فيها تخص إصابة الفتاة بضعف في عضلة القلب نتيجة الوقوف لفترة زمنية طويلة، كما أنها تعرضت إلى حالة إغماء بعد أن تناولت وجبة طعام ثقيلة.

-هذا الأمر لا يُقلقني، قالها ويمسي مُضيفًا:

-فنحن منذ البداية قد اقترحنا أنه من الممكن أن تكون الفتاة قد تعرضت

إلى صدمةٍ مُباغتة. فمثلًا لنفترض أنها تعرفت إلى شاب ما ثم تناولت الكثير من النبيذ وتحول المشهد إلى أمر ساحر، شعرت على إثره برغباتٍ معقدة لم تداهمها من قبل. لقد سقطت الفتاة المسكينة أسيرة للصدمة، ربما حدث كل ذلك نتيجة لمرافقتها لتلك السيدة وللرجل الغامض اللذين تسبَّبا بدورهما في مقتلها، ثم تركا بصمات أياديهما على جثتها. أشعر وكأنني بدأت أربط بين الأحداث فبين أيدينا سيارة صغيرة، وغابات الإيبينج، ومحاولات مُستميتة لمحو أي أثر للجريمة، الغناء وغسل الأيادي بعيدًا عن الدماء وإثارة الشُبهات، أين المشكلة إذن؟

-أعتقد أن المشكلة نفسها تتمثل في محاولة إثبات أمر كهذا أيها المُحقق العزيز! فليس هناك بصمات للأصابع على أية حال، كما أن الزجاجة خالية تمامًا ليس بها سوى بعض البُقَع.

-أعتقد أنهما قاما بوضع القُفازات كنوع من التَمويه، وهذا في حد ذاته يدفعنا إلى الاشتباه بأن الجريمة قد ارتُكبَت عمدًا، فأي أشخاص عاديين يذهبون إلى التجول وسط الغابات لا يرتدون قُفازات تحجب بصمات أصابعهم عند الإمساك بزجاجات النبيذ!

-أعرف ذلك لكنه ليس بمقدورنا القبض على كل هؤلاء الذين يضعون قُفازات في البلدة!

-كم أُشفق عليك يا رفيقي! حسنًا لا تسخر مني الآن فنحن ما زلنا في الأيام الأولى من ارتكاب الجريمة فحسب! أخبرني ماذا عن الحقن؟

-كل شيء على ما يُرام، لقد قمنا باستجواب الصيدلي وكذلك التقينا الطبيب الذي أكد لنا أن السيدة فورست تُعاني من آلامٍ عصبية شديدة، وبناءً عليه تمَّ وصف تلك الحُقَن من أجل التَخفيف عنها، ليس هناك خطب ما كما أن

السيدة ليس لديها تاريخ في تعاطي المُنشطات أو المواد المُخدرة أو أي شيء من هذا القبيل. فتلك الوصفة الطبية معتدلة، كما أنها ليست قاتلة ولا يمكن استخدامها في قتل أحدهم. بالإضافة إلى ذلك ألم أقل لك إنه لا أثر لوجود حقن المورفين أو المواد السامة أو أي شيء مُشابِه لهذا داخل الجثة!

-أجل حسنًا. قالها ويمسي ثم جلسَ يتأمل النار لبعض الوقت وقال:

-أعتقد أن الحالة ينقصها الكثير من الأوراق الرسمية، استأنفَ حديثه بشكلٍ مُباغت، لكن المُحقق باركر قاطعه وقال:

-لقد تمَّ إرسال التحليل إلى الجهات المعنية، كما أنه سيتم إرسال برقية غدًا تخص حيثيات وتفاصيل طبيعة الوفاة، وسيكون ذلك بمثابة الفصل الأخير في تلك القضية برمتها.

-جيد، فمن الأفضل أن تنتهي على هذا النحو لأنه لم يعد هناك شيء يستحق أن نبحث عنه الآن

-هل هناك أي جديد يخص شقيقة بيرثا التي تعيش في كندا؟

-يا إلهي! كدت أنسى أن أُخبرك! أجل لقد تلقينا برقية منذ ثلاثة أيام وقالت فيها إنها قادمة إلى هنا!

-حقًا؟ يا للعجب! على مَتن أي قارب؟

-ستصل يوم الجمعة القادم على متن قارب نجمة كيبيك

-حسنًا سيتعيَّن علينا أن نلتقيها إذن، هل يمكنك الذهاب لاستقبال المركب؟

-يا إلهي! ولماذا قد يجدر بي الذهاب إلى هناك؟

-أعتقد أنه ينبغي لأحدنا الذهاب إلى هناك من أجل استقبالها، فأنا مُطمئن لكني لست سعيدًا جدًا. أعتقد أنني سأذهب إليها بنفسي إذا لم تكن تُمانع فأنا أريد أن أعرف قصة داوسون كاملةً، وفي الوقت الحالي أريد أن أتأكد أن

الفتاة لن تُصاب بأزمة قلبية عندما أذهب إليها للالتقاء بها.
-أعتقد أنك تُبالغ قليلًا يا بيتر.
-من الأفضل أن يكون الوضع آمنًا وليس مؤسفًا. قالها بيتر ثم سأله باركر للتو:
-لديّ استفسار آخر يا عزيزي المُحَقق، ماذا عن آخر خطابات السيدة كليمبسون لك؟
-في الواقع لم يكشف خطابها ذاك عن شيء جديدٍ على الإطلاق
-حقًا؟
-أجل، لقد كان خطابًا مُربِكًا بعض الشيء، لكن ليس هناك مفاجآت على أي حال، فالشيء الوحيد الذي لم نكن نعرفه في السابق وسردته لي السيدة كليمبسون في خطابها أن والد الآنسة ماري ويتكار كان مُنزعجًا جدًا من حصول السيدة داوسون على أموال عمته، فقد كان يرى أنه من المفترض أن تذهب إليه.
-أنت لا تشتبه بقيام الرجل سابق الذكر بقتلها أليس كذلك؟ فما نعلمه جميعنا جيدًا أن السيد تشارلز مات قبل السيدة داوسون، كما أن ابنته قد حصلت على المال كله في نهاية المطاف!
-أجل أعرف، ولكن افترِضْ أن السيدة داوسون قد غيرت رأيها؟ فربما كانت لتتشاجر مع الآنسة ماري ويتكار لتقرر ترك مالها لشخصٍ آخر سواها
-أفهم ذلك، أو ربما قد تمت إزاحتها بعيدًا عن الطريق قبل أن تتمكن من كتابة وصيتها أصلًا؟
-خلْ هذا أمرًا مُمكنًا؟

-أجل بالطبع مع مراعاة أنه يجدر بنا إذن البحث عن دليل من شأنه كشف هذا الأمر، فليس هناك أي أحد قادر على إقناع شخص ما بكتابة وصيته أم لا.

-أتفقُ معك أنها كانت على وِفاق مع ماري ويتكار، ولكن ماذا عن تلك الواقعة التي ذكرتها المُمرضة فليتر عندما قالت إن الناس يُحاولون قتلها قبل موعدها؟ ربما استاءت منها في تلك الفترة التي عانت فيها قلة الوعي وأعراض الاحتضار، ربما جعلها كل ذلك تضيق ذرعًا. فإذا كانت الآنسة داوسون على علم بذلك لكانت عبرت عن ضيقها وغضبها أمام الجميع، وشرعت على الفور في كتابة وصيتها لصالح شخص آخر كنوع من التأمين في مواجهة رحيلها السابِق لأوانه.

-ولماذا إذن لم تُرسِل لطلب مُحاميها الخاص؟

-ربما حاولت القيام بذلك، ولكن على أية حال لقد كانت عاجزة طريحة الفراش وربما بذلت ماري قصارى جهدها من أجل منعها من إرسال خطاب للسيد المُحامي.

-قد يبدو هذا أمرًا معقولًا إلى حدٍ ما، أليس كذلك؟ ولهذا فإنني أطالب بلقاء الآنسة إيلفين كروبر فأنا شديد الثقة بأنه قد تم إرسال الفتاتين بعيدًا لأنهما يعرفان أكثر مما توجَّب عليهما معرفته! وإلا فلماذا تمَّ غزل خيوط تلك المؤامرة من أجل إرسالها إلى لندن؟

-أعتقد أن هذا الجزء الذي سردته، قصة السيدة جوليفر، غريب بعض الشيء وعلى هذا فإنني أتساءل عن المُمرضة الأخرى؟

-الممرضة الآنسة فوربس؟ إنها فكرة جيدة. كدت أنساها حقًا.

-هل تظن أنه بمقدورك تتبعها؟

-بالطبع، إذا كنت تعتقد أن هذا أمرٌ مهمٌّ.

-أجل أظن ذلك فالمسألة بالغة الأهمية. انتبه إليّ يا تشارلز. فأنت لا تبدو مُتحمسًا جدًا بشأن تلك القضية؟

-في الواقع يا عزيزي المُحَقق أنا لست واثقًا من أن ما نُناقشه الآن يُمثل قضية بدوره أصلًا، فما الذي تخشاه إذن؟ فأنت ما تزال مُصِرًا على تحويلها إلى قضية على الرغم من أنك لا تملك أية ركائز تستند عليها خلال عمليتك تلك! فلماذا إذن تقوم بكل ذلك؟

نهض اللورد بيتر وتجوَّل في أرجاء الغرفة ذهابًا وإيابًا. ألقى مصباح القراءة بنوره ليعكس ظلًا مُحددًا يمتد إلى أعلى السقف. توجَّه المُحَقق بيتر بخُطى ثابتة نحو رف الكتب، وحينها تقلَّص ظله وانكمش وأظلَم.

مَدَّ يده مُحاولًا التقاط تلك الكتب المُجَلدَة المُتراصَة، وبدأ في انتزاعها الواحد تلو الآخر.

-لماذا؟ ردَّدها اللورد بيتر ويمسي مُضيفًا:

-فأنا أؤمن حقًا أن تلك هي القضية التي أبحث عنها طيلة عمري. إنها أهم قضية على الإطلاق إذا جاز التعبير، فهي تتمثل في وجود جريمة قتل من دون وسائل مُحَددة أو دافع أو حل، فهي تختلف تمامًا عن أية قضية عادية أخرى. قالها بيتر ثم مَد يده ناحية رف الكتب بعد أن تقلص ظله أكثر بحركةٍ مُباغتة خاطفة تهديدية، فكل تلك الكتب الموضوعة على الرف إلى جواره كتبٌ وأعمالٌ عن الجرائم غير الطبيعية، تلك التي تدور عن ظروف وتفاصيل غريبة غامضة ليس لها تفسير واضح

-ما الذي تعنيه بالجرائم غير الطبيعية؟

-تلك التي تشتمل على أخطاء تمَّ اكتشافها، فما ينبغي علينا طرحه الآن هو

أن نتساءل: ما هي نسبة صحة تلك الاحتمالات المؤدية للكشف عن هذه الجرائم الغامضة العجيبة؟

-لقد اعتدنا من خلال عملنا في مجال التحقيقات أن نتتبع أي أثر من شأنه أن يؤدي إلى نتيجة ملموسة للكشف عن أغلب الجرائم. قالها المُحَقق باركر بنبرةٍ مُتصلبةٍ.

-يا عزيزي المُحَقق، نحن نتوصل إلى حلول تلك الجرائم التي تم ارتكابها بسهولة لأن المُعتدي عادةً ما يترك خلفه دليلًا ما، وعلى هذا تجد أن نسبة 60 في المائة من قضايا سكوتلاند يارد تمَّ الاشتباه بها والكشف عنها ببساطة لهذا السبب. لكن التحدي الحقيقي الآن هو أن تجد نفسك أمام قضية تملؤها النواقص والأخطاء. فعلى أية حال تلك الأسئلة العادية التقليدية التي يطرحها رجال الشرطة خلال التحقيقات هي ما تُسَهل إنجاز تلك المهمة وتقديمها بالشكلِ الأمثل. ولكن ماذا عن تلك الجرائم التي لم تنجح قوات الشرطة في حلها؟ ماذا عن تلك الجرائم التي لم يشتبه بها المُحققون؟

هزَّ باركر كتفيه ثم قال:

-وكيف لأحدهم أن يعرف إجابة هذا السؤال؟

-حسنًا، دعني أضرب لك مثالًا يا صديقي العزيز. هل تقرأ صحف اليوم؟ هل تُتابع جريدة أخبار العالم؟ أو أية قناة تتحدث عن الموضوعات الاجتماعية التي تشغل مجتمعنا على الدوام، هل تُطالع قوائم محكمة الطلاق مثلًا؟ ألم تعطكَ فكرة دائمة أبدية أن الزواج اختراع فاشِل وأن كل الزوجات حزينات بائسات؟ ألم تُمطرك الصحف والمجلات بالكثيرِ من هذه الأمور لتترك أثرها السلبي عليك والذي لا يُغادرك؟ والآن انظر حولك يا عزيزي وتأمل جيدًا كل الأشخاص المتزوجين الذين تعرفهم بشكلٍ شخصي من

حولك، وأخبرني أرجوك: أليسوا سعداء في حيواتهم الشخصية الخاصة؟ فالأمر وما فيه أنك لم تسمع عن هؤلاء من قبل. فمَن يملكون الصخب الأكبر هم أولئك الأشخاص التُعساء الذين فشلت حيواتهم الزوجية مما أكَّد لك أن الزواج مُقترِن بالفشل، فالشيء ذاته أيضًا يتعلق بأولئك المجرمين الذين يتمكنون من الهرب بفعلتهم بعيدًا فهم يُشبهون الأزواج السُعداء الذين لا يتحدث عنهم أحد على الإطلاق، فالمسألة وما فيها أن الصخب كله ينصب حول أولئك المجرمين الفاشلين الذين تتمكن قوات الشرطة من إلقاء القبض عليهم والإيقاع بهم، ولكن هذا لا ينفي أبدًا أن هناك الكثير من المجرمين الذين يفرون ويهربون من العقاب بعد تحقيق جرائمهم المختلفة، فالُمجرم السعيد يُشبِه الزوج السعيد فكلاهما يلتزم الصمت، وإذا نظرتَ بدورك إلى هذه الكتب الموضوعة على الرف فلن تجد إلا تلك الأعمال التي تحكي بدورها عن الجرائم الناقصة وجوانب فشل الُمجرمين، لكنك لن تجد أبدًا كتبًا تخص أولئك الذين يقومون بالجريمة الكاملة؛ فهم لن يكشفوا عن خباياهم. إنهم حتى لا يقومون بعقد تلك الندوات الساذجة التي يقولون فيها للعالم ما الذي تعنيه الجريمة بالنسبة لهم؟ أو كيف أصبح أحدهم مُجرمًا مُتَمرسًا إلى هذا الحد؟

-ألا تظن أنك تُبالغ قليلًا؟

-لا أعرف، وكذلك لا أثق فيما يقوله الآخرون في ذلك الخصوص يا عزيزي، أشعر أن هناك يداً شيطانية وراء تلك القصة. فالمسألة ليست من قبيل الصدفة كما أنها لا ترتكز أبدًا على بذورِ النوايا الحسنة، فإذا سألتَ أحد الأطباء الشرعيين ستجده يُصارحك بشكوكه وتلك الأمور التي يشتبه بها إزاء تلك الجرائم التي عمل عليها، ربما يكشف لك أحدهم ذلك الأمر

خلال جلسة مفتوحة تُغلفها الصراحة والحالة المزاجية الجيدة، ربما حينها تجده يقول لك إنه يشك في شيءٍ ما لكنه لا يملك الشجاعة الكافية التي تؤهله لاتخاذ خطوة فعلية. فكما رأينا ما حدث لصاحبنا الدكتور كار في قضية السيدة أجاثا داوسون فقط لأنه كان أكثر شجاعةً من البقية!

-حسنًا لا يمكنه إثبات أي شيء، ولكن هذا لا يعني أيضًا أنه لا يوجد شيء يُفترض به إثبات وجوده! انظر إلى العشرات من الجرائم التي لم يُعثَر على أي أدلة تخصها مما جعل المُجرمين يفرون بعيدًا ويقومون بجريمةٍ وراء الأخرى.

-أمامك باملر على سبيل المثال، ذلك المجرم الذي قام بقتل زوجته وأمه وأطفاله الشرعيين لكنه نجا بفعلته تلك لفترةٍ طويلة من الزمن، حتى ارتكب أحد تلك الأخطاء التائهة التي أوقعت به في يد قوات الشرطة، لكنه ظل حُرًا يفعل ما يحلو له قبل ذلك، وانظر أيضًا إلى قصة جورج جوزيف سميث، ذلك المجرم الذي قتل زوجتيه ومَرَّ الحادث بسلام ولم ينكشف سره حتى قتل الزوجة الثالثة! كذلك الحال مع آرمسترونج ذلك الرجل الذي ارتكب جرائمه بكل جرأة وتَبَجُح من دون أن يعلم أحد عنه شيئًا على الإطلاق، ثم انكشف الأمر بعد سنواتٍ طويلة وكذلك الأمر ذاته ينطبق على بورك وهار اللذين قد قاما بقتل امرأة عجوز للمرة الأولى، ثم تمكنا لاحقًا من قتل ستة عشر شخصاً بطريقة أكثر حكمة.

-ولكن قوات الشرطة قد ألقت القبض عليهما في نهايةِ المطاف!

-لأنهما أحمقان! فلو قمت بقتل أحدهم بطريقةٍ همجية وحشية سوف يُستدَل عليك بسهولة، وإذا وضعت لأحدهم السم في الطعام بعدما كان يتمتع بصحةٍ ممتازة أو عندما تقتل شخصًا ما قبل أن يقوم بتدوين وصيته فكلها علامات ودلائل ينجح المُحَققون في استخدامها للإيقاع بالمجرمين. فقد

اعتاد هؤلاء المُعتدون استخدام تلك الأساليب القديمة التقليدية، وعلى هذا الأساس يسهل القبض عليهم. ولكن إذا اخترت ضحيةً شخصاً كبيراً ومريضاً تربطك به علاقة قرابَة متينة وتبذل قصارى جهدك في أن يظهر مشهد وفاته طبيعيًا أو ناجمًا عن حادثٍ ما، فالقاتل في هذه الحالة يحاول ألا يُكرر أخطاء المجرمين الحمقى سابقي الذكر ومن ثَم ينعَم بحالةٍ من الأمان. أقسمُ لك يا صديقي العزيز أن تلك الأسباب التي يتم تدوينها في شهادة الوفاة مثل التهاب الأمعاء أو ضعف عضلة القلب وغيرها ليست أسبابًا حقيقية للموت، فالجريمة هي عمل بالغ السهولة ولا تحتاج أن يتمرس فيها المُجرِم لفترةٍ من الزمن.

بدا الارتباك جليًا على وجه باركر وقال:

-في الواقع إنني أجد حكايتك تلك مُضحكة جدًا يا عزيزي، فلا أحد على الإطلاق يعرف ما الذي حدث في تلك الجريمة سوى السيدة داوسون ذاتها!

-إن قضية السيدة داوسون تُحيرني جدًا يا باركر. يا لها من قضية حقًا! تلك المرأة العجوز المريضة التي ستموت قريبًا وليس لديها أية علاقات اجتماعية مع أشخاص غرباء، وليس لديها أية خلافات تُذكَر، كما أنها لا تتصل بأصدقائها أو بجيرانها السابقين. أضِف إلى ذلك أنها كانت ثرية جدًا. يا إلهي يا تشارلز! إنني أقضي ساعاتي أتأمل وأفكر حقًا كيف وقعت تلك الجريمة الشنعاء على هذا النحو المثالي الذي لا يستهدف إثارة أي شكوك.

-حسنًا يا عزيزي، ولكن اسمح لي أن أُخبرك إنهُ لا قيمة لكل ما تقوم به على الإطلاق ما دمت لا تملك حافزًا حقيقيًا يدعم موقفك، فما الدافع الذي قد يُجبر أحدهم على القيام بذلك؟!، قالها باركر بعد أن استفزَّته محادثة صديقه بيتر.

-أعترف بذلك أيها المُحَقق باركر، فأنا إلى الآن لم أتوصل إلى أية دوافع منطقية حتى تجعل أحدهم يقوم بتلك الجريمة. لكني أريدك أن تثق بقدراتي وتمنحني الوقت الكافي حتى أُتقِن مهارتي وأمُسك بزمام الأمور لأكشف لك بدوري كافة التفاصيل الخفية. فكما قال أحد الحُكماء يومًا إنه بإمكان المرء بلوغ كل ما يريده فقط إذا استطاع أن يفكر بروية يا تشارلز. امنحني الوقت الكافي وسوف أقتفي آثار تلك الجريمة. أعدك!

الفصل التاسع

"إن إرادتنا هي تلك السمة الوحيدة المُتَحكمة في قوتنا أو ضعفنا"

تينسون، في الذاكرة

-مرحبًا أيها العامِل، من فضلك اتصل لي بهذا الرقم، أم أنه يتعيَّن عليّ أن أستمع إلى غناء البُلبل بدلًا من ذلك؟، قالها اللورد بيتر مازحًا ثم أضاف:

-أعتذر حقًا على وقاحتي تلك أيها العامل الشاب. قالها موجهًا حديثه إلى عامل الهواتف ثم قال:

-لقد كنتُ أحاول استعارة إحدى تلك العبارات التي قالها الشاعر وردسورث. حسنًا من فضلك قُم بالاتصال بهذا الرقم مُجَددًا. شكرًا لك، هل معي الدكتور كار؟، قالها اللورد بيتر مُتسائلًا

-أجل! حسنًا أتفهمك جدًا، لقد كنت على وشك إخبارك أننا اقتربنا من إثبات صحة كلامك فنحن نرغب في تَبني موقفك والدفاع عنك، هل من الممكن أن نصحبك إلى المنزل ونتناول بعض الحلوى والقرفة معًا؟ حقًا؟ هل حدث هذا؟ في واقع الأمر لقد تأكدنا يا دكتور كار أن الأمر أصبح جادًا، أجل كما قلت لك للتو. هل من الممكن أن تُرسل لي عنوان المُمرضة فوربس؟ حسنًا، رائع! سأبذل قصارى جهدي من أجل الالتقاء بها في هذا المكان من أجل بحث حيثيات وتفاصيل القضية. يُمكنني فعل ذلك وإنجاز مهمتي بسلام حتى وإن كانت تنتمي تاريخيًا إلى التتار، فأنا أيضًا أملك من الفطنة والمهارة ما يجعلني قادرًا على انتزاع تلك المعلومات التي أريدها بشدة، أخبرني أيها الطبيب هل تعمل تلك الممرضة في مجال التوليد أيضًا؟ هل لديها أعمال تقوم بها خلال تلك الفترة؟ هل أنت واثق من ذلك؟ في الواقع لا أريد

أن أمنعها من تأدية واجبها العام في خدمة الآخرين خلال مدة الاستجواب.
حسنًا هذا جيد أيها الطبيب

- إلى اللقاء أيها الطبيب! إلى اللقاء!. قالها اللورد بيتر ثم أغلق الهاتف وصَفَر بسعادة مُناديًا خادمه بانتر.

- هل أساعدك في شيءٍ ما يا سيدي؟

- من فضلك يا بانتر أخبرني أي الثياب تُناسِب عاشِق مُنتَظَر؟

- في الواقع لا أعرف يا سيدي، فأنا لم أرَ أحدث صيحات الموضة في مجال أزياء الرجال المُقبلين على الزواج. لكني واثق يا سيدي أن أي زي ستقوم بارتدائه سوف يسلب بدوره عقل المرأة ويُبهجها

- لسوء الحظ لا أعرف ذوق تلك المرأة جيدًا بعد، لكني أعرف تأثير الثياب الجيدة على عقول النساء فهي تحمل في حد ذاتها طابعًا يتسم بالجمالِ والأناقة والتهنئة الضمنية بشيءٍ ما لم يحدث بَعد والقليل من التوتر.

- فهمتك يا سيدي! أنت تقصد أن الموقف لشخصين مُقبلين على الزواج، حسنًا إذن أعتقد أنه من الأفضل أن ترتدي سترة طويلة شاحبة رمادية، وجوارب، وقُبعة خفيفة. لكني لا أنصحك أبدًا بارتداء وشاح يا سيدي فالقُبعة تكفي من أجل الوجاهة والمظهر الاجتماعي.

-لا شك أنك مُحِق يا بانتر، كما أنني سأرتدي تلك القُفازات التي تلطخت بالأمس مع الأسف في تقاطع شارع تشارينغ. أنا حقًا أريد أن يتم تنظيفها بأقصى سرعة فأنا قَلِق بشأن مظهرها للغاية.

-سوف أنتهي من تنظيفها في القريب يا سيدي لا تقلق. أضِف إلى ذلك أن وجود العصا سيكون راقيًا جدًا يا سيدي، فهي تُبرز المشاعر التي يُكنها الحبيب لحبيبته

-أنت مُحِق دائمًا يا بانتر. هل من الممكن أن تطلب لي سيارة أجرة وأخبر السائق أنني ذاهب إلى منطقة توتينج.

اعتذرت المرضة فوربس كثيرًا عن تأخرها وبدأت تتحدث مع اللورد بيتر حول عدة موضوعات قام لتوه بفتحها. حتى يتمكن من طرح بعض الأسئلة التي تخص قضية السيدة داوسون العجوز عليه فقط أن يتحدث معها عن إحدى السيدات جارات السيدة داوسون التي حدثته عنها السيدة كليمبسون التي تتعاون معه في التحقيق والعمل على هذا الملف. ثم قال لها إن تلك السيدة قد حدثتها عن روعة شخصيتها وكرم أخلاقها وكم هي إنسانة جيدة تُحب مساعدة كل الناس.

كانت الآنسة فوربس المُمرضة امرأة نحيلة في عقدها الرابع من العمر. استمر اللورد بيتر في محادثتها حيث إنه تظاهر أمامها أنه متزوج أيضًا من امرأة كانت تعمل في مجال التمريض والعناية الطبية، وأن زوجته كانت تعرف جارة السيدة داوسون الراحلة كما أنها حكت له الكثير عنها. استمر الحال على هذا المنوال حتى استطاع أن يتحدث معها عن تفاصيل عملها في مجال الخدمة الطبية. كما أنه تطرق إلى الحديث عن تلك المريضة التي كانت تسهر على راحتها لفترةٍ من الفترات وهي السيدة أجاثا داوسون. وبدأ يسألها عن صفات تلك المرأة وهل كانت حقًا عصبية المزاج خلال أيامها الأخيرة؟ هل كانت مُرتبكة وقَلِقَة من كل شيء؟

-لقد ارتبطتُّ كثيرًا بتلك المرأة فعندما كانت في كامل قواها العقلية كانت أكثر شخصية مُبهجة وودودة رأيتها في حياتي كلها! بالطبع كانت الآلام المُبرحة تُباغتها وكان علينا أن نُسَكِن أوجاعها تلك بحُقن المورفين لفتراتٍ طويلة من الزمن.

-يا للمسكينة! أتعرفين يا آنسة فوربس إنني أؤمن تمام الإيمان بمدى صعوبة الموقف برمته، تحديدًا عندما يمرض أولئك الذين نحبهم ويقعون أسرى لنوعٍ غريب من الآلام، حينها لا نعرف كيف يمكننا مُساعدتهم؟ كيف لنا أن نمد لهم يَد العون؟ ما السبيل إلى تحقيق ذلك؟ يصبح الموقف أكثر صعوبة تحديدًا عندما لا يكون بقاؤهم على قيدِ الحياة مُجديًا أصلاً! فها نحن نراهم يتعذبون طيلة الوقت من دون هوادة. إنهم موتى بشكلٍ عملي، في الواقع لا أعرف ما الجدوى من تركهم يُعانون بشدة على تلك الحالة؟

نظرت إليه الممرضة فوربس شذرًا:

-لا يمكننا التفكير على هذا النحو أيضًا، فنحن نتفهم احتياجات المريض وما يُفكر فيه، ومع ذلك لم يكن رأي طبيبها المُعالِج الدكتور كار حينها نفس رأيك هذا. قالتها بفتورٍ واضح.

-أتصور أن ما حدث كان صادمًا قليلًا؟، قالها اللورد بيتر ثم واصل حديثه:

-يا لتلك المسكينة العجوز! لقد قلت لزوجتي حينها إن تلك السيدة تبحث فقط عن الراحة! إنها مُنهكة مُرهقة استنزفت كل طاقاتها بغية الاستمرار في العيش من دون جدوى! ولقد اتفقت معي زوجتي وأيدت كل حرف نطقت به مع أنها كانت مُضطربة جدًا كما تعرفين

-في الواقع يا سيدي لقد كان ظرفًا مؤسفًا مُربكًا لنا جميعًا حتى إنني عشت خلاله أقسى لحظات حياتي. لقد أحببت تلك السيدة وتعلقت بها فقد كانت تُعاملني بطيبة ولكن ما حدث كان رهيبًا يفوق أي احتمال، يمكنني القول إنني بقيت صامتة لفترة طويلة من الزمن تفاديًا للحديث عن هذا الموضوع، ومع ذلك ها أنا أتحدث عنه الآن معك بما أنكَ فردٌ من العائلة وعلى علم بأحداث تلك القصة.

أومأ لها اللورد بيتر برأسه ثم سألها:

-ألم يبدُ لكِ يا آنستي أنَّ ثمة سِراً ما وراء حادث وفاة السيدة داوسون بتلك الطريقة؟، طرح سؤاله وثَبت يديه وراء ظهره

-هل تقصد أن هناك أمراً غامضاً يُحيط بالحادث نفسه؟، قالتها الآنسة فوربس مُتسائلةً

-أتعرفين يا آنسة فوربس أن هناك الكثير من الأطباء الذين يبذلون قصارى جهدهم من أجل التأثير على بعض النساء الثريات بغية كتابة وصيتهن لصالحهم، ألا تعتقدين أنه قد حدث أمرٌ كهذا؟

أوضحت السيدة فوربس أنه لم يكن من صميم عملها التفكير في تلك الأشياء

-لا بالطبع لا، لكن ـــ بيني وبينك ـــ لقد حدث أمرٌ مشابهٌ، فقد وقع شجارٌ بين السيدة أجاثا داوسون ومُحاميها الخاص، ألا تعرف شيئًا عن هذا الأمر؟

-أجل بالطبع لقد أخبرتني ابنة عمي ماري- فأنا أناديها بابنة عمي مجازًا ـــــ فليس هناك أي صلة قرابَة تجمع بيننا، لكنها إحدى أولئك الفتيات اللطيفات الطيبات لذا فقد أخذت فكرة عن الموضوع بدوري، ربما حدث ذلك لأن الآنسة ماري لم تكن ترغب في كتابة وصيتها وإرسالها؟ ألهذا السبب وقع الشجار؟

-يا إلهي! كم أنت مُخطىء يا سيدي! في الواقع لقد كانت الآنسة ماري ويتكار شديدة القلق على السيدة داوسون وتلهفت لمنحها كل الصلاحيات من أجل تحقيق كل ما تُريده، حتى إنها طلبت مني إجابة كل رغباتها وأمنياتها على الفور، أعتقد أنني لا أرتكب خطأً بإخبارك أمراً كهذا الآن، فأنت في نهاية المطاف صديق للعائلة كما أنها قالت بالحرفِ الواحد:

-إذا أرادت السيدة داوسون التَحدث إلى المُحامي فعليكِ إذن بتحقيق رغبتها فورًا وأرسلي إليه من أجل القدوم إلى المنزل، وقد قمت بذلك بالفعل.
-حقًا؟ هل جاء المُحامي إلى المنزل؟
-لقد جاء بالطبع، فلم يكن هناك أي مشكلة في ذلك على الإطلاق
-حسنًا إذن لقد ظهر المُحامي ثم دارت بينهما تلك الثرثرة العائلية المُعتادة التي قد تصل إلى حد المُشاجرة، أليس كذلك؟ ولكن اسمحي لي يا آنستي: أعتقد أنني أسأت فهم ذلك الجزء. فما أذكره أن السيدة جارتنا قد قالت إنه ما من أحدٍ على الإطلاق قد أرسل برقية إلى المحامي حتى يأتي!
- في الواقع لا أعرف شيئًا عما قالته الجارة، ولكن لم يأخذ أحد رأيها على الإطلاق في أي شيء، لم يحدث هذا. كل ما في الأمر أن بعض الناس يُراودهم هذا النوع الغريب من الأفكار التي ترتكز على نظرية المؤامرة.
-أتقصدين بسؤالك، لماذا لم يُرسِلوا إليه وهناك وصية بالفعل؟!
- أنا لم أقل ذلك أبدًا يا سيدي فلم يكن هناك وصية أصلًا. فلقد جاء المُحامي إلى المنزل بهدف إعداد توكيل رسمي للآنسة ويتكار حتى يقوم بتجهيز الأوراق وإعدادها بنفسه. كان هذا ضروريًا فالسيدة داوسون سقطت أسيرة المرض وقلة الحيلة خلال تلك المرحلة الحرجة الحساسَة.
- أجل، أعتقد أنها كانت على شفا الانهيار بالتزامُن مع نهاية هذا الوقت.
- لقد كانت شديدة الحساسية، تلك الحالة التي ظهرت عليها تحديدًا عندما توليت مهمتي بدلًا من الممرضة الأخرى الآنسة فليتر. فقد كانت تتوهم أن أحدهم يُخَطط لأن يضع لها السم في الطعام بالطبع.
- هل كانت حقًا خائفة من ذلك؟
- لقد قالت ذلك مرة أو مرتين، فقد حدثتني يومًا:

-لن أموت لأُسعِد أحدهم أيتها الممرضة! لن أُنهي حياتي على هذا النحو!، لقد كانت تضع كامل ثقتها فيّ. في حقيقة الأمر لقد كانت السيد داوسون تُفضل التعامل معي على التعامل مع الآنسة ماري ويتكار. إنني أُصدقك القول يا سيدي ولكن خلال شهر أكتوبر بدأت تفقد السيطرة على عقلها تدريجيًا. لقد كانت تتجول في أرجاء غرفتها بشكلٍ مُربِك كما أنها كانت تستيقظ مرةً واحدة في منتصف الليل مذعورة ثم تقول:

-هل مروا الآن أيتها الممرضة؟

على الرغم من أني لم أفهم ما تود قوله على وجه التحديد إلا أنني كلما طمأنتها قائلةً:

-أجل، لقد مروا من هنا للتو، كانت تهدأ وتعود إلى نومها مُجَددًا. إنني ألتمس لها العُذر يا سيدي، ففي أيامها الأخيرة تلك وقعت أسيرة لتلك المُهدئات وحُقن المورفين التي جعلتها تنام نصف الوقت تقريبًا حتى إنها كانت تهذي في أحلامها بشكلٍ مسموع وكأنها تحت تأثير المواد المُخدرة، وفي الشهر الأخير أفترض أنها كانت ترغب في كتابة وصيتها مع أنها فقدت القدرة على القيام بذلك.

-ربما لا أظن أنها قامت بذلك بسبب عجزها عن التَحكم في عقلها، ولكن قبل أن تصل إلى تلك المرحلة ببعض الوقت هل كانت تفكر في ذلك؟

-أفترض ذلك تحديدًا خلال زيارة مُحاميها الخاص لها

-ولكن هل كتبت وصيتها حينها؟

-كلا، لا أعتقد ذلك، أقول هذا بكل ثقة لأني كنت أجلس برفقتها طيلة الوقت تقريبًا بناءً على طلبها الشخصي

-أفهم ذلك كانت برفقتكِ، وكذلك الآنسة ماري ويتكار

-حتى الآنسة ماري ويتكار لم تكن موجودة طيلة الوقت برفقة السيدة داوسون. يمكنني فهم ما ترمي إليه يا سيد داوسون لكني أُطالبك بالتَخَلُص من أية شكوك تتعلق بالآنسة ويتكار. فقد كنت برفقة السيدة العجوز والمحامي بمفردنا لمدة تصل إلى ساعة عندما قام بإخراج بعض الأوراق الرسمية المطلوبة وقام بوضعها في غرفة المكتب. انتهى الأمر عند هذا الحد حيث كنا نرى أن زيارة أخرى كتلك قد تودي بحياة السيدة أجاثا داوسون في الحال، ثم انضمت إلينا الآنسة ويتكار في حالة تامة من الهدوء. فلو كانت السيدة داوسون تملك رغبة ما لكتابة الوصية لأمكنها تنفيذها في الحال.

-أنا سعيد لسماع ذلك، قالها اللورد بيتر ثم تأهب للصعود

-في الواقع إن تلك الشكوك هي التي تخلق بدورها حالة من زعزعة الاستقرار الأسري بشكلٍ عام كما تعرفين يا سيدتي، أعتقد أنه يتعيَّن عليّ الرحيل الآن. أعتذر بشدة لعدم تمكني من القدوم يا آنستي. ستصاب زوجتي بالإحباط الشديد نظرًا لعودتي بمفردي من دونك. إلى اللقاء.

خلع اللورد بيتر قبعته ثم توجه إلى الأمام بخُطى ثابتة وأوقف سيارة أجرة وحك رأسه مُتأملًا الأمر في صمت وغمغم قائلًا:

-ها هي الافتراضية الأخرى تُثبِت عدم صحتها! حسنًا من المؤكد أن هناك سيناريو آخر لتلك الجريمة الغامضة المُدَبرة. ثمة خطوة مهمة يجدر بي القيام بها في القريب.

الجزء الثاني
المشكلة القانونية

"ينبغي لنا تأُمل القضية في ضوء الأحكامِ السابقة."

السير إدوارد كوك

الفصل العاشر

"الوصية! الوصية! كل ما يعنينا الآن هو الاستماع إلى وصية القيصر."

يوليوس قيصر

-يا إلهي! كم أفتقدك يا آنسة إيلفين! يا لكِ من فتاةٍ مسكينة!، قالتها المرأة صاحبة المنزل بينما بدا الارتباك جليًا على تلك الفتاة الرشيقة الطويلة التي كانت تتلحف باللونِ الأسود، ثم بدأت تنظر حولها بارتيابٍ ظاهِر وقالت في تَرَدُد:

-ولكن لماذا أتيتِ إلى هنا يا سيدتي العزيزة؟ فلم يكن يتعيَّن عليكِ إرهاق نفسكِ إلى هذا الحَد من أجل لقائي!

-أنا سعيدة للغاية لإتاحة تلك الفرصة لي يا عزيزتي، والشكر يعود إلى هؤلاء الرجال الأفاضل المُحترمين، قالتها مالكة المنزل ثم ضمت الفتاة إلى حضنها وتشبثت بها وسط كل هذا الزحام الذي يحتشد في كل مكان من حولهما.

وضع أحد رجال الشرطة الأكبر سنًا يده على كتف الفتاة حتى يُرشدها إلى الطريق، ثم لوح بغتةً وسط الزحام الذي يشق الطريق الخانق.

-أيتها الفتاة المسكينة! إنني حقًا أُشفِق عليكِ فلقد قطعتِ كل هذه المسافة بمفردكِ وها هي الآنسة بيرثا في قبرها الآن. يا له من وضعٍ مؤسِف مُحزِن! فلماذا ترحل فتاة جيدة مثلها على هذا النحو المُنذر بالشؤم؟

-إنني أفكر أيضًا في أمي المسكينة!، قالتها الفتاة ثم أضافت:

-في الواقع لم أستطع المقاومة، حيث إنني أخبرت زوجي بما حدث وقلت له إنه ينبغي عليَّ الرحيل على الفور، وقد قال لي حينها:

-كم أتمنى يا عزيزتي القدوم معكِ، لكن ليس بمقدوري القيام بذلك في

الوقتِ الراهن فلا يمكنني ترك شؤون المزرعة هكذا كما تعلمين. وإذا كنتِ تودين الذهاب بالفعل لا تترددي من فضلك، فأنا أُقدر تلك الظروف الحرجة المُفاجئة وأُشفِق عليكِ كثيرًا

-أوه! يا له من شخصٍ طيب نبيل! لطالما كان السيد كروبر زوجك يتحلى بأخلاقٍ جيدة حميدة يا عزيزتي

-كدت أن أنسى. اسمحي لي يا عزيزتي أن أُقدم لكِ هؤلاء الرجال الأفاضل المحترمين الذين قد ساعدوني على قطع تلك المسافة والالتقاء بك الآن. إليكِ السيد بيتر ويمسي ورفيقه المُحَقق باركر. ربما تعرفتِ على أسمائهما من خلال ذلك الإعلان سابق الذكر المنشور في الجريدة، والذي أعتقد أنه السبب الرئيس في وقوع تلك الحادثة لشقيقتك الآنسة بيرثا. إنني أؤمن فعلًا أن هذا الإعلان كان بداية كل شيء. كم أتمنى أني لم أقم بعرضه على شقيقتك، لكن ما أنا واثقة منه أن نوايا رجال الشرطة كانت جيدة جدًا. فعندما التقيت المحققين بيتر وباركر تأكدت أن ظنوني لم تكن في محلها.

- سُررت بلقائكما، قالتها السيدة كروبر ثم استدارت مُحدقةً في الرجلين مُضيفةً:

- لقد حصلت على خطاب من شقيقتي المسكينة بيرثا قبل أن أُسافر على متن القارب مُتوجهةً إلى كندا. لم أكن قادرة على التصرف بهذا الخطاب، لكنني أرحب بشدة إذا كانت هناك تفسيرات لذلك الأمر العجيب، هل حقًا يقول الناس إنها جريمة قتل؟

- في الواقع يا آنسة إيلفين على الرغم من أن كل التحاليل والتحقيقات قد أسفرت عن أن الوفاة طبيعية، لكننا نشعر أن هناك تناقضات وأقوالاً مُتضاربة في ذلك الأمر، وسنكون مُمتنين لكِ بشدة إذا حصلنا على مساعدتكِ

في بحث المسألة بشكلٍ دقيق. كذلك نود أن نسألك عن شيءٍ آخر ربما يكون له علاقة بالحادث من قريبٍ أو بعيد فقط إذا سمحتِ لنا بذلك.

-بكل تأكيد يا سيدي، قالتها الآنسة إيلفين ثم استطردت:

-أنا واثقة أنك مُحَقق نبيل، فالسيدة مالكة المنزل لا تثق في الأشخاص بسهولة وبما أنها قد أجابت على استفساراتك السابقة بشأن القضية بكل أريحية واطمئنان فتأكد أنني سأقوم بالأمر ذاته وسأُخبرك بكل شيءٍ أعرفه. فقط لا أريدك أن تؤخرني لأنه يتعيَّن عليّ الذهاب مُباشرةً إلى منزل أمي. إنني أُشفِق عليها حقًا فلقد أحبَت بيرثا من أعماقِ قلبها، كما أن شقيقتي الراحلة هي مَن كانت تهتم بها وترعاها طيلة الوقت وتسهر على راحتها لأنها تعيش بمفردها تمامًا في منزلها الصغير، ناهيك عن تلك الصدمة المُوحشة التي تُصيب الأم عندما تفقد ابنتها فجأة.

-اطمئني يا آنسة إيلفين سنبذل قصارى جهدنا حتى لا نؤخرك عن موعدك المُحَدد، قالها السيد باركر ثم واصل حديثه:

-فإذا سمحتِ لنا سوف نصحبك إلى لندن لنطرح عليكِ بعض الأسئلة خلال رحلتنا إلى هناك، وكذلك أيضًا لنأخذك بأمان في نهاية المطاف إلى منزل السيدة جوتوبيرد حتى وإن كان يبعد عن هنا كثيرًا

-إن منزل السيدة جوتوبيرد يقع في منطقة كريست تشيرش بالقرب من بورنموث، قالها اللورد بيتر ويمسي

-سوف نصطحبك إلى هناك على أية حال. لن نُهدر الوقت. أتمنى ألا يُشعرك ذلك بالقلقِ أو التوتر

-أرى أنكم تعرفون الكثير من التفاصيل الأخرى أيها السادة؟ أليس كذلك؟، سألتها الآنسة إيلفين مُتعجبةً

-أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب الآن حتى لا نفقد موعد القطار، اتفقنا؟
-حسنًا هيا بنا، قالها المُحَقق باركر
-هل تسمحين لي بالإمساك بذراعك سيدتي، قالها المُحَقق بلطف ثم وافقت الآنسة إيلفين على طلبه، وتقدموا جميعًا بخُطى ثابتة نحو محطة القطار بعد الانتهاء من الكثير من الإجراءات الشكلية.
عندما تمكنوا من الوصول إلى الجدارِ العازل اندهشت الآنسة إيلفين قليلًا، ثم مالت إلى الأمام وكأنَّ ثمة شيئاً ما قد حاز على انتباهها فجأة.
-ما الأمر يا آنسة إيلفين؟، همسَ لها المُحَقق بيتر ويمسي
-هل تعرفتِ على أحدهم للتو؟
-هل كان واضحًا عليّ إلى هذا الحد؟ في الواقع أجل لقد ظننت أنني رأيت إحداهن للتو لكنها اختفت فجأة من المشهد. ربما ليست هي! ربما أنا فقط أتوهم بعض الأمور في الوقتِ الراهن.
-مَن هي؟ هل يمكنكِ إخبارنا؟
-أعتقد أنها الآنسة ماري ويتكار التي كنت أعمل لديها برفقة شقيقتي بيرثا لبضعة أشهر
-أين كانت؟
-أسفل هذا الجدار العازل مُباشرةً، لقد رأيتها، فهي امرأة سمراء طويلة تعتمر قبعة قرمزية وفراءً رمادياً. لكنها رحلت الآن.
-التمسوا لي العُذر، قالها اللورد بيتر ثم تركهم وتوجه بدوره ناحية الزحام.
لم يلتفت السيد باركر إلى سلوك صديقه غريب الأطوار، لكنه فقط قاد السيدتين إلى عربة الدرجة الأولى، وهناك أمسكت الآنسة إيلفين كوربر بتذكرتها وأعربت عن دهشتها عندما وجدت تلك العبارة مُدَونَة فيها والتي

تقول:
"محجوزة من أجل اللورد بيتر ورفقته"
احتجت الآنسة إيلفين وأرادت أن تدفع ثمن تذكرتها بنفسها لكن المُحَقق باركر أكد لها أن كل شيء قد تم دفعه من جانب قوات الشرطة، وأنه يتعيَّن عليهم الالتزام بتلك الإجراءات المُحَددة حفاظًا على سرية وأمان التحقيقات.
-هل سنترك صديقك هنا؟، سألته الآنسة إيلفين عندما تحرك القطار.
-ليس لديّ فكرة. إنه يتصرف بغرابَة اليوم. قالها المُحَقق باركر ثم بدأ في طي وشاحه أثناء استقراره جالسًا في مقعده، وكذلك خلع قبعته السابقة وقام باعتمار إحدى قبعات السفر التقليدية بدلًا منها.
شعرت الآنسة إيلفين بالقلق الشديد ولم يكن بمقدورها إخفاء استيائها الشديد الناجم عن ركوب تلك العربة العتيقة جدًا التي تبدو وكأنها تنتمي أصلًا إلى العصر الفيكتوري. فلم تكن تعرف لِمَ تضطر للقيام بذلك؟
في الواقع لقد كانت أزياء السيد باركر نفسه تبدو شديدة الكلاسيكية. أخص بالذكر تلك القبعات العجيبة التي كان يحرص على اعتمارها على الدوام، والتي تبدو وكأنها قادمةً من عالمِ آخر ينتمي إلى إحدى تلك المدارس القديمة.
لم يرَ أحد اللورد بيتر لمدة ربع ساعة من الزمن حتى ظهر بغتةً من العدم راسمًا تلك الابتسامة العريضة على وجهه قائلًا:
- رأيت امرأة صهباء تعتمر قبعة قرمزية، وكذلك رأيت ثلاث نساء يرتدين ملابس داكنة ويعتمرن قبعات بنفس اللون، ورأيت الكثير والكثير من النساء يتجولن في الحانة مرتديات تلك الأزياء الترابية، ناهيكِ عن بعض أولئك اللواتي كن يرتدين قبعات زرقاء، والمراهقات السعيدات! بالانتقال في أرجاءِ

المكان في حالةٍ تامةٍ من المرح. لكني لم أرَ أبدًا امرأة بتلك المواصفات التي ذكرتها الآنسة إيلفين كروبر. هناك الكثير من النساء هناك يجبنَ الطرقات في ابتهاجٍ، لكن ما من واحدةٍ منهن ينطبق عليها ما رأته السيدة إيلفين.

- في حقيقة الأمر لقد قررت العودة إلى القطار والبحث هنا من جديد عن امرأة بتلك المواصفات. فهناك امرأة أشتبه أن تكون هي ذات المرأة التي قدمتِ لي أوصافها يا آنسة إيلفين. في الواقع لم أتمكن من رؤية وجهها جيدًا. هل تسمحين بالقدوم معي لبعض الوقت للقيام بجولة بين مقصورات عربة القطار للتَعرف عليها.

وافقت السيدة كروبر على الفور راسمةً تعبير الدهشة على ملامحها وقالت:

-حسنًا يا سيدي المُحَقق.

-ولكن من فضلك يا آنسة إيلفين إذا رأيتِ تلك المرأة لا تُعبري عن ذلك أبدًا، فمن الأفضل أن تلتزمي الصمت التام. كل ما أُريده منكِ أن تتجولي في أرجاء عربة القطار وتُراقبي الرُكاب جيدًا حتى تجدي وجه تلك السيدة. وحينها تقومين بمنحي إشارةً ما. أظن أنه يجدر بكِ السير خلفي، اتفقنا؟، قالها اللورد بيتر ويمسي ثم أشعل سيجارته ووقف يُدخنها بغموض أمام موقع تلك المرأة المُشتبَه بها فهو يعرف جيدًا أن مناوراته وخدعه تلك تنجح في إنجاز كل المهام التي يرغب في تحقيقها بدوره.

اقتربت الآنسة إيلفين كروبر من السيدة المُشتبَه بها وراقبتها جيدًا لكن النتيجة كانت مُحبطة جدًا فلم تكن هي نفس السيدة التي رأتها منذ قليل. قاموا بجولة طويلة بين كل مقصورات عربة القطار وتنزهوا من مكانٍ إلى مكان متأملين وجوه الرُكاب، لكن رحلتهم الخاطفة تلك لم تكشف عن أي نتيجة.

-يتعيَّن علينا أن نترك هذا الأمر للخادم بانتر، سوف أخبره بمواصفات

الآنسة ماري ويتكار الشكلية حتى يبدأ في التفتيش عنها على طريقته. أما الآن فيجدر بنا الذهاب برفقتكِ يا آنسة إيلفين إلى الأسفل حتى نطرح عليكِ بعض الأسئلة الهامة التي تخص حادث وفاة شقيقتك والتي نتمنى حقًا أن تُقدمي إجاباتٍ وافية عنها، هل أنتِ مُستعدة للقيام بذلك؟ فنحن لا نرغب أبدًا في إزعاجك أثناء التحقيق، فكل ما نحن بحاجته فعلًا أن تقدمي لنا كل هذه الاقتراحات التي تظنين أنها ستكون مفيدة في هذا التحقيق.

- في الواقع هناك أمرٌ واحدٌ فقط أريد قوله يا سيدي المُحَقق، وهو أن بيرثا فتاةٌ جيدة، وعلى هذا فإنني على أتم الاستعداد للإجابة على أي سؤال.

- أريد أن أؤكد لك يا سيدي المُحَقق أن ما حدث مع شقيقتي هو أمرٌ غريبٌ مُدبرٌ، فهي لم تكن من ذلك النوع من الفتيات الطائشات اللواتي يتسكعن مع الرجال وسط الغابات، فلقد ارتبطت بأحد أولئك الرجال المُحترمين، وكانا يخططان للزواج في القريب، فأنا أعرف جيدًا ذلك الحديث الظالِم الذي ينشره أبناء البلدة حول شقيقتي وخطيبها. صدقني أيها المُحَقق ما كانت شقيقتي بيرثا لتقوم بشيءٍ كهذا، فهي فتاة شديدة الأمانة دَمِثة الأخلاق. لو أنك قرأت خطابها الأخير بنفسك لتأكدت من أنها كانت ألطف فتاة على الإطلاق، فكل ما كانت تتحدث عنه هو تطلعها لتعيش حياة زوجية سعيدة، ففتاة كتلك من المستحيل فعلًا أن تتسكع في أرجاءِ البلدة المُنعزلة برفقة أحدهم، أليس كذلك يا سيدي؟! في الواقع أنا لست قادرة على التفكير في حلٍ منطقي لتلك القضية.

أخذ اللورد بيتر الخطاب ثم تأمله قليلًا وأعطاه بسرعة لرفيقه المُحَقق باركر.

- نحن لا نعتقد ذلك أيضًا يا آنسة إيلفين، وعلى أية حال نشعر ببالغ السرور لأنكِ كشفتِ لنا عن وجهة نظرك الخاصة في تلك القضية، ولكن أخبريني:

هل تعتقدين أن أختكِ مثلًا قد وقعت أسيرة لخداع امرأة ما من أولئك النساء اللواتي كانت تعمل معهن، وأنها تعرضت إلى صدمة كبيرة في نهاية المطاف أدت إلى موتها على هذا النحو؟ هل كانت شقيقتك حَذِرَة بطبيعتها؟ هل كانت على اطلاع بخدع وحيل أهالي لندن؟

قالها اللورد بيتر موجزًا نظرية زميله المُحَقق باركر الذي قد تحدَّث فيها عن احتمالية تورط السيدة فورست في مسألة اختفاء الفتاة، وذكر مسألة تناولها الطعام في شقتها.

-حسنًا يا سيدي في الواقع لم تكن شقيقتي بيرثا فتاة لئيمة، لكنها على النقيض بدت أكثر براءةً مني، فقد كانت تفترض حُسن النوايا أثناء تعاملها مع الناس من حولها على الدوام. كما أنها كانت تضع فيهم كامل ثقتها حتى وإن كانت لا تعرفهم جيدًا على خلاف شخصيتي، فأنا أُشبه أمي إلى حدِ التطابق ولا أثق بأحدٍ بسهولة، لكن أختي بيرثا كانت تتصف بالطيبة الشديدة وبالبراءة تمامًا مثل أبي. لقد حذرتها مرارًا وتكرارًا من التَحدُث إلى نساء غريبات والتعامل معهن بتلك الطريقة، فهي تتعرف عليهن بشكلٍ عشوائي في الشوارع والأزقة لذا كان عليها أن تضع هذا الأمر ضمن أولوياتها.

-أجل بالطبع، قالها اللورد بيتر

-من المؤكد أنها قد خرجت برفقة إحدى أولئك السيدات مؤخرًا. أجل، لقد حدثتني عن إحداهن ذات مرة في خطاباتها، حيث قالت إنها تعرفت على سيدة كريمة وطيبة وأنها تعمل لديها في مجال الخدمة. فقد كانت أختي تبذل قصارى جهدها من أجل تغطية نفقاتها الخاصة من خلال العمل في بضعة منازل في تلك البلدة التي كانت تسكن فيها، ولكن لا أعرف إن كانت قد أتت على ذكر تلك السيدة مؤخرًا في آخر خطاب أرسلته لي، وهذا أمر

عجيب فهي دائمًا ما تُحدثني عن زبائنها في كل رسالة تبعث بها إليّ.

-حسنًا، حديثك هذا يا سيدتي يأخذنا إلى نقطة أخرى مختلفة قليلًا عما نود الاستفسار عنه، فنحن نريد أن نسألك عن فترة عملكِ برفقة شقيقتك في منزل الآنسة ماري ويتكار. إنني أتساءل إن كنتِ مهتمة حقًا بإخبارنا عن سبب مُغادرتكما هذا العمل هناك في تلك الفترة الزمنية؟ ألم يكن مكانًا جيدًا بما يكفي؟

-أجل يا سيدي لقد كان مكانًا جيدًا، لكنه مختلف بعض الشيء عن طبيعة تلك الأماكن العامة الأخرى التي كنا نعمل فيها في السابق. فمنزل ضخم فاخر مثل هذا لا يتشابه أبدًا مع أجواء المطعم الشعبي الذي عملتُ فيه برفقة شقيقتي بيرثا. أضِف إلى ذلك تلك الساعات الطويلة التي كنا نقضيها في انتظار السيدة العجوز مالكة المنزل ومع هذا فالسيدة كانت كريمة وعطوفة وطيبة وفي تلك اللحظة التي اشتد عليها فيها المرض...

- بدأت الآنسة ويتكار في التَحَكُم في كل شيء، أليس كذلك؟

- أجل يا سيدي، ومع ذلك لم يكن الوضع صعبًا فالكثير من الفتيات كن يحقدن علينا بسبب عملنا في مكانٍ كهذا، ولكن ربما كانت السيدة ماري ويتكار مُتشَددة بعض الشيء.

- هل كانت كذلك فيما يتعلق بالخزف الصيني؟

- أجل، هل أخبروك بذلك الأمر؟

- لقد أخبرتهم يا عزيزتي، قالتها السيدة مالكة المنزل مُضيفةً:

-لقد أخبرتهم كل شيء منذ تلك اللحظة التي غادرتما فيها المنزل وذهبتما إلى لندن للبحث عن فرصة عمل أخرى

- ولقد أذهلنا ما سمعناه من السيدة!، قالها المُحَقق باركر ثم أردف قائلًا:

- إنني لا أفهم حقًا لماذا تصرفت الآنسة ماري ويتكار على هذا النحو المُندفع؟ فكيف لها أن تقوم بطرد فتاتين مُنضبتتين لبقتين بهذه الطريقة لسببٍ تافه؟

-أنت مُحِق يا سيدي، فكما قلت لك آنفًا كانت بيرثا هي الفتاة الوحيدة التي تضع ثقتها الكاملة في الآخرين، حتى إنها اعتبرت نفسها قد ارتكبت خطأً واضحًا لا يُغتَفر بالفعل عندما كسرت إحدى تلك الأواني، واعتبرت أن إرسال الآنسة ماري ويتكار لنا إلى لندن يعدُّ تأديبًا مُخَفَفًا ينُم بدوره عن كرم أخلاقها! من ناحيتي كان لي رايٌ مختلفٌ في تلك القصة والذي يتجاوز ما تراه العين، أليس كذلك يا سيدة جوفير؟

- أجل يا آنسة إيلفين! لقد قمتِ بذلك بالفعل وقُلتِ إنكِ لا تصدقين أن الآنسة ماري ويتكار قد قامت بطردكما من المنزل بسبب كسر إحدى الأواني، فالأمر يُشير إلى وجود سبب غامض آخر كما أنني اتفقت معكِ حينها. أتذكر كل هذا جيدًا.

- وهل ظننتِ يا آنسة إيلفين أن قرار تسريحكما من العمل كان له علاقة بذلك الحادث الذي وقع لاحقًا؟

- أجل لقد اعتقدت ذلك حينها، ولقد قلت لبيرثا شقيقتي هذا لكنها لم تكن تستمع إليّ، فكما قلت لك لقد كانت شخصيتها طيبة جدًا لا تفترض أية نوايا سيئة تمامًا كما والدي. لقد قلت لها بالحرفِ الواحد:

-يجدر بكِ تَذَكُر كلامي جيدًا فالآنسة ماري ويتكار ما كانت لتسمح لنا بالبقاء في المنزل لوقتٍ أطول بعد ذلك النزاع الذي نَشَب بينها وبين السيدة داوسون العجوز

-ما هي طبيعة ذلك الخلاف؟، سألها المُحَقق باركر

-في الواقع لا أرى أنه من الضروري أن أُخبرك شيئًا عن هذا الأمر يا سيادة

المُحَقق، فقد انتهى كل شيء الآن وقد قطعنا وعدًا في السابق ألا نتحدث عن تفاصيل تلك المُشاجرة.

-أجل بالطبع يحق لكِ ذلك يا آنسة إيلفين. قالها السيد باركر ثم نظر إلى وجه رفيقه اللورد بيتر مُتفقدًا ملامحه قبل أن ينفجر الأخير مُتحدثًا فجأة:

-المسألة برمتها تعتمد على ضميرك يا آنسة إيلفين، فيمكنكِ التحدث إذن إذا كنتِ تعتقدين أن حديثكِ سوف يساعدنا في العمل على تلك القضية وحل لغزها. فإذا أردتِ تغيير رأيك من أجل هذا الغرض سنكون شاكرين جدًا. فهذه المعلومات هي الأكثر أهمية بالنسبة إلينا على الإطلاق، كما أنها لن تورطكِ في أية مشاكل. في حقيقة الأمر يمكنني القول إن شهادتك في تلك القضية لن تعود بالنَفع علينا في التحقيق الخاص بموت السيدة داوسون، لكنها أيضًا ستفيدنا في إلقاء بعض الضوء على مأساة وفاة شقيقتك المُفاجئة

- حسنًا يا سيدي، بما أنك ترى أن شهادتي على هذا القدرِ من الأهمية، سأتحدث عن ذلك الخلاف مع أني لا أعرف ما هي حلقة الوصل بين القضيتين، فعلى أي حال لقد قطعت وعدًا في السابق ألا أتحدث حول تلك المُشاجرة أمام أحد أهالي البلدة، فقط حتى لا يتخذوا من هذا الموضوع مُبَرِرًا لثرثرتهم الطويلة التي لا تنتهي.

-لا علاقة لنا الآن بأهالي البلدة يا آنسة إيلفين. قالها باركر مُضيفًا:

-فالمسألة كلها لن تتجاوز أسوار السِرية والعمل الرسمي إلا إذا كان الأمر ضروريًا وكنت بحاجة فعلية ماسة لإخبار الأهالي لاحقًا.

- حسنًا، ذات صباح استيقظت الآنسة ماري ويتكار مُبكراً خلال شهر سبتمبر وجاءت إليّ ثم حدثتني وكذلك شقيقتي بيرثا وقالت:

- يا فتيات، أريدكما أن تذهبا على الفور من أجل الحضور الآن عند المصعد

المُجابِه لغرفة نوم السيدة أجاثا داوسون، لأنني قد أتوجه إلى هناك من أجل تَفَقُّد توقيعها الخاص على الأوراق. كما أننا بحاجة اثنين من الشهود فمن المفترض أن تتواجدا معنا في الغرفة من أجل الاطلاع على كل تلك الإجراءات الروتينية. وعلى هذا فعندما أعطيكما الضوء الأخضر يجدر بكما القدوم بسرعة إلى الداخل لتشهدا ذلك من دون إثارة المزيد من الصَخَب. فنحن لا نريد إحضار أشخاص كُثُر إلى غرفتها وهي في هذه الحالة الحرجة، فكل ما ينبغي عليكما فعله هو أن تشهدا لحظة توقيعها العقود، ثم تشرعا في التوقيع بأسمائكما في المساحة المُخصصة التي يمكنني إرشادكما إليها، مفهوم؟ الأمر في غاية السهولة. فقط قوما بتوقيع اسميكما في تلك الخانة المُواجهة لعبارة "توقيع الشهود". كانت شقيقتي بيرثا مُترددة كثيرًا، كما أنها كانت تخشى مسألة توقيع العقود وكل هذه الأشياء وحاولت بكل السُبل التَهرُب من الموضوع.

-ألا يمكن للمُمرضة التوقيع بدلًا مني؟، قالتها

كانت المُمرضة فليتر تعمل حينها في تلك الخدمة، تلك الفتاة الصهباء التي خطبها الدكتور كار كما تعلم. لقد كانت امرأة لطيفة جدًا وقد أحببناها كثيرًا.

-خرجت المُمرضة فليتر للتَجول في الخارج قليلًا، قالتها الآنسة ويتكار بنبرةٍ حادة

-أريدك أن تقومي بتلك المهمة بالتعاون مع شقيقتك. قالتها ثم نظرت إلينا مليًا

قلنا لها إننا لا نُمانع ذلك، وعلى هذا صعدت الآنسة ماري ويتكار الدرج العلوي حيث غرفة السيدة أجاثا داوسون مُمسكةً بمجموعة من الأوراق المُكدسة وقد لحقتُ بها حينها وانتظرتها عند المصعد كما قالت.

-دقيقة واحدة يا سيدتي من فضلك، هل كانت السيدة أجاثا داوسون مُعتادَة على توقيع الكثير من الأوراق في المنزل؟

-أجل يا سيدي، لقد اعتادت القيام بذلك في معظم الأحيان تقريبًا، لكن الشهود في تلك الحالات السابقة كانت المُمرضة فليتر والآنسة ماري فقط، فقد كانت السيدة داوسون تملك بدورها الكثير من الأراضي والعقارات ومن ثَم فكانت هناك الحاجة الدائمة إلى توقيع تلك الأوراق، ناهيك عن السندات القادمة من البنك وأيضًا بعض القسائم الشرائية وغيرها.

-حسنًا نتفهم ذلك، قالها المُحَقق باركر

في الواقع يا سيدي أتمنى أن تلتمسوا لي العُذر، فأنا لا أعرف الكثير من الأمور فيما يتعلق بالمسائل المادية. ففي حياتي كلها لم أشهد من قبل سوى توقيعٍ واحدٍ كما أتذكر، وقد كان الأمر مُختلفًا كُليًا عن تلك الواقعة، فحينها أرسلَت لي الوثيقة مُوَقعة بالفعل، فلم يكن هناك أية حاجة للقيام بالتوقيع في الخانة الفارغة.

-أعتقد أن السيدة أجاثا داوسون كانت ما تزال قادرة على إدارة أمورها خلال تلك المرحلة أليس كذلك يا آنسة إيلفين؟

-أجل يا سيدي فلقد كانت قادرة على القيام بأي شيء خلال تلك المناسبة لكنها انهارت كُليًا في وقتٍ لاحق. فحينها بدأت تفقد عقلها تدريجيًا وسقطت أسيرة تحت رحمة المواد المُخدرة المُهدئة.

وقعت الآنسة ماري ويتكار الأوراق.

-هل كانت تُوقَع على الأوراق بقوة التوكيل الرسمي؟، قالها باركر

أومأت الآنسة إيلفين.

-حسنًا وهل قمتِ بالتوقيع على تلك الأوراقِ الغامضة؟

-كلا يا سيدي وسوف أُخبرك الآن عما آلت إليه الأمور. فعندما كنت أنا وشقيقتي بيرثا ننتظر خارج الغرفة جاءت إلينا الآنسة ماري ويتكار وطلبت منا أن ندخل غرفة السيدة داوسون بهدوءٍ شديد، وعلى هذا فقد ذهبنا وجلسنا هناك لبعضِ الوقت. كان هناك شاشة كبيرة فوق الفراش لذا تعذر على السيدة داوسون رؤيتنا، وكذلك لم نتمكن من تأملها بشكلٍ جيد. فقط تمكنا من رؤية انعكاسها بتكَلُف ناحية الجهة اليُسرى للفراش.

تبادَل السيد باركر النظرات مع اللورد بيتر

-والآن عليكِ إخبارنا بكل تفاصيل الحكاية، فبغض النظر عن مدى ضآلتها وسخافتها، أنا واثق أنكِ سوف تسردين حكاية مُثيرة.

-في الواقع يا سيدي المُحَقق لم يعد هناك الكثير لأحكيه فهذا كل ما حدث. فلم يقع أي شيء آخر بعد أن دخلنا إلى تلك الغرفة وتوجهنا إلى الناحية الأخرى حيث كانت هناك منضدة صغيرة قامت المُمرضة بوضع الأواني والمعدات الأخرى عليها قبل أن تهبط إلى الطابق السفلي. وقد كانت هناك بكرة من الورقِ الشفاف وقلم و إناء من الفخار. لقد تمَّ إعداد المكان بشكلٍ جيد حتى نقوم بأعمال توقيع الأوراق بسلام.

-وهل رأت السيدة أجاثا داوسون كل هذا؟، سألها المُحَقق باركر

-كلا يا سيدي ربما يعود ذلك إلى وجود تلك الشاشة الكبيرة والتي حجبت الرؤية تمامًا.

-لكنكما كنتما بداخل الغرفة ذاتها، أليس كذلك يا آنسة إيلفين؟

-أجل يا سيدي المُحَقق

-حسنًا، هل من الممكن من فضلك أن ترسمي لنا المشهد كله كما كان شاملًا الشاشة والمرآة وغيرها من التفاصيل الأخرى؟

-لست بارعة جدًا في رسم الأشياء يا سيادة المُحَقق، لكن سأحاول.. على أية حال

أعطاها المُحَقق باركر قلماً ودفتراً صغيراً، وبدأت بالفعل في رسم عدة أشياء خاطئة غير مُحَددة الملامح ثم اتضح المشهد تدريجيًا.

-شكرًا لكِ! هذا رائع جدًا! هل لاحظتَ عزيزي بيتر كيف تم تنظيم كل شيء بشكلٍ مُرَتَب دقيق حتى يتم توقيع الوثائق والمستندات بوجود الشهود؟ وكيف كان كل ذلك في ظل وجود السيدة داوسون نفسها؟

-إنني أشعر وكأنه قد تم الترتيب لهذا المشهد منذ بدايته حتى يظهر بتلك الصورة بالنظرِ إلى كل التفاصيل سابقة الذكر، فكل هذا كان ضروريًا بشكلٍ أو بآخر

-أحقًا يا سيدي؟ هل تعتقد أن هذا كله كان مُدَبرًا؟

-أجل أظن ذلك. فكان من المُتعَمد أن يتم ترتيب الطاولة وأرجاء الغرفة على هذا النحو، وأن توضَع تلك الشاشة الضخمة لتفصل بينكما وبين السيدة داوسون العجوز حتى لا ترى أي منكما الطرف الآخر أثناء عملية التوقيع، مما يجعل السيدة الضحية أصلًا لا تعرف بدورها أي شيء حول هذا الأمر رغم أنكما ظاهريًا تجلسان في نفس الغرفة! اسمحي لي أن أسألك يا آنسة إيلفين: هل تمَّ استدعاؤكما إلى قاعة المحكمة بعد وقوع حادث الوفاة للإدلاء بشهادتكما في تلك القضية؟

-أجل يا سيدي حدث ذلك.

-وبالطبع سألكما القاضي إن كنتما قد شهدتهما على التوقيع أم لا؟

-أجل، وقلنا إننا كنا موجودتين بالفعل ولكن...

-على الرغم من أنه من المُحتَمل ألا تكون السيدة داوسون كانت تعرف بوجودكما أصلًا!

-أجل يا سيدي أنت مُحِق، لكن حقيقة الأمر أننا كنا هناك بهدف التوقيع لكننا لم نقم بتلك الخطوة، فلم نوقع أية أوراق على الإطلاق، وبالتالي فنحن لم نشهد على تلك الواقعة. لم نرَ إلا توقيع السيدة داوسون فقط. أعتقد أنها قامت بكتابة اسمها في عددٍ من الأوراق، ثم قامت الآنسة ويتكار بوضع أوراق أخرى أمامها من أجل توقيعها حيث قالت لها:

-من فضلكِ وقعي تلك الأوراق أيضًا يا عمتي العزيزة، فهذه بعض الوثائق الضريبية الرسمية، وحينها قالت المرأة العجوز:

-ما هي تلك الأوراق يا عزيزتي؟ دعيني أتفقدها

-فقط بعض الأوراق المطلوبَة المُعتادة. قالتها الآنسة ماري ويتكار

-يا لها من مسائل مُعقدة جدًا يا عزيزتي! إنني أتساءل حقًا لماذا يزيد الناس من صعوبة الإجراءات هذه الأيام؟ لقد أرهقتني كثرة التوقيع على هذا النحو من آنٍ إلى آخر

بدأت السيدة داوسون تُمسِك بتلك الأوراق والوثائق الرسمية ورقةً ورقة، ثم شرعت في تفقدها وفحصها جيدًا وحينها قاطعتها الآنسة ماري ويتكار قائلةً:

-كل تلك الأوراق مُتشابهةٌ يا عمتي، كل ما يجدر بكِ فعله هو التوقيع فحسب، لا نرغب أن نُرهِقك لفترةٍ أطول. قالتها الآنسة ماري ويتكار بسرعة كبيرة وكأنها تودّ أن تمضي على عجل، وبناءً على ذلك فقد أطالت السيدة أجاثا داوسون النظر إلى الورق الذي كانت تُمسِك به شاعرةً ببعض القلق المُباغِت وفجأة قبضت على ورقةٍ ما وصاحت قائلةً:

-يا إلهي! يا إلهي! لن أُوَقِع على هذا الورق! أوه! بالطبع لن أفعلها! أيتها الفتاة اللعينة! كيف تجرؤين على فعل ذلك؟ أنتِ انسانة لئيمة حقًا؟ هل تريدين أن أموت الآن؟ هل ترغبين في دفعي إلى الموت بأي طريقة أيتها الخبيثة الشريرة! لماذا تودين ذلك؟ لقد أعطيتك كل شيء!

-اصمتي يا عمتي دعيني أشرح لكِ...، قالتها الآنسة ماري ويتكار، لكن المرأة العجوز قالت:

-لا أريد أن أسمع شيئًا عن هذا الأمر. إنني أكره التفكير فيه ولا يمكنني التَحَدُث عنه. من الأفضل أن تتركيني وشأني فلا يمكنني أبدًا أن أتحسن ما دمت أراكِ في الجوار، فأنتِ تُشَكلين مصدر خوف لي!

أُصيبت المرأة العجوز بالذُعر التام وفقدت السيطرة على نفسها وبدأت تتحدث بطريقةٍ غريبة مُخيفة، الأمر الذي دفع الآنسة ماري ويتكار إلى المجيء إلينا بينما كان وجهها باهتًا في غايةِ الشحوب وقالت:

-هيا اذهبا الآن أيتها الفتاتان، فلقد مرضت عمتي بشدة ولا حاجة لإنهاء العمل في الوقتِ الحاضر، قالتها ثم قلت لها:

-هل بمقدورنا مساعدتكِ يا آنسة ماري؟

-لا الأمور بخير. لا داعي للقلق على الإطلاق. لقد باغتتها الآلام مرةً أخرى فحسب. سوف أعطيها الحُقنَة الخاصة بها على الفور وستكون على ما يُرام.

دفعتنا الآنسة ماري ويتكار إلى خارج الغرفة وأغلقت الباب خلفها، وحينها سمعنا صوت بُكاء السيدة أجاثا داوسون بطريقة تدمى لها القلوب، ثم مضينا إلى الأسفل والتقينا المُمرضة الآنسة فليتر التي كانت قد وصلت لتوها من الخارج وقد أخبرتها أن حال مريضتها السيدة داوسون بات أكثر سوءًا مرة أخرى. لقد ركضت بأقصى سرعة بعد أن خلعت حذاءها. كنا في المطبخ

عندما جاءت الآنسة ماري ويتكار إلينا مُجددًا وقالت إن عمتها الآن بخير حال وتنام في هدوءٍ تام. في الواقع لقد حمل حديثها ذاك نبرة ساخرة ما زلت أذكرها جيدًا. كان علينا التوقف عن العمل حتى إشعارٍ آخر. لقد قالت الآنسة ويتكار حينها:

-من الأفضل ألا تتحدثا تمامًا عن هذا الأمر مع أي أحد، فعندما يشتد المرض على عمتي تصبح أكثر ذُعرًا وتتحدث بطريقة غريبة جدًا وغير منطقية. إنها لا تقصد ما تتفوه به في معظم الأحيان، ولكن إذا أصغى الناس إلى كلماتها تلك ربما يعتقدون أنها قد فقدت عقلها نهائيًا.

صمتنا قليلًا، ثم أخبرتها على الفور:

-لا داعي للقلق يا آنسة ماري فأنا وبيرثا شقيقتي لن نخبر أحدًا بهذا على الإطلاق، لقد قلت لها ذلك لأنني لم أكن أحب أبدًا الثرثرة وكل تلك الأمور السيئة التي يعكف عليها أهالي البلدة في معظم أوقاتهم.

مر ذلك الحادث بشكلٍ جيد، وقد قالت الآنسة ويتكار:

-حسنًا إذن تفضلا بالذهاب الآن.

لقد قدمت لنا هدية في صباح اليوم التالي، والتي بلغت حوالي عشرة قروش لكل منا. فعلت ذلك تزامنًا مع موعد عيد ميلاد عمتها، وقد أرادت السيدة العجوز أن نحصل على هدية تحفيزية منها في تلك المُناسبة تقديرًا لها

-يا له من تقرير واضح في غايةِ الشفافية يا آنسة إيلفين، فأنا حقًا أتمنى أن يكون كل الشهود مثلك فحينها لن نضطر إلى تدوين الكثير من الطلاسم والألغاز ناهيكِ عن المعلومات الخاطئة. هناك شيء واحد فقط، هل رأيتِ يومًا تلك الورقة التي أزعجت السيدة داوسون إلى هذا الحَد؟

-كلا يا سيدي، رأيتها فقط من مسافة بعيدة، لكني لاحظت أنها كانت

قصيرة جدًا، وتحتوي على بضعة أسطر مكتوبة على الآلة الكاتبة.
-أتفهم ذلك، وهل كان هناك آلة كاتبة في المنزل؟
-أجل يا سيدي، فلقد اعتادت الآنسة ماري ويتكار استخدامها في كتابة الرسائل وغيرها من الأمور، حيث إنها كانت دائمًا تجلس في غرفةِ الجلوس
-جيد جدًا، هل تتذكرين المحامي الذي قامت السيدة داوسون باستدعائه بعد فترة قصيرة من ذلك؟
-لا يا سيدي؛ فلم يمر وقت طويل حتى قامت شقيقتي بيرثا بكسر إبريق الشاي الثمين ثم غادرنا نهائيًا من المنزل. لقد أرادت الآنسة ماري حينها طرد أختي فحسب لكني رفضت أن تمضي شقيقتي بيرثا بمفردها، فلطالما كانت فتاة مخلصة وطيبة لذا فقد رفضت أن تتم معاقبتها وحدها لقاء هذا الخطأ التافه غير المقصود. وحينها ردت السيدة ويتكار قائلةً:
-حسنًا كما تشائين. فهي لم تكن من هذا النوع الذي يُثرثر كثيرًا أو يتجاذب طرف الحديث مع أحدهم، ولهذا فقد غادرنا مساء ذلك اليوم، جاءتنا لاحقًا في منطقة كريست تشارش وبدت على وجهها ملامح الأسف، وسألتنا لماذا لا نحاول البحث عن فرصة عمل أخرى في لندن؟
كانت بيرثا خائفة بعض الشيء من السفر بعيدًا تمامًا كما طبيعة والدي مثلما أشرت في السابق، لكن أمي على عكس ذلك كانت امرأة طموحة جريئة تود القيام بأي شيء يُمكنها فعله على الفور.
-لقد فكرت في الأمر ووجدت أنها ستكون بداية جيدة لنا، فإذا كانت السيدة ماري ويتكار ستدعمنا ماديًا خلال رحلتنا تلك، فلماذا إذن لا نقوم بذلك على الفور؟ فهناك الكثير من الفرص الجيدة في المدن. لم تكن شقيقتي بيرثا مُقتنعة بذلك في بادىء الأمر، لكني حرصت على إقناعها بشكلٍ تدريجي.

كما أني قلت لها إنني أعلم تمام العلم أن السيدة ماري ويتكار تبذل قصارى جهدها حتى نرحل بسرعة من البلدة كي لا نتحدث مع أحد بشأن ما رأيناه هذا الصباح، فلو أنها ستمنحنا المال اللازم فلِم قد نرفض شيئًا كهذا؟ فهناك سنعثر على وظائف أفضل من تلك الوظيفة التي كنا نمتهنها في منزلها.

-قلتُ لها أيضًا إنه إذا لم يعجبنا الوضع في لندن يُمكننا العودة مرةً أخرى إلى الديار. في الواقع لقد كان لانتقالنا إلى لندن أثره الكبير على حياتنا، فخلال فترة زمنية قصيرة من قدومنا إلى تلك المدينة الكبيرة عملنا في وظائف جيدة مختلفة، ثم التقيت زوجي هنا وكذلك تعرفت شقيقتي بيرثا على خطيبها جيم، والفضل كله في ذلك أيضًا يعود إلى ذلك المبلغ المالي الذي حصلنا عليه من الآنسة ماري ويتكار. لقد كانت بيرثا سعيدة للغاية بحصولنا على تلك الفرصة واستمر الوضع على هذا الحال حتى وقع حادث موتها.

بكت السيدة إيلفين كروبر ثم قالت:

-في الواقع لقد استفدنا أيضًا من بطاقة التوصية التي منحتنا إياها الآنسة ماري ويتكار قبيل سفرنا إلى لندن، فكل ذلك جعلنا قادرتين على إيجاد فرص وظيفية جيدة، أقسم إنني لم أكن لأتفوه بحرفٍ واحد عن هذا الموضوع برمته لو لم يقع ذلك الحادث الأليم لشقيقتي بيرثا...

انتحبت المرأة بشدة ثم مَدَّ المُحَقق باركر يده وأحاطها بذراعيه، ثم قال وكأنه حيوان مُفترس يُحاصِر فريسته بحكمة في بادىء الأمر قبل أن ينقض عليها:

-لا بأس يا سيدتي! نحن نقدر لكِ مشاعرك وحُزنكِ العميق كما أننا ندعمكِ.

قالها باركر، ثم قاطعه بيتر ويمسي قائلًا:

-أخبريني يا سيدة إيلفين: هل قمتِ بسرد تلك القصة على أسماع أحدٍ آخر من قبل؟

-بالطبع لا يا سيدي، لم أتفوه بحرفٍ من هذا في السابق على الإطلاق وكذلك كان الحال مع شقيقتي بيرثا

-حسنًا هذا جيد. إنني أنصحك ألا تُخبري أحدًا على الإطلاق بتلك القصة فما يُمكنني قوله لكِ أن تلك مهمة خطيرة جدًا، لذا يتعيَّن عليكِ توخي الحذر على الدوام.

-هل يُمكنني أن أسألك عن خطتكِ القادمة قبل السفر إلى كندا يا سيدة إيلفين؟ هل ستمكثين هنا لمدة أسبوع أم أسبوعين؟

-سأذهب للقاء أمي أولًا، وسأصطحبها معي إلى كندا. لقد أردتها أن تأتي معي عندما تزوجتُ لكنها لم تكن ترغب في الابتعاد عن شقيقتي بيرثا، لقد كانت ابنتها المُفضلة تحديدًا بعد موت أبي. وعلى الرغم من أن طباعي أنا وأمي مُتشابهة إلى حد التطابُق إلا أننا لا ننسجم مع بعضنا بغضاً، لكن الوضع اختلف كُليًا الآن فلم يعد لديها شخصٌ آخر سواي، ولم أعد أود أن أتركها بمفردها. لا يمكنني ذلك في حقيقة الأمر لذا أظن أنها ستأتي معي. إنها رحلة طويلة جدًا بالنسبة لامرأة عجوز مريضة لكني سأتحملها بكل ما أملك. ليس لديّ خيار آخر. لقد قال لي زوجي بالحرفِ الواحد:

-أحضري أمكِ معكِ يا عزيزتي. احجزي لها تذكرة أولى وسأتدبر أنا أمر المال لاحقًا. إن زوجي رجلٌ كريمٌ حقًا!

-هذا أفضل ما يُمكنكِ فعله حقًا، قالها المُحَقق بيتر ويمسي وأضاف:

-وإذا سمحتِ لي سوف أرسل لكِ صديقاً بإمكانه الاعتناء بكما معًا على متن القطار حتى تصلا بخير وسلام للحاق بموعدكما. لا تتوقفا كثيرًا في لندن. لا تنزعجي من كوني أتدخل في شؤونك يا سيدة إيلفين على هذا النحو، لكني أعتقد أنكِ ستكونين أكثر أمانًا في مكانٍ آخر

-هل تعتقد أن بيرثا قد...، سألته بعد أن اتسعت حدقتا عينيها الممتلئتان بالذُعر.

-في الواقع لا أريد الإفصاح الآن عما أُفكر فيه لأني لا أعرف حقًا. ما يهمني أن تصلي برفقة والدتكِ بسلامٍ إلى كندا مهما حدث

-وماذا عن بيرثا؟ هل هناك شيءٌ ما يمكنني القيام به؟

-حسنًا في الواقع يجدر بكِ الذهاب من أجل لقاء بعض أصدقائي في شرطة سكوتلاند يارد لإخبارهم بما تفوهتِ به للتو، سوف يهتمون بهذا الموضوع بشدة وسيدعمون القضية بشكلٍ عملي

-كوني واثقة أن قوات الشرطةً لن تتكاسل للحظة إذا اكتشفت أن هذا الحادث كان مُدَبرًا، حينها لن تهدأ الشرطة حتى تتبع الشخص المُستهدف. لكن الإشكالية الكُبرى تتمثل في إثبات أن الوفاة لم تكن طبيعية من الأساس!

-أجل فالمُحَقق بيتر مُحِق في تلك النقطة، فالمُفتش العام مُقتنع حتى هذه اللحظة أن السيدة جوتوبيرد قد جاءت بمفردها إلى هنا وسط الغابات وماتت نتيجة سكتة قلبية مُفاجئة. في الواقع هناك الكثير من التقارير التي تدعم تلك النظرية، قالها ويمسي مُضيفًا:

-فتقرير تشريح الجثة يقول إنها قد تناولت وجبة ثقيلة ماتت على إثرها، التمسي لي العُذر يا سيدتي لم أكن أرغب في سرد المزيد من التفاصيل المؤلمة.

-وماذا عن النُزهة؟

-لكني لا أعتقد أن هذا قد حدث، إني أفكر في نظرية أخرى مختلفة تمامًا عن تلك سابقة الذكر.

-أختلفُ معك قليلًا رفيقي المُحَقق بيتر، فربما يكون ما أثبته تقرير الطب الشرعي صحيحًا، وربما تكون قد ماتت بشكلٍ طبيعي. فأنا أظن أنها ذهبت

إلى وسط غابات إيبينج بمفردها وكان برفقتها طعامها وشرابها وتلك الحقيبة التي عُثِر عليها إلى جوار الجُثَة. من المتوقع أن تنشر الصحف خلال الأيام القادمة العديد من النظريات المُشابهة الكاشفة إن كان هناك جريمة بالفعل أم لا.

الفصل الحادي عشر

"إن إتقان فن الصبر واللعب هو الفيصل من أجل كسب المعركة."

دون كيخوتي

اصطحب اللورد بيتر ويمسي السيدة إيلفين كروبر إلى منطقة كريست تشارش، ثم عاد مرة أخرى إلى المدينة ليلتقي السيد باركر. استمع الأخير إلى قصة السيدة كروبر بينه وبين نفسه وأخذ يُكَرر ما قالته ليتمكن ربما من إيجاد طريقٍ جديد يُمكنه أن يسلكه خلال القضية. ثم فجأة سمع صوت خطوات خادمه بانتر يتقدم نحوه ويفتح باب غرفته.

-أية أخبار؟، سأله اللورد بيتر ويمسي

-في الواقع يؤسفني إخبارك يا سيدي بأنني فقدت تلك السيدة التي كنت أتتبعها في منتصف الطريق، فلم أتمكن من الرؤية بشكلٍ سليم إذا جاز التعبير وبناءً عليه فقد فشلت المهمة التي كلفتني بها

-ليس هناك أية مشكلة يا بانتر، فأي إنسان هو من لحمٍ ودم في نهاية المطاف ولستَ بطلًا خارقًا. في الواقع لا أعرف شخصًا يُمكنه أن يتفوق عليك في تحقيق المهام المستحيلة، هل تود تناول كوبٍ من النبيذ؟

-أشكرك يا سيدي، أنا حقًا مُمتَن لك. لقد قمت بتنفيذ التعليمات السابقة وبحثت بالفعل عن امرأة تحمل تلك المواصفات التي أرسلتها لي. فتشت في كل مكان عن سيدة تعتمر قبعة قرمزية وترتدي فراءً رمادياً وكنت محظوظًا جدًا بالعثور عليها بينما كانت في طريقها إلى مدخل محطة القطار المُجابه لأحد محلات الكتب. لقد تقدمتني قليلًا. كانت قبعتها بارزة جدًا. لو أنني فقط تمكنت من إلقاء ولو نظرة خاطفة على وجهها لاستطعت أن أمنحك أوصافًا أكثر.

-أعرف أنك شخص شُجاع أيها الرفيق!
-أشكرك يا سيدي. لقد مشيت إلى جوارها حتى وصلنا إلى محطة الفندق الذي يشتمل على مدخلين كما تعلم، أحدهما كان أعلى المنصة والآخر كان في مواجهة الشارع الرئيس. ركضت نحوها خوفًا من ضياع أثرها وتوجهت عبر تلك الأبواب الدوارة وبقيت أراقبها حتى اختفت تمامًا وسط الحشد في غرفة السيدات.
-ألهذا السبب لم تتمكن من تتبعها؟سأله اللورد بيتر المُحَقق
-أجل يا سيدي. لقد جلست بدوري في مدخلِ القاعة، هناك حيث بمقدوري مُراقبة الباب من دون أن أُظهِر ذلك، وحينها اكتشفتُ أن المكان يشتمل على مخرجين..
-هل المشكلة تكمن تحديدًا في تلك النقطة؟
-لا يا سيدي لم تكن تلك هي المشكلة الحقيقية. لقد جلست في مكاني أُراقب المشهد حوالي ثلاثة أرباع الساعة، لكن المرأة ذات القبعة القرمزية لم تظهر على الإطلاق. في الحقيقة لم تتسنَّ لي الفرصة أبدًا لرؤية وجه تلك المرأة. تذمر اللورد بيتر وقال:
-حسنًا يمكنني التنبؤ ببقية القصة. هذا ليس خطأك يا بانتر على الإطلاق، ربما تكون السيدة قد أُصيبت بمرضٍ ما أو أنَّ ثمة شيئاً ما قد ظهر في الطريق بغتةً.
-في الواقع يا سيدي لقد ذهبت بدوري إلى إحدى المُضيفات وطلبت منها التوجه إلى غرفة السيدات للبحث عن امرأة بتلك المواصفات التي قدمتها لتوي، وقلت لها إنني أحمل رسالة هامة لتلك المرأة وتوسلت إليها أن تسألهن عنها. ذهبت الفتاة بالفعل لإتمام تلك المهمة ثم عادت لتخبرني أنها علمت

من سيدات الغرفة أن الفتاة قد غادرت المكان للتو وقامت بتغيير ثيابها في إحدى الغرف المُخَصصة لذلك، وغادرت منذ نصف ساعة.

-يا إلهي! ألم تتمكن حتى من النظر إلى حقيبة يدها وتمييزها يا بانتر! يا إلهي!

-التمسْ لي العُذر يا سيدي، فقد وصلت المرأة إلى المحطة في وقتٍ باكر وكانت قد تركت حقيبتها لدى مكتب المُضيفة. خلال طريق العودة قامت الفتاة بتغيير قبعتها وفرائها وكذلك حقيبتها ووضعت قبعة سوداء صغيرة على رأسها بدلًا من القبعة القرمزية. أضف إلى ذلك معطفها الوردي الخفيف الذي ارتدته بكل سرعة وخفة. فعندما رأيتها بحلتها الأولى كانت خاوية الوفاض ولم تكن تُمسِك بأية حقائب في يدها.

-شيءٌ متوقَّعٌ! يا لها من امرأة!

-سألت الكثير من المارة عن تلك المرأة يا سيدي، إلا أنه ما من أحدٍ يعرف طريقها على الإطلاق سواء في المنطقة أو في المحطة. لم أتوصل إلى أي نتيجة بشأنها. فتلك المرأة ذات القبعة السوداء والمعطف المُلَون الخفيف لُغزٌ لم يتمكن أحد من حله، كما أنه ما من أحدٍ يتذكر رؤيتها خلال رحلة العودة. توجهت لاحقًا إلى المحطة المركزية لأعرف إن كانت قد سافرت بالقطار أم لا؟ فقد أجابني الناس بأن هناك أكثر من امرأة سافرت عبر القطار اليوم وفي نفس الموعد ينطبق عليها نفس الوصف لكنهن سافرن إلى وجهاتٍ مختلفة. لم يكن باستطاعتي الحصول على معلومة مُحَددة. قمت بزيارة جميع مآرب السيارات في ليفربول لكنني لم أنجح في اللقاء بأي امرأة تحمل ذات المواصفات. أنا مُحبَط جدًا لأني خذلتك يا سيدي.

-لا بأس يا بانتر. لقد بذلت قصارى جهدك حقًا. ابتهج قليلًا. فأنا أعرف أنك كما الجندي الدؤوب الذي لا ينتابه اليأس أبدًا. خُذ إجازة اليوم وعُد إلى

فراشك لتحظى ببعض الراحة.

-أشكرك جدًا يا سيدي، لكنني أخذت قسطًا كافيًا من النوم على متن القطار اليوم

-حسنًا كما تشاء يا بانتر. أتمنى أن أراك مُرهقًا يومًا كما الأشخاص العاديين!، قالها اللورد بيتر ويمسي مازحًا. ابتسم بانتر.

-حسنًا لقد اكتفينا من ذلك الآن بعد أن عرفنا أن الآنسة ماري ويتكار تُحاول بكل الطرق إخفاء شيءٍ ما، فها هي تُحاول اتخاذ الكثير من الاحتياطات حتى تتجنب أن يلحق بها أحدهم. إننا نعرف ما هو أكثر من ذلك في الوقت الراهن. فالآنسة ويتكار تتمنى أن تقبض على السيدة إيلفين قبل أن يلتقيها أحدهم فيتعرف بدوره على سر قصتها الكبير، ولهذا فقد فكرت أن تتخلص منها بكل السُبل. ولكن السؤال الآن: تُرى كيف عرفت أن السيدة إيلفين قادمة إلى هنا اليوم؟

-لا تنسَ أن السيدة إيلفين قد أرسلت بدورها برقية وأن ذلك الخبر قد ذُكِر ضمن التحقيق.

-تلك التحقيقات اللعينة! فهم يُسَربون جميع المعلومات المهمة التي يمكن لأحدهم الاحتفاظ بها في حالة من الهدوء، ومن ثَم يتعذر علينا الحصول على دليل إدانة واحد فقط للمُجرِمين!

-استمع إليّ يا بيتر. قالها المُحَقق باركر شارحًا بنبرة تعاطف:

-أعتقد أنه يتعيَّن علينا الالتزام بالعمل وفقًا لما كشفه تقرير الطبيب الشرعي، فيجب أن تضع في اعتبارك المزيد من الأمور الراهنة. أولها مثلًا انتشار موسيقى الجاز، والانحلال الأخلاقي للفتيات المُراهقات خلال تلك الحقبة. فمعظمهن يخرجن بمفردهنَّ ليلتقينَ أحدَ أولئك الفتيان وسط

غابات الإيبينج المُنعزلة.

-أعتقد أن ما تستخدمه الآن يا صديقي العزيز هو حالة من التَشهير بأولئك الفتيات! فهل كل تلك الجُثث التي نعثر عليها وسط الغابات لفتياتٍ غير مُنضبطات؟ أم أنها أسرار أخرى لا أحد يعلم عنها شيئًا؟ على أية حال دعكَ من كل هذا واستعدّ: سوف نُمسِك بالآنسة ماري ويتكار في القريب

-انتبه يا عزيزي بيتر، ربما تحمل شهادة السيدة إيلفين خطأ ما! كما أن الكثير من السيدات المُسافرات يترددن على غرف تغيير الثياب، ويقمن بتغيير ملابسهن من دون أن تكون لديهن أية نوايا إجرامية.

-على أية حال أعتقد أنه بإمكاننا التأكد من أمرٍ كهذا عن طريق السيدة كليمبسون بما أنها تسكن برفقتهن في نفس الحي الآن، فمن السهل عليها جدًا أن تُخبرنا إن كانت الآنسة ماري ويتكار قد غادرت البلدة مُتجهةً إلى هناك برفقة شريكتها المُستقبلية في مزرعة الدواجن السيدة فيندلر، أليس كذلك؟ ما يهمني الآن هو رأيك في تلك القصة التي سردتها لنا السيدة إيلفين كوربر. ليس هناك شك أن هذا ما قد حدث هناك. فالآنسة ويتكار كانت تحاول جاهدةً إجبار السيدة داوسون العجوز على توقيع الأوراق والمُستندات من دون معرفتها. لقد أعطتها مجموعة مختلطة من الأوراق والضرائب والسندات آملةً أن تقوم بالتوقيع من دون أن تنتبه إلى مضمون تلك الورقة المُحَددة مركز الهدف. من المؤكد أن تلك الورقة هي الوصية، ربما أقول ذلك لأنها الوثيقة الوحيدة التي تحتاج إلى شهادة شخصين!

-وبما أن السيدة ويتكار نفسها لم تكن أحد الشهود، لكنها طلبت من الخادمتين القيام بهذا الدور بدلًا منها، فهذا يدل على أنها كانت تُدَون وصية ما لصالحها! فمن المنطقي أنها لم تُلقِ بنفسها في مشكلةٍ ما من دون أن يكون

لها فيها ناقة أو جمل!

-ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: لماذا قد تقوم السيدة ماري ويتكار بهذا الأمر؟ فعلى أي حال كانت عمتها داوسون لتموت في أي وقت! فالأمر لم يكن بعيدًا أو غريبًا، فلماذا إذن قد تُجبرها على كتابة الوصية؟

-ربما لأنها خافت من أن تُغير السيدة داوسون رأيها؟ ربما خافت من أن تكتب وصيتها لأشخاصٍ آخرين؟ ألا يعتبر ذلك احتمالًا واردًا؟

-كلا، لأنه إذا تمت كتابة أي وصية في وقتٍ لاحق ستُبطل بدورها الوصية الأولى كما أن السيدة العجوز قد أرسلت في طلب مُحاميها بعد مرور فترة قصيرة ولم تضع الآنسة ماري ويتكار أية عائق في طريقها لتمنعها من القيام بذلك.

-طبقًا للممرضة فوربس لقد كانت الآنسة ماري تمتلك كل الصلاحيات. فلا أعتقد أن السيدة داوسون لم تكن تضع ثقتها في الفتاة. فالأمر مُثير للدهشة حقًا وعلى هذا لا أظن أن السيدة داوسون ستكتب وصيتها من أجل منح أموالها لأشخاصٍ آخرين، فمن مصلحة الآنسة ماري حقًا أن تُبقيها على قيد الحياة لأطول فترة مُمكنة. لا أعتقد فعلًا أنها لم تكن تثق في الآنسة ماري ويتكار، فحتى وإن حدث بينهما خلاف ما فهو لم يصل إلى هذا الحد الكبير الملموس. لقد كانت مُنفعلة قليلًا فقط وقالت كل ما تفكر فيه بعفوية بالغة، تمامًا كما نفعل جميعًا.

-ولكن أليس هناك أية محاولات من جانبها للحصول على وصية موُقعَة جاهزة؟

-وكيف عرفت ذلك؟

-أجل ألا تتذكر أنه يحق لها التصرف بقوة التوكيل الرسمي؟ ألم تقم السيدة

العجوز أجاثا داوسون بذلك حتى تسمح للآنسة ماري ويتكار بالتصرف التام في كافة تلك الأوراق وتوقيعها في المستقبل؟

-يا لتلك المرأة المسكينة! ولكن كيف ستقوم الفتاة بأمرٍ أخرق كهذا؟ فلقد منحتها السيدة العجوز كل شيء بالفعل، كما قلت لك ناهيك عن زيارة المُحامي لها! الأمر مُربِك حقًا! لا أعرف كيف بمقدورنا الحكم جيدًا على طبيعة الأمور؟

-أجل ولكن ما يُحيرني هنا هو أمر الوصية ذاته!

دخَّن المُحقق سيجارته بمشاركة صديقه باركر في هدوءٍ تام

-لقد انتوت السيدة داوسون منح أموالها للآنسة ماري ويتكار، فقد قطعت لها الكثير من الوعود بتحقيق هذا الهدف، لكنها مؤخرًا بدأت تفقد السيطرة على عقلها بشكلٍ تدريجي. ومن هنا أُثيرت المزيد من الشكوك حول احتمالية تورطها في قتلها.

يا إلهي! أجل أنت مُحِق! يا لنا من أحمقيْن! فكيف لم نفكر في هذا الأمر من قبل؟

-أعتقد أنه ربما عثرت ماري ويتكار على قريبٍ آخر ما زالَ على قيد الحياة ضمن أفراد عائلة السيدة أجاثا داوسون، وحينها استشعرت الخطر! فربما يُقاسمها ذلك القريب الميراث! فكيف يغدو الحال إذن؟ أو ربما تفكر المرأة العجوز في رسم سيناريو آخر مختلف لتلك القصة بما أنها كانت تمر بارتباكٍ واضح في أيامها الأخيرة. فإذا صح هذا الأمر ستنجح الآنسة ماري في تدبير شيء ما لصالحها.

-كم أنت بارع يا صديقي المُحَقق! أو ربما قد علمت السيدة أجاثا داوسون بنوايا قريبتها فحاولت دفعها بعيدًا عن المشهد مُستخدمةً كافة السُبل المُتاحة

فيما يتعلق بكتابة الوصية لصالح شخصٍ آخر

-في الواقع إذا كانت المرأة العجوز قد قامت بذلك فهي تستحق ما وجدته لاحقًا على يد قريبتها، تحديدًا بعد أن أخذت تلك الفتاة بعيدًا وأجبرتها على العيش معها في المنزل بمفردها، وجعلتها تتخلى عن وظيفتها كممرضة من أجل الاعتناء بها والحصول على المال بعد رحيلها.

-ولكن يا عزيزي إذا صح هذا الافتراض جدلًا، ألا تعتقد بدورك أن ما قلته يُناقض نظرية الجريمة المُرتَكبة من جانب قريبة السيدة العجوز؟ فلماذا قد تقلتها الآن وهي تُعاني قلة المال؟ فمن مصلحتها أن تعيش السيدة أجاثا داوسون أطول فترة مُمكنة حتى تكتب لها وصيتها.

-أنت مُحِق يا عزيزي تشارلز. في الواقع إن تلك القضية قد أصابتني بالارتباك الشديد. كم أُشفق على الطبيب كار المسكين. إنني أفكر بشدة في ضرورة دعمه والدفاع عنه أمام القاضي. يفترض أن ينتصر وسط هذا الكم من التناقضات والأقوال المُتضاربة وغياب الأدلة. فأنا أؤمن أن المشي وراء بصيص من النور أفضل كثيرًا من الغرق في مدن الظلام. أو انتظر لحظة... لماذا نفترض أن الطبيب كار يقول الحقيقة؟ فعلى أية حال ربما هو مَن يختلق تلك القصة عزيزي المُحَقق! أليس من المُمكن أن يكون هذا واردًا؟ أشعر وكأنَّ ثمة شيئاً يُنذر بالشؤم يتخفى وراء تفاصيل هذه الحكاية.

-يا إلهي! أتقصد أن الطبيب كار قد تَعمَد إخبارنا تلك القصة فقط من أجل إرباكنا؟ أيُعقل ذلك؟

-أجل. فنحن الآن أمام أحد المُدعين الذي يتظاهر بالبراءة التامة بينما قد يكون هو الذئب الذي نبحث عنه في الوقت الراهن! علينا أيضًا أن نتأمل موقف أتباعه؟

-أتباعه؟ مَن تقصد؟

-إنني أتحدث عن المُمرضة فوربس مثلًا، أليست شريكته؟ ربما كلاهما يُحاول تضليلنا بكل السُبل ونحن لا نعلم شيئًا!

-ولكن ماذا عن تلك المُشادة التي خاضها المحامي مع السيدة العجوز أجاثا داوسون؟ ما علاقة الطبيب وممرضته بأمرٍ عائلي خاص كهذا؟ لا أفهم وجهة نظرك، كما أنني لا أرى أن تلك هي الطريقة التي سارت بها الأمور

-أعتقد أن هذا الرجل قد خدعنا يا صديقي! فكيف لم نفكر في هذا منذ بداية المطاف؟ من الواضح أنه يملك نوايا خبيثة لكنه قام بتصدير المشهد لنا على أنه الضحية!! مما جعلنا نفترض أن الآنسة ماري ويتكار هي المُجرمة الحقيقة! أجل! يجدر بنا القول إنه دبَّر فعلته تلك حتى يُثير الشكوك حول قريبة المرأة المتوفاة فهو يعرف أنها الشخص الوحيد المستفيد من موتها، وأن هذا الأمر أقرب إلى المنطق من أي سيناريو آخر!

-أضِف إلى ذلك أنه قال لنا في آخر مرة التقيناه فيها إنه لم يكن يعرف بموت السيدة أجاثا داوسون إلا بعد قراءة الخبر في الجرائد صدفة! فكيف ذلك إذن؟ ولماذا غادر البلدة قبلها ببضعة أسابيع؟ ألا يستحق كل ذلك أن نتأمل المشهد الحالي بعينٍ أخرى؟

-أجل! لقد قال أيضًا إنه قرأ الخبر في أقصوصة الجريدة المُمزقة المُغَلفة لإحدى علب السلمون! إنني لا أتصور أبدًا منطقية ذلك المشهد! يا للمُصادفة! كيف يُمكنني تصديق ذلك السيناريو العبثي؟ أعتقد أن هناك قريباً ما تربطه علاقة غامضة بتلك القصة! ربما لديه نوايا وأهداف خفية لا أحد يعرف عنها شيئًا والتي حرصَ على استخدامها بطريقته، مما ساعده على تدبير الحادث بشكلٍ ذكي. على العموم سوف تكشف لنا الأيام القادمة مدى صدق تلك القصة.

انتظر لحظة! لقد سلمني الخادم اليوم خطابًا من السيدة كليمبسون يا باركر! ربما نعثر في هذا الخطاب على معلوماتٍ جديدة تعود بدورها علينا بالنَفع!

وضع المُحَقق بيتر يده في جيب معطفه على وجه السُرعة ثم أخرج خطابًا وبدأ في قراءته على الفور والذي كان يقول:

"عزيزي المُحَقق بيتر، لقد بات الوضع أكثر سوءًا من المُعتاد في الوقتِ الراهن! إنني أكتب إليك اليوم لأُخبرك بأمر في غاية الأهمية، ولحُسن الحظ يشتمل على معلوماتٍ قليلة، لذا فلن أهدر الكثير من وقتك.

بدا الخطاب مكتوبًا بخطوطٍ باهتة عرجاء تُحيط بها مجموعة من علامات التَعجُب والترقيم الغريبة الظاهرة في غير موضعها، والتي بدت كما كانت تدريبًا على إحدى النوتات الموسيقية المكتوبة.

"إنني أود إخبارك يا سيدي المُحَقق بشيءٍ قد يعود بالنَفع لصالح خط سير التحقيقات، وعلى هذا فقد أسرعت بالكتابةِ إليك فكما تتذكر لقد أشرت إلى هذا الأمر من قبل. فخادمة السيدة بادج مالكة منزلي هي شقيقة خادمة الآنسة ماري ويتكر حسنًا؟ مؤخرًا قد جاءت عمتها في زيارة لابنة السيدة بادجت تلك الظهيرة، كما أنه تم تقديمها لي بالطبع وتعرفت إليها أكثر فأنا ضيفة البلدة وعلى هذا أحظى بقدرٍ هائل من الاهتمام المحلي، كما أنني أضع تعليماتك نصب عيني يا سيدي. لقد تبيَّن لاحقًا أن تلك السيدة كانت على معرفة جيدة جدًا بإحدى خادمات السيدة داوسون السابقات، تحديدًا قبل مرحلة فتيات جوتوبيرد وعملهن في الخدمة المنزلية لدى المرأة العجوز. على الرغم من أن تلك المرأة تحظى باحترام كبير بين الناس في البلدة إلا أنني أراها سيدة مُزعجة بعض الشيء فلم أَتقبلها منذ البداية، لكننا تحدثنا معًا عن بضعة أمور على رأسها موت السيدة داوسون. لَوت العمة تيمينز شفتيها

وقالت بامتعاضٍ واضح:

-في الواقع أنا لست مُتفاجئة أبدًا من وقوع تلك الحادثة المؤسفة يا سيدة كليمبسون، فأفراد تلك العائلة غير مترابطين كما أنهم ليسوا أقارب أصلًا في حقيقة الأمر. هل تتذكرين يا سيدة بادج كم تحمست لمُغادرة المكان عندما جاء ذلك الرجل غريب الأطوار الذي قَدَم نفسه لنا على أنه قريب السيدة داوسون؟ مع أن المرأة العجوز نفسها كانت تسخر منه وتصفه بلعب دور لا يليق به! لقد أزعجني وجوده بشدة! فما أعرفه جيدًا أن السيدة أجاثا داوسون لا تملك أي أقارب على الإطلاق، فمن أين جاء هذا الرجل؟ لقد تعاملت معه السيدة داوسون بكل لُطف على الرغم من أنها لم تكن مُقتنعة أبدًا بكل ما قاله في بادىء الأمر! ورغم ذلك فبدلًا من أن تطرده إلى خارج المنزل على وجه السرعة سمحت له بالبقاء ودعته إلى تغيير ثيابه القذرة المُتسخة وكذلك أجلسته برفقتها لتناول العشاء! لقد نظرت إلى ذلك "المخلوق" نظرة عادية مألوفة، الأمر الذي أثار بدوره دهشتي الشديدة. لقد راقبت نظرات هذا الرجل المُخيف، تلك التي كانت تُحاصِر السيدة داوسون بإصرارٍ عجيب. لم أقوَ على تحمّل رؤية هذا الرجل. أتمنى أن تلتمسوا لي العُذر فأنا لست امرأة مُتحيزة للون والعِرق فنادرًا ما نرى شخصًا هكذا كما تعلمون في مجتمعاتنا تلك الأيام. على أية حال لم يكن لون بشرته وحده هو السبب الرئيس في شعوري بالارتباك والذُعر، بل تصرفاته غريبة الأطوار هي ما كانت تُصيبني بالتوتر الشديد؛ فحتى نظرته تبدو وكأنه قادر على ثَقب روحك بها! يا إلهي! كم أخافني هذا الرجل وأصابني بالحيرة. فبمجرد أن ينظر إليّ أشعر بالغثيان المُباغِت! وانطلاقًا من تلك النقطة فقد قررت الرحيل عن هذا المكان وعدم العودة إليه مرة أخرى تحديدًا عندما سمعت هذا المخلوق المُخيف يُقَدم نفسه

للسيدة داوسون بصفته قريبها الوحيد الذي كان يعيش في بلاد أجنبية بعيدة طيلة هذا الفترة نظرًا لقيامه بالدور التبشيري لرجال الدين في عدة أماكن حول العالم، وقال إنه يُدعى "القِس ه. داوسون!"

مع تحياتي الخالصة وتقديري،

تلميذتك النجيبة أ.ك.كليمبسون

-يا إلهي! لا أُصَدق ذلك!، قالها اللورد بيتر المُحَقق مُختتمًا كلمات الخطاب الذي كان يقرؤه لزميله باركر للتو.

-ها نحن نتأكد بأنفسنا الآن من تلك الفكرة التي كانت تُداهم عقولنا منذ قليل!

-لا أُصدق حقًا! قريب زنجي يظهر من العدم فجأة بهذه الطريقة الغريبة!

-أرأيت؟ إنني أتساءل بصدق من أين جاء هذا الرجل؟ وإلى أين ذهب لاحقًا؟ فمن المؤكد أنه غير موجود في كروكفورد على الإطلاق! من الممكن أن يكون في أحد كنائس إنجلترا. قالها اللورد بيتر ثم بدأ يفتش في دفتر أسماء القساوسة الموجود أمامه على المنضدة فإذا به يقرأ:

داوسون، القِس جورج، القِس جوردون، القِس جورني، القِس هاريدان، القِس هاموند، لم يكن اسم هذا القِس متوفرًا وسط تلك الأسماء العديدة.

-أخشى ألا يكون لهذا الاسم أي وجود على الإطلاق.

-كان من الأفضل أن نمتلك أية معلومات عن الخلفية الجغرافية لهذا الرجل ومن أين جاء على وجه التحديد؟

-لقد قالت السيدة تيميز إن هذا الرجل كان زنجيًا، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل أن جذوره قد تكون أفريقية أو أرجنتينية أو ضمن قبائل الإسكيمو. فكما تعرف هناك الكثير من الديانات في تلك المناطق. اقترحَها باركر بنبرةٍ يائسة.

-أجل لا شك في ذلك، فهناك الكثير من الديانات بين سُكان المنطقة. أليس فولتير مَن قال إن الإنجليز يملكون ثلاثمائةً وخمساً وستين ديانة وعلبة صلصة واحدة! طبقًا لكتابه "محاكم الحرب"؟

-يتعيَّن عليّ القول إنها عبارة تهكمية ساخرة، فعلى أية حال لا يختلف الحال مثلًا في الولايات المتحدة الأمريكية كثيرًا، فهي أيضًا تلك البلدة التي تكتظ بالمزيدِ من الديانات.

-هذا صحيح جدًا، سأقوم برحلة إلى أمريكا إذا اضطررت إلى القيام بتلك الخطوة. على أية حال فأنا أرغب صدقًا في العثور على ذلك القِس بأي طريقة مُمكنة. انتبه يا عزيزي المُحَقق! ما زال أمامنا عدد من الاستجوابات التي يجدر بنا أن نضعها في اعتبارنا خلال الفترةِ الراهنة. ما أفكر فيه في الوقت الحالي هو أن أنتقل بدوري إلى كروفتون عبر الأتوبيس القديم.

-هل ستذهب إلى كروفتون؟ لماذا؟، سأله باركر

-أجل أرغب في الذهاب إلى هذا المكان الذي كانت تعيش فيه الآنسة كلارا ويتكار وداوسون، كما أنني أرغب في البحث عن هذا الرجل صاحب الحقيبة السوداء الصغيرة، ذلك المحامي غريب الأطوار الذي جاء لزيارة السيدة داوسون العجوز في منزلها منذ عامين، لا تنسَ أن الرجل كان متحمسًا جدًا كي تقوم السيدة بكتابة وصيتها! أعتقد أنه يعرف بدوره كل تلك المعلومات التي تخص ذلك القِس سابق الذكر، هل ستأتي برفقتي أيضًا؟

-لا يمكنني الذهاب بدون تصريح رسمي، فوجودي في تلك القضية غير مسموح به كما تعرف

-أجل حسنًا بما أنك مسؤول عن قضية الآنسة إيلفين جوتوبيرد، من فضلك أخبر رئيس الشرطة أنَّ القضيتين متصلتان ببعضهما بعضاً. إنني بحاجة لأن

تساعدني يا باركر في اتخاذ بعض الإجراءات المرنة التي من شأنها تسهيل سير التحقيقات، وكذلك استخراج بعض الأوراق والوثائق التي ستجعلني أتمكن من اللقاء مع المُحامي بكل سهولة ويُسر بغية استجوابه فيما يخص هذا القريب الذي ينتمي إلى عائلة داوسون.

-حسنًا سأحاول جاهدًا مُساعدتك من أجل الحصول على أوراق تلك القضية، فقط إذا قطعتَ لي وعدًا أنك ستقود سيارتك بشكلٍ أكثر اتزانًا وعقلانيةً.

-اطمئن يا صديقي المُحَقق كل الاطمئنان، فأنا لست أحد أولئك السائقين الحمقى الذين يقودون بكل سرعة وسط تلك الثلوج والمنحدرات الوعرة. أنا لست سائقًا خطيرًا. هيا تأهب للقيام بمهمتك على أكمل ما يكون الآن فنحن على وشك الانطلاق مُباشرةً لإصابة الهدف!

تذمَّر باركر بعض الشيء، ثم مضى بخُطى وئيدة مُتجهًا ناحية الهاتف ثم رفع السماعة وقال:

-أريد التحدث إلى السيد أندرو ماكوينز في شرطة سكوتلاند يارد

بدت كروفتون قرية صغيرة مُبهجة، وكأن أحدهم قد دسَّها وسط تلك التضاريس العميقة والأزقة الضيقة. أسدل الليل ستاره كما انهمرت الأمطار من السماء بشكلٍ هيستيري وكأن الأخيرة تنتحب حُزنًا على شيءٍ ما لا يعلمه أحد سواها. تحركت السيارة التي استقلها المُحَققان بيتر وباركر ببطء شديد حيث حاول الأول أن يتوخى الحذر أثناء قيادته خلال هذه الأجواء المُربكة كما حذره الأخير منذ قليل، بينما كان الخادم بانتر يجلس في مقعد السيارة الخلفي وقد بدا غارقًا في النوم، فيما انشغل المُحققان بحساب المسافة المُتبقية حتى يتمكنا من الوصول إلى وجهتهما على نحوٍ دقيق. كان المُحَقق باركر

مُنهمكًا في تفقد تلك الخريطة الجغرافية الصغيرة التي أمسك بها في يده، وعليه فقد قام بإرسال معطفه اللامع إلى المقعد الخلفي حيث كان بانتر يجلس. على الجانب الآخر أيضًا كانت السيدة ميردل موظفة الأرشيف الجنائي برفقتهم خلال تلك الرحلة والتي شرعت في إخراج وثائقها الرسمية وأوراقها وبدأت في ترتيبها بشكلٍ أبجدي، كما أنها عكفت على تدوين كافة التفاصيل والمعلومات الجانبية الخاصة بالقضية حتى استطاعت الوصول إلى عدة نقاط قامت بتلخيصها على الورق لحين مُناقشتها لاحقًا.

تهكَّم اللورد بيتر قائلًا:

-أشعر يا رِفاق وكأننا ندور في حلقةٍ مُفرَغَة! فكيف السبيل إلى هذا المكان بحق الإله! فالطريق يخلو بدوره من أية إشارات من شأنها أن تُلهمنا ولو قليلًا!

-أتَّفق معك، ولكن يجدر بنا مواصلة السعي حتى وإن توجهنا إلى الكثير من الطرق الخاطئة فسوف نتمكن من تصحيح المسار لاحقًا، فلا ضير من المُحاولة مرارًا وتكرارًا. تَذكر ذلك على الدوام أيها المُحَقق ولا تيئَس.

واصلَ اللورد بيتر قيادته للسيارة بينما تتساقط الأمطار بغزارة شديدة، فإذا به فجأة يُلقي برأسه ناحية النافذة ويقول:

-انظر إلى هذا الرجل الجالِس أسفل الشجرة هناك!، قالها المُحَقق باركر مُضيفًا:

-يمكننا أن نسأله عن الطريق

-يبدو أنه قد فقد طريقه هو الآخر يا باركر!

-لا أعتقد أنه قد يجلس شخص فقد طريقه بتلك الحالة من الهدوء والثبات أسفل الشجرة وسط سقوط الأمطار على هذا النحو!

بمجرد أن انتبه إليهم الرجل نهض من مكانه وتقدم ليلتقي بهم، وحينها أوقف اللورد بيتر ويمسي السيارة ناحية أحد الطرق المسدودة.

-من فضلكم، هل بمقدوركم مساعدتي؟، قالها الفتى الغريب والذي اتضح لاحقًا أنه كان يقود إحدى تلك الدراجاتِ النارية

-هل بمقدوركم مساعدتي لإصلاح دراجتي النارية؟، قالها الفتى

-ما الأمر؟ ما خطبها؟

-في الواقع إنها لا تعمل

-لقد خمنت ذلك، قالها المُحَقق اللورد بيتر ويمسي

-ولكن كيف لدراجتك أن تعلق في مكانٍ هذا! أعتقد أنَّ ثمة غرابَة واضحة في تلك المسألة.

خرج اللورد بيتر من السيارة وتوجه ناحية السياج برفقة الفتى صاحب الدراجة، كما أن بانتر الذي كان يجلس في المقعد الخلفي للسيارة بدأ يتأمل المشهد على نحوٍ أكثر دقة من ذي قبل بعد أن استفاق من نومه.

-هل تعثرت دراجتك في هذا المكان؟ أم أنك مَن قمت بوضعها هنا؟، سأله اللورد بيتر ويمسي مُتأملًا الآلة باستياءٍ شديد

-لقد قمت بوضعها هنا في هذا المكان، ثم شرعت في قيادتها لكنها لم تتحرك من مكانها لسوء الحظ! يبدو أنه لا جدوى من ذلك كله. فقد قررت أن أنتظر لحظة قدوم أحدهم حتى يساعدني على إصلاحها ودفعها إلى الأمام.

-ما مشكلتها على وجه التحديد؟

-لا أعرف

-كانت دراجتي تعمل بشكلٍ رائع حتى تعطلت فجأة وتوقفت في تلك البُقعة.

-هل نفذ منها البنزين؟
-لا بالطبع فهناك الكثير بداخل خزان الدراجة.
-هل تأكدت من القابس؟
-لست واثقًا من هذا. قالها الفتى بينما بدا غير سعيدٍ على الإطلاق وأضاف:
-فهذه هي المرة الثانية التي أتوجه فيها إلى الخارج
-حسنًا لا تقلق أيها الفتى سوف نقوم بإصلاح تلك الدراجة، من المؤكد أنَّ ثمة خطباً ما. دعنا نتأكد أولًا من خزان البنزين. قالها اللورد بيتر بابتهاجٍ واضح ثم أزال رأس الغطاء ووضعه أسفل ضوء المصباح الصغير.
-دعنا نُجَرب حظنا مرة أخرى وسوف نُتابع قابس الدراجة خلال تشغيلها على مهل.
عندما قام الفتى بتجربة دراجته النارية وجدها بحالٍ جيدة هذه المرة، فإذا به يصيح بكل حيوية قائلًا:
-يا إلهي! لا يمكنني أن أُصدق ما رأيته للتو! أنا في حالة ذهول حقًا! كيف دارت الدراجة بغتةً هكذا؟ ما الذي قمت به يا سيدي؟
فأنا أشعر بالفضول الشديد!
-الأمر بسيط، لقد قمت بفحص خزان الدراجة وتأكدت من وجود انسداد هوائي فحسب. قالها اللورد بيتر راسمًا ابتسامة عريضة على وجهه، هذه هي المسألة باختصار.
-أنا مُمتن جدًا لك يا سيدي. أشكرك جزيل الشكر.
-لا بأس يا عزيزي على الرحب والسعة، لقد كنا نبحث عن الطريق المؤدي إلى كروفتون، هل يُمكنك أن تُرشدنا إليه؟

-بالطبع أنا شخصيًا ذاهب إلى كروفتون، هناك في الأسفل عند نهاية هذا الطريق
-الشكر للرب! حسنًا هل يمكنك أن تقود دراجتك وتسبقنا إلى هناك وسنلحق بك بسيارتنا؟ كم تبعد المسافة عن هنا؟
-خمسة أميال
-هل هناك حانة في تلك المنطقة؟
-أجل هناك واحدة كنت أتردد عليها بين الحين والآخر.
-حسنًا يتوجب علينا أن نمضي قُدمًا الآن يا رِفاق.
انطلق الفتى بدراجته النارية ولحقت به سيارة السيد بيتر وباركر وبانتر وموظفة الأرشيف حتى وصلوا إلى حانة ضخمة يجتمع فيها أهالي البلدة ـــ تحديدًا السيدات ـــ حيث يُمارسن هناك أعمال الثرثرة والنميمة المُفضلة لديهن هناك بطريقةٍ أكثر أريحية. توسَّط المُحَقق اللورد بيتر ويمسي الطاولة وشرع يتحدث مع تلك المجموعات النسائية عن قضية السيدة داوسون العجوز من دون الخوض في المزيد من التفاصيل التي تُغطيها التحقيقات، فقد ذكر بدوره اسم الآنسة ماري ويتكار وسأل عنها ليعرف أي معلومة عن طبيعة علاقاتها، وحينها أجابته إحدى السيدات أن الآنسة ماري ويتكار من أفضل نساء البلدة وألطفهن على الإطلاق كما أن بقية الحضور أجمعوا على ذلك الأمر. فلقد امتدح الجميع أخلاق الآنسة ويتكار وكذلك قال أحدهم إن مشروعها الخاص بتربية الخيول هو أفضل مشروع تم افتتاحه في البلدة بأسرها، فهي تعتني بالفعل بخيولها وتهتم كثيراً بتربيتها.
تحدثت إحدى السيدات أيضًا عن الآنسة ماري ويتكار باستفاضةٍ أكبر حيث قالت إنها توسعت في إدارة مشروعها الخاص نتيجة لشغفها الكبير فيما

يتعلق بتربية الخيول والاهتمام بأجسادها وبشعرها. وصفتها السيدة البدينة المرحة ذات الوجه المُستدير تمامًا كما القمر بأنها سيدة أعمال ناجحة، وأنها قد أبلت حسنًا في مجالها مما ترتَّب عليه كسبها لثقة الكثير والكثير من أبناء البلدة، فالآنسة ماري ويتكار امرأة محبوبة حسنة السُمعة. شعر اللورد بيتر بسعادةٍ بالغة عقب إصغائه لهذه الحكايات المختلفة، كما أنه انتشى فرحًا بتلك الأجواء المُبهجة التي تُحيط بالحي وأبنائه على اختلافهم، كما أنَّ ثمة امرأة أخرى صهباء ذات بشرة فاتحة قد قالت إن جميع مَن يسكنون تلك البلدة يُحبون الآنسة ماري ويتكار فهي تحظى بشعبية واسعة، ثم توقفت بغتةً عن الكلام وكأنها تفكر في شيءٍ ما وقالت:



-يا لها من امرأة رائعة!

-أتعلم يا سيدي، قالتها المرأة مُضيفةً:

-على الرغم من أنها لم تعد تعمل في هذا المجال الآن، ومع أنَّ هناك شخصاً آخر قد حلَّ محلها فيما يتعلق بتربية الخيول إلا أن كافة أهالي البلدة يفتقدون الآنسة ماري بشدة، فقد كنا جميعًا نثق في أمانتها وإتقانها لحرفتها تلك.

تظاهر المُحَقق باركر أنه يعرف الآنسة ماري ويتكار جيدًا، وعليه فقد صمت قليلًا ثم قال:

-أجل! أعرفها جيدًا، لقد تعرفت إليها ذات يوم بينما كانت تتجول عند جسر المدينة الرئيسي، وقد عرفت أنها كانت تعيش برفقة عمتها السيدة أجاثا داوسون، تلك المرأة المريضة التي كانت الآنسة ماري ويتكار تسهر على راحتها.

-أجل يا سيدي. قالتها المرأة البدينة ثم أضافت:

-كانت الآنسة ماري ويتكار تعيش برفقة عمتها العجوز في هدوءٍ تام وسعادة

حتى اشتد المرض على الأخيرة في نهايةِ المطاف، الأمر الذي اضطرهم جميعًا إلى ترك منزلهم القديم والانتقال إلى منزلٍ آخر، وهناك ساءت الأحوال على نحوٍ ملموس واتسعت الفجوة بين السيدتين بعد أن كانتا مُقَربتين لبعضهما بعضاً، فقد بدأت السيدة داوسون تتصرف بتَصَلُبٍ شديد غير مَرِن. إنني أتذكر أيضًا رحلات السيدة داوسون على ظهرِ الحصان أثناء إقامتهما في المنزل القديم، لكن الأمر لم يسرْ على هذا المنوال، فلاحقًا بدأت السيدة أجاثا داوسون تفقد القدرة على التحكم في أعصابها، وبناءً عليه فقد منعتها الآنسة ماري ويتكار من الوجود بمفردها في الخارج، وظلت مُلاصقةً لها من أجل حمايتها بكل الطرق حتى لا تغيب ولو للحظةٍ عنها. لكننا جميعًا لا نرى الأمور من نفس الزاوية، فعلينا أيضًا أن نضع مسألة اختلاف الأجيال في اعتبارنا، فلو أننا نحكم على المسائل بنفس الطريقة فلن يكون هناك أية خلافات على الإطلاق! ولكن ما حدث هو أن السيدة أجاثا داوسون لم تكن تتفق مع قريبتها الآنسة ماري ويتكار في تلك النقطة على وجه التحديد، وكانت ترى أن نساء هذا الجيل الشابات لسن على دراية بحقائق الأمور. وفي واقع الأمر يمكنني الاتفاق معها في تلك الجزئية فالكثير من الفتيات يتَّسمن بتلك الصفة بشكلٍ ملحوظ مع أن الآنسة ماري ويتكار تختلف عن بقية فتيات البلدة، فهي قد تفوقت عليهن جميعًا فيما يخص نجاحها كسيدة أعمال تمكنت بكل سهولة من إدارة مشروعها الخاص وتربية الخيول وبيع أفضل السُلالات من دون أن تكون بحاجة لأن تحصل على نصيحة أحدهم!

-لقد بدت الآنسة ماري ويتكار كفتاة صالحة حقًا. قالها اللورد بيتر ويمسي مُضيفًا:

-لقد عرفتها جيدًا فلديّ الكثير من الأصدقاء أيضًا الذين قد ربطتهم علاقة

وثيقة مع السيدة داوسون عندما كانت تعيش في هامباشير كما تعرفين.
-أحقًا يا سيدي؟ إذن اسمح لي أن أسألك إن كنت تعرف أسباب وفاة تلك السيدة؟ لقد سمعنا أنها ماتت في ظروفٍ غامضة بعد إصابتها بمرضِ السرطان. إنه لشيء مُريع حقًا! لقد كانت سيدة عطوفة حنونة. يا للمسكينة! أعتقد أنك كنت على تواصل بها يا سيدي أليس كذلك؟
قاطعتها سيدة أخرى وقالت:
-هل أنت مُهتَم برؤية صورنا جميعًا معًا في إحدى رحلات الصيد التي قمنا بها في كروفتون؟
-من فضلك يا عزيزي جيم، أحضر تلك الصور الفوتوغرافية للآنسة ماري ويتكار والسيدة داوسون حتى يطلع عليها السادة الأفاضل، لقد كانت السيدة العجوز وقريبتها برفقتنا لفترةٍ من الوقت.
أشارت السيدة البدينة إلى صورة تشتمل بدورها على عددٍ من الأشخاص الصيادين الذين يجلسون إلى جوار بعضهم بعضاً ويستمتعون بتناول أكواب من النبيذ المُعتَق قبيل موعد بدء حملة الصيد وأضافت ساخرةً:
-أعتقد أنك لن تكون بحاجةٍ إلى شيءٍ آخر بعد الآن. سوف تغنيك تلك الصورة تمامًا حيث إنك ستجد فيها معظم تلك البيانات التي تبحث عنها.
نهض زوج تلك المرأة من مكانه بغتةً ثم تحرك بضع خطوات إلى الأمام وقال:
-إن العالم قرية صغيرة حقًا يا أعزائي الأفاضل، فنحن أيضًا قد تعرفنا على السيدة داوسون وقريبتها الآنسة ماري ويتكار، وها أنتم الآن تؤكدون معرفتكم بها خلال فترة زمنية مُحَددة، أليس هذا أمرًا غريبًا في حد ذاته يا رِفاق؟ لطالما قلت لزوجتي خلال حفلة الصيد سابقة الذكر إنني أشعر بشدة أن تلك هي آخر مرة سنلتقي فيها السيدة داوسون! كان ذلك في عام 1918

وحينها لم نلتقِ بها بالفعل ثانيةً فقد علمنا لاحقًا أنها قضت نحبها. في الواقع على الرغم من أننا قد استمتعنا كثيرًا برحلتنا الجماعية تلك، إلا أنها حدثت في ظل ظروفٍ مُعقدة للغاية بسبب الحرب وتلك الحالة من عدم الاستقرار التي كانت تُسيطر على البلاد خلال هذه الفترة الزمنية. قالها الرجل ثم ضحك فجأة وواصل حديثه:

-أضِف إلى ذلك الخسائر الفادحة التي لحقت بنا من خلال حملة الصيد! فلم نتمكن إلا من صيد القليل من الحيوانات البائسة. قالها الرجل ثم صاح مُقهقهًا:

-إنك لا تعرف حقًا مدى سعادتنا حينها، فعلى الرغم من خيبة الأمل الكبيرة التي حصدناها في نهاية رحلتنا تلك إلا أننا استمتعنا جدًا بأوقاتنا وقضينا الساعات نضحك ونتشارك الأحاديث الخفيفة المُمتعة. كم كانوا أُناسًا رائعين أيها السادة! ما زلتُ أتذكر ما قالته الآنسة الجميلة ماري ويتكار خلال هذا اليوم. لقد قالت بالحرفِ الواحد إنه على الرغم من تلك الهزيمة المُحَققة الملموسَة بين أيدينا الآن إلا أنه يتعيَّن علينا ألا نيئس ونمضي قُدُمًا ونواصل السعي. لا يمكن لأحدنا أن ينسى مرارة وقسوة هذا العام الذي عصفَ بنا جميعًا وأجبرنا على اختبار نوعٍ آخر من الارتباكِ والتوتر المعيشي.

قاطعته زوجته التي تحدثت بأنفاسٍ لاهثة يبدو جليًا عليها التأثُر وقالت:

-لم تمر فترة طويلة حتى عرفنا خبر موت السيدة داوسون في عام 1922. لقد أوجعنا الخبر إلى أقصى حد أيها السادة، فقد كانت تلك المرأة سيدة رائعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى! لقد كانت امرأة مدهشة حقًا! لكن الرب قد حررها من آلامها بإطلاق سراحها وبعثها إلى العالم الآخر. لا يمكنني أن أنسى رؤيتها تجلس إلى جوار قريبتها الآنسة ماري ويتكار بداخل تلك العربة

التي تجرها الخيول. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي ركبت تلك السيدة فيها خيولًا، فقد منعتها الآنسة ماري لاحقًا من هذا الأمر حتى لا تُلحِق الأذى بنفسها بعد أن وهنت قواها وباتت هشة لا تُفَرِّق بين الأشياء. لقد كانت سيدة طيبة رائعة حقًا، أليس كذلك يا سيدي؟

تأمل المُحَقق اللورد بيتر ورفيقه السيد باركر الصور الفوتوغرافية باهتمام كبير ثم نظرا بإمعانٍ في وجه تلك المرأة الشابة المُمسكة بزمام عربة الخيول في يدها بكل قوة بينما تجلس مُنتصبَة. بدا وجهها صارمًا قاسيًا لكنها كانت جميلة بكل تأكيد. أنفها طويل ومُدَبب وحاجباها كثيفان. ثمة امرأة أخرى أكثر بدانَة وأصغر حجمًا كانت تجلس إلى جوارها والتي على الرغم من أنها كانت الأكبر سِنًا إلا أن علامات الأنوثة بدت جليةً عليها. تلك المرأة هي السيدة أجاثا داوسون، السيدة العجوز التي لقيت حتفها لاحقًا في هذا المكان القروي الهادىء.

كان وجهها جميلًا مُبتسمًا، كما أنها بدت أقل هيمنةً من المرأة الأخرى المُسيطرة، ومع ذلك فقد كانت تمتلىء بالحياة والحيوية والروح الكبيرة الطيبة. بدت الصورة من دون شك أقرب إلى تخليد لحظة وجود سيدتين بارزتين.

طرحَ اللورد بيتر سؤالًا أو اثنين بشأن تلك العائلة، وحينها أجابه الرجل زوج السيدة البدينة قائلًا:

-في الواقع يا سيدي على الرغم من أني لا أعرف الكثير حول هذا الأمر إلا أن المعلومة الوحيدة التي يعرفها جميع سُكان البلدة جيدًا هي أن الآنسة ويتكار الكُبرى عمة الآنسة ماري قد تشاجرت مع أهلها في بدايةِ المطاف حتى تتمكن من القدوم إلى هنا لتعيش برفقة صديقتها السيدة أجاثا داوسون، فلم يكن مُعتادًا في تلك الأيام أن تترك الفتاة بلدتها أو منزلها من

أجل الانتقال إلى مكانٍ آخر والعيش في منزل أحد الغرباء بمفردها. فإذا أقدمت بدورها على تلك الخطوة ستغدو فتاةً منبوذة وسط مجتمعها. إذا كنت مُهتمًا يا سيدي أن تعرف الكثير من المعلومات حول تلك المسألة فربما يجدر بك اللقاء بالسيد بين كوبلينج، ذلك الرجل الذي يعرف بدوره حكايات آل داوسون وويتكار، فلقد تزوج من السيدة ويتكار الكُبرى لمدة أربعة عشر عامًا ثم عقد قرانه لاحقًا على خادمة السيدة داوسون وذهب برفقتها إلى بلدة نورفولك. إنه الآن في السادسة والثمانين من العُمر، ربما أصبح الآن رجلًا عجوزًا لكن بإمكانك سؤاله يا سيدي فهو يعيش برفقة زوجته في الكوخ المُجاور لمنزلي منذ أن تركته السيدة ويتكار ثم ماتت لاحقًا. إذا رغبت حقًا في اللقاء به غدًا يا سيدي يُمكنك ذلك فذاكرة بين جيدة جدًا وبمقدوره إفادتك في الكثيرِ من الأمور. التمس لي العُذر يا سيدي يجدر بنا الآن إغلاق الحانة.
قالها الرجل ثم نظر حوله وصاح هاتفًا:

-هيا يا رِفاق! حان الوقت! هيا من فضلكم!

شرع جميع الحضور في التَحَرُك من أماكنهم وبدؤوا بدفع رسوم الطعام، ثم تأهبوا لمُغادرة الحانة.

-إن كروفتون بلدة جميلة حقًا. قالها المُحَقق اللورد بيتر لرفيقه باركر عندما غادرهم الجميع وتركوهم بمفردهم في غرفة ضيقة صغيرة تفوح منها رائحة الخزامى

-أنا واثق جدًا أن بين كولبينج يعرف بدوره كل شيء عن القِس الزنجي الذي يدَّعي قرابَة السيدة داوسون. يتعيَّن علينا البحث عن السيد كولبينج الآن.

الفصل الثاني عشر

واصل المُحَققان حديثهما على هذا النحو من دون تَوَقُف، فكل ما كان يشغلهما حقًا هو جمع الكثير من المعلومات حول الآنسة ماري ويتكار، تلك المرأة المُشتبَه بها التي ربما تكون لها يَد خفية وراء ذلك الحادث الغامض، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ كان هذا السؤال هو ما يشغلهما.

قضى الثنائي ليلتهما يُناقشان القضية ويضعان لها بعض الاحتمالات، ثم توجها إلى النوم من أجل الحصول على قسطٍ من الراحة قبل القيام بخطوتهما الثانية في تلك الجولة.

انقضت تلك الليلة المُمطرة العاصفة بتقلباتها المختلفة، ثم سكبت الشمس نورها مُوزعةً إياه على الأراضي والحقول والمساحاتِ الخضراء الشاسعة.

تناول اللورد بيتر كميات كافية من البيض واللحم المُقَدد ثم انطلق إلى تلك الحانة سابقة الذكر التي كان يجلس فيها برفقة صديقه باركر، والتي يجتمع فيها هؤلاء الصيادون يوميًا. ظل واقفًا في سكونٍ حتى يحين موعد العمل كما أنه دخَّن سيجارته ببطء وأطرق صامتًا ينتظر تلك اللحظة.

ثمة ثمانٍ من البطات تلتف حول بعضها بعضاً ثم تصطف في طابورٍ واحد مُحاولةً بكل جهدٍ ودأب عبور الجسر. ها هي قطة سوداء تظهر بغتةً من العدم ثم تتمدد على أحد المقاعد بعد أن تدسّ نفسها وسط أكوام الخردة المُتناثرة هنا وهناك. قامت القطة الصغيرة بوضع أرجلها الخلفية أسفلها كإشارة منذرة بالشؤم، وكأنها تُمنَعهم من فتح ملف تلك القضية!

مر موكب لأحد تلك الأعراس الشعبية في المنطقة حيث كانت العروس وزوجها يُباركان الحضور مُلوحين بالإشارات التي تعكس مدى الحفاوة.

وقف الرجلان يُراقبان الحشد المُزدحم، ثم انفتح باب الحانة بغتةً فإذا باللورد بيتر يُصيح قائلًا:

-ها هو رجل الحانة قد جاء!

-صباح الخير أيها السادة. قالها النادل بعد أن فتح باب الحانة من الداخل، ثم اختفى مُجَددًا بعيدًا عن الأنظار.

-صباح الخير. ردَّ اللورد بيتر ثم مضى بُخطى وئيدة برفقة صديقه السيد باركر ناحية عتبة الباب بكل سعادة وثقة

ثمة رجل عجوز مشى على مهل بالقرب من الساحة الخلفية للكنيسة. بدت التجاعيد جليةً على وجهه كما أن ظهره كان مُنحنيًا على نحوٍ ملموس. أحسَّ المُحَققان وكأن بشرة هذا الرجل المُسِن أشبه بطبقاتٍ من الجلودِ المُهترئة. كان يتنقل في أرجاء المكان كما المومياء المحمولة على الأعناقِ، ثم اقترب من المقعد الموضوع في الطريقِ العام وجلس إلى جوار القطة السوداء الصغيرة يلتقط أنفاسه اللاهثة. تأمله اللورد بيتر بهدوء مُتفحصًا ملامحه العتيقة التي تُشبه التُحَف الأثرية.

-صباح الخير يا سيدي. قالها المُحَقق بيتر

-صباح الخير. قالها الرجل العجوز ثم واصل حديثه ضاحكًا:

-يا له من صباحٍ جميل حقًا! ففي تلك النهارات الجميلة المُشرقة وحدها أدعو الرب لأنْ يمنحني عُمرًا إضافيًا حتى أتمكن من العيش بكل حب في هذا العالم الرائع لفترةٍ زمنية أطول. أنا مُمتن حقًا لأني ما زلت أعيش حتى الآن، فقد شارفتُ على التسعين عامًا لكني أستمتع بتلك الحياة، ولم أفقد يومًا شغفي تجاهها. أشعر وكأن الرب يمنحني يومًا جديدًا لأقوم بشيءٍ جديد.

-أوه! ليُباركك الرب يا عزيزي!، قالها اللورد بيتر راسمًا على وجهه ابتسامة عريضة

-أشكرك يا سيدي، في الواقع ليس لديَ ما يمكنني أن أتذمر بشأنه، فها أنا على مشارف التسعين من العُمر، كما أنني أبدو أكثر قوة وأتمتع بصحةٍ ممتازة. ربما يبدو ظهري مُنحنيًا قليلًا لكن هذا لا يعود أبدًا إلى عامل العُمر بل يعود بدوره إلى عملي لسنواتٍ طويلة في مجال تربية الخيول وركوبها، فقد تعودت على النوم داخل إسطبل الخيول طيلة حياتي واندمجت معها لفترة طويلة، من الممكن مُلاحظتك لذلك يا سيدي

-في الواقع ليس هناك رِفقَة أفضل من ذلك يا سيدي. قالها المُحَقق بيتر

-هذا صحيح يا سيدي! لطالما اعتادت زوجتي الشعور بالغيرة من الأحصنة! إنها تقول إنني أفضِّل التَحَدُث إلى الخيول أكثر منها! حسنًا، ربما هي مُحِقَة فالحصان لا يتفوه بالحماقات، وهذا ما أقوله لها على الدوام، فهذا ما تفعله النساء بشكلٍ عام يا سيدي، ألا تتفق معي في تلك النقطة؟

-أتفق معك. قالها اللورد ويمسي

-هل ستطلب شيئًا ما الآن؟ هل يُمكنني مساعدتك؟. قالها اللورد بيتر

-أشكرك يا سيدي سأطلب كأساً من الجعة، فجيم صاحب الحانة يعرف طلبي جيدًا ثم أضاف:

-ناهيك عن أنَّ هذا الكأس من الجعة خفيفٌ على المعدة، فهو أفضل كثيرًا من تناول الشاي

-أعتقد أنك مُحِق. قالها اللورد بيتر ثم أضاف:

-هناك شيءٌ سلبيٌّ يتعلق بتناول الشاي، فهذا تأثيره على معدتي أيضًا، هل من الممكن أن تجلب لي كأسَ نبيذ يا جيم من فضلك؟ وهل بمقدورك

الانضمام إلينا؟

-حسنًا يا سيدي، طاب صباحك سأُحضر النبيذ في غضون دقائق أيها السادة

-طاب صباحك يا سيد كوبلينج. قالها النادل

-إذن هل أنت السيد كوبلينج؟ تسرني رؤيتك للغاية. لقد جئت إلى هنا حتى أتحدث إليك حول مسألة ما

-أحقًا يا سيدي؟

-أتعرف يا سيد كوبلينج اللورد بيتر ويمسي؟ اسمح لي أن أُقدمه إليك الآن، لقد انضم إلينا ليلة أمس، وقال إنه كان على معرفة بالسيدة ماري ويتكار والسيدة أجاثا داوسون. كما أنه أراد اللقاء بك حتى تُخبره بكل ما تعرفه عنهما.

-حقًا؟ في الواقع أيها السادة لم أعد أعرف عنهما أي شيء الآن، فقد انفصلتُ عن السيدة ويتكار منذ خمسين عامًا وتزوجت من امرأة أخرى. ما زلتُ أتذكر كيف كانت ويتكار في صباها فتاة جميلة جدًا. ما زلتُ أنظر إلى الوراء مُتخيلًا حُمرَة وجنتيها وشعرها الأسود اللامع. كانت تتحلى بتلك الروح الطفلة المُبهجة. ما أعلمه أن الكثير من الرجال في السابق كانوا مُعجبين بها لكنها لم تلتفت إلى أحدهم يومًا، بل حاولت جاهدةً الاعتناء بنفسها والابتعاد التام عنهم بل ورفضهم بكل خشونة وغلظة، حيث كانت تتحكم في قلوبهم كما لجام عربَة الحصان. لقد نظرت إليهم بازدراء وكأنهم بقعة من الطينِ القذر. عملتُ معها لاحقًا في مجال تربية الأحصنة، وكنت أقوم ببذل قصارى جهدي من أجل اختيار أفضل السلالات تلك التي تتمتع بصحةٍ جيدة. من الممكن أن تقول إن هواية تربية الخيول قد جمعت بيننا، فلقد وجدنا ضالتنا فيها. وعلى الرغم من زواجي بها لفترة من الوقت إلا أن

المسألة برمتها كانت شكلية؛ حيث إن السيدة ويتكار كانت سيدة أعمال أكثر من أي شيءٍ آخر، فلم تكن تهتم لأن تكون زوجة، وقد كنت أحترم رأيها في معظم الأمور تقريبًا منعًا من أن أدخل معها في خلافاتٍ طويلة لا تنتهي، كما أنني كنت رجلًا فقيرًا جدًا قبل أن أتزوجها، لذا حاولت الحفاظ على الوضع الراهن من دون إثارة الشجار.

انطلق السيد بيتر ويمسي المُحَقق ليسرد بدوره تفاصيل قصته الوهمية التي تخص معرفته بالسيدة ويتكار، حيث نهض من مكانه على الفور وبدأ يتحدث عن الدور الذي قامت به في مجال الصيد. أصغى السيد كوبلينج العجوز إلى تلك القصة بكل اهتمام أثناء احتسائه لكأسٍ من الجعة. من جانبه حرص النادل على الاستئذان من المكان ورحل حيث بإمكانه وضع الكثير من الأطباق وكؤوس النبيذ لعددٍ إضافي من الحضور. بدأ السيد العجوز أيضًا يحكي كافة تلك التفاصيل التي تتعلق بتاريخ عائلة داوسون، وقصَّ على أسماعهما حكايات عديدة كان يعرفها عن السيدة ويتكار الكُبرى.

كان المُحَقق باركر ـــــ رجل القانون الذي امتلك مهارات قوية تؤهله لخوض أية معركة جنائية وبحث مُلابسات القضايا المختلفة ـــــ يجلس في سكونٍ لطرح تلك الأمور ومناقشاتها من خلال عرض كم من الأسئلة المُنضبطة الخاطفة الكاشفة للأحداث. كان السيد باركر يتبع أحد أساليب التحقيق الذكية التي تسمح له بتَتَبُّع الخيوط الدرامية للمواقف والبحث عن نقاط محددة لمعرفة طبيعة الأحداث، مما أجبر السيد كوبلينج على التَوَقُّف مرارًا أثناء حديثه وإثارة موضوعات جديدة. لاحظ اللورد بيتر ويمسي ثرثرة صديقه ومُمارسته تضييقًا كبيرًا على الرجل العجوز الذي كان يُدلي بشهادته الخاصة أمامهما، ثم لكز صديقه في ذراعه بعُنف حتى يتوقف الأخير عن

الكلام ليسمح لهذا الرجل بسَرد كل شيء من دون إغفال أية تفاصيل. طلب منه رفيقه المُحَقق أن يصمت قليلًا وقد حدث ذلك بالفعل. ثم أخبرهما السيد كولبينج أن زوجته تعرف الكثير من المعلومات حول السيدة أجاثا داوسون لأنها كانت تعمل خادمة لها في الأيام الخوالي، وعلى هذا فقد دعاهما إلى زيارة الكوخ الذي يعيش فيه برفقتها والذي يبعد عن هذا المكان حوالي ساعة أو أقل، من جانبهما قبِلَ المُحَققان دعوته.

شرح السيد كولبينج للمُحَقق باركر قصته القديمة تلك التي سردها لتوه للمُحَقق بيتر ويمسي، حيث كرر له أنه رجل محظوظ على مشارف التسعين من عمره وما يزال يتمتع بصحةٍ مُمتازة، كما أنه يبدو أكثر قوة ممَن هم في نفس عُمره الحالي باستثناء آلام الروماتيزم التي تُصيبه من آنٍ إلى آخر كما أنه قال:

-إن ظهري ليس مُنحنيًا حقًا بفضل الكِبَر في السِن، لكن المسألة كلها تعود إلى عملي في مجال الأحصنة. فأنا يا سيدي رجل ينام في إسطبل الخيول ولا أتعامل إلا معها في أغلب الأوقات كما أنني أمتطيها، فالخيول هي حياتي حقًا.

-تَحلَّ ببعضِ الصبر يا تشارلز. همسَ بيتر ويمسي في أذن صديقه.

-أعتقد أن ما أصابني بالكِبَر حقًا هو ذلك الشاي الذي أتناوله يوميًا عند الإفطار فهو يُدمر المعدة. قالها كوبلينج ثم استدار ناظرًا إلى سيدة عجوز عودها ممصوص وبشرتها شاحبة جافة، والتي بدت أصغر من زوجها بعامين فقط.

لقد شعرت الزوجة بالسعادة البالغة لمنحها تلك الفرصة لتتحدث عن عزيزتها السيدة أجاثا داوسون، وحتى عندما حاول السيد باركر المُحَقق الآخر أن يُقاطعها مُتدخلًا مُحاولًا منح التحقيق أسبابًا أكثر منطقية أوقفهُ صديقه المُحَقق بيتر مُجَددًا. جدير بالذكر أن السيدة كولبينج تعتبر أنه من

الطبيعي أن يهتم العالم بأسره فقط بشؤون عائلة داوسون، وعلى هذا فقد مضت في حديثها على نحوٍ أكثر سعادة. لقد كانت تعمل خادمة في منزل آل داوسون عندما كانت فتاة صغيرة حتى إنه يُمكننا القول إنها قد وُلِدَت وترعرعت هناك. وكيف لا وقد كانت أمها مدبرة منزل السيد هنري داوسون والد السيدة أجاثا داوسون؟ كما أنها أيضًا كانت مدبرة منزل والده في السابق، وكذلك عملت لدى جده ولم تنتقل من هذا المنزل إلا بعد أن تجاوزت الخامسة عشرَ من العُمر وتزوجت جيمس ويتكار منذ هذا التاريخ، وقد افترقت عنهم خادمتهم المُخلصة وانقطعت عنها أخبار عائلة داوسون، ثم سمعت تباعًا بأخبارِ وفاة كافة أفراد الأسرة الواحد تِلو الآخر بدءًا من السيد ستيفن نفسه.

لم تكن السيدة كولبينج واثقة جدًا بشأن ما حدث لرب الأسرة السيد ستيفن داوسون، حيث إنها قالت إنه قد لاقى قدرًا قاسيًا جدًا في لندن حيث إن الكثير من الناس الأشرار قد اتحدوا ضده وأفقدوه كل تلك الأموال الطائلة التي قام بجمعها خلال السنوات الماضية. وخلال فترة زمنية مُحَددة طويلة كانت أو قصيرة خسر الرجل النبيل كل شيء ولم يكن قادرًا على رفع رأسه مُجَددًا، وشعر بالخزي والعار.

مات الرجل بعد أن أصبح في الرابعة والخمسين من العُمر. يا له من رجل مسكين حقًا! لقد تعرَّض بدوره إلى صدمة قاتلة أنهت حياته بشكلٍ مُباغِت، كما أن زوجته لم تعش طويلًا بعد وفاته. أوه! هذه المرأة الفرنسيةً الجميلة الطيبة التي كانت تشعر بالوحدة الشديدة في إنجلترا، فلم يكن لها عائلة أو شقيقات، كما أنَّ من تبقَّى من أفراد عائلتها قد انتقلوا إلى أماكن نائية أخرى.

-وماذا كان يعمل السيد ستيفن في السابق؟ هل كانت ينتمي إلى أسرة ثرية؟،

سأل اللورد بيتر ويمسي

-في الواقع لم يكن من أسرة ثرية جدًا، بل كان والده تاجرًا وبناءً على ذلك فقد حاول السيد ستيفن أن يعمل بدوره في هذا المجال، وبهذا فقد استمرت العائلة تقدم جهودها في مجال التجارة على مدار ثلاثة أجيال مُتعاقبة على هذا النحو، ورغم كل ذلك فقد عانى السيد ستيفن الأمرَّين لأنه لم يتمكن من توفير كافة احتياجاته الأساسية، وكنتيجة لذلك فقد تزوج بسيدة جميلة ثرية. صارت الحياة أفضل في ظل هذا الوضع الجديد، وتحسنت أحوال الرجل شيئًا فشيئًا ولكن سرعان ما انتهى هذا الحلم الجميل، فعندما أعطته زوجته الجديدة بعض المال الذي ورثته عن أسرتها وفشل مشروعه التجاري تَنكَّرَت له وتركته تمامًا في فقره المُدقِع. تخلصت المرأة الثرية من زوجها نهائيًا وألقته في الخارج حيث إنها كشفت عن وجهها السيئ بفعلتها تلك. وكنتيجة لذلك لم يتزوج السيد ستيفن إلا بعد أن تخطى عامه الأربعين، وحينها ارتبط بامرأة فرنسية لا عائلة لها على الإطلاق لكنها كانت امرأة جميلة وطيبة وقد ساعدته على العيش بهناءٍ وسعادة، وقد رُزقا بطفلٍ واحد وهو السيد جون. كَبِر الابن وبات يافعًا ثم التحقَ بالجيش الوطني وشارك في الحرب وقُتِل! كان الخبر بمثابة الصاعقة التي عصفت بحياتهما. أسوأ خبر على الإطلاق، أليس كذلك يا سيدي؟ كما أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحَد، بل استمر مسلسل الضرائب الباهظة وارتفاع تكلفة وأسعار كل شيء من حولهما. وكذلك تعرَّض الكثير من أفراد المجتمع إلى الطرد والتسريح من وظائفهم خلال تلك الفترة.

-هل قُتِل إذن؟ من المؤكد أن الحادث قد كان قاسيًا جدًا على والديه؟

-أجل يا سيدي لقد كان بالغ القسوة، فالسيد ستيفن واجه صعوبات كافية في حياته ولذلك فقدَ عقله بغتةً وأطلقَ النار على نفسه وكذلك على زوجته،

ربما سمعتَ عن هذا الخبر من قبل. لقد نُشِرَت الكثير والكثير من التحقيقاتِ حول هذا الأمر

-أعتقد أنني قرأت شيئًا بالفعل عن ذلك الأمر. قالها اللورد بيتر ويمسي المُحَقق بينما بدا غير واثقٍ مما يقوله للتو، لكنه حرص كل الحرص على ألا يُقَلِل من تلك المأساة المحلية قدر استطاعته.

-وماذا عن السيد جون بن ستيفن داوسون الصغير؟ هل تزوج من إحداهن قبل أن يلقى حتفه على هذا النحو؟

-كلا يا سيدي. أعتقد أنه لم يتزوج على الإطلاق. ذلك الأمر الذي كان مُحزنًا للغاية حيث إنه تمت خطبته في بداية المطاف لسيدة شابة، والتي كانت تعمل كممرضة في إحدى المستشفيات الإنجليزية كما علمنا، وكم تمنَّى صدقًا أن يعود إلى الديار شوقًا ولهفةً حتى يتزوج بها في إجازته القادمة، لكن الأمور لم تسر بشكلٍ جيد، وقد قادتهما الأحداث المؤسفة إلى نتيجةٍ صادمة مُباغتة جعلتهما يعيشان أسوأ أيام حياتهما. قالتها السيدة البدينة ثم انتحبت، وأضافت بصوتٍ مُتَهَدِج عندما سألها المحقق:

-هل كان السيد جون هو الابن الوحيد إذن؟

-ليس بالضبط يا سيدي، فقد رُزِقَت الأم السيدة داوسون بطفلين توءم، لكنهما لم يعيشا أكثر من يومين فقط! كان ذلك منذ أربع سنوات بعد أن تزوجت السيدة هاريت من جيمس ويتكار.

-أجل بالطبع يمكنني أن أفهم الآن تلك الطريقة التي ترابطَ بها أبناء هذه العائلة معًا

-أجل يا سيدي فقد ذهبت السيدة أجاثا والسيدة هاريت والسيدة كلارا ويتكار إلى نفس المدرسة معًا، كما أن السيدة ويتكار قد طلبت منهما الذهاب

وقضاء عطلاتها الصيفية برفقة الآنسة كلارا، وحينها تحديدًا وقع السيد جيمس في غرام الآنسة هارييت، وعلى الرغم من أن الأخيرة لم تكن أكثر جمالًا من الآنسة أجاثا داوسون إلا أنها في رأيي كانت أكثر إشراقًا وحيوية وخِفَة. كما أن الآنسة أجاثا لم تكن كذلك تنتمي إلى نوع الفتيات التافهات الحمقاوات اللواتي يتقبلن المُغازَلة بصدرٍ رحب. في حقيقة الأمر لقد كانت السيدة أجاثا داوسون تُفضل العيش من دون زواج، ولم تجد أية أزمة في مواجهة أمرٍ كهذا. كما أن هذا كان حال خادمتها القديمة أيضًا وكذلك الآنسة كلارا، فقد عشن معًا في جوٍ من الوئام والسلام والحب والسعادة الذي لم يُعَكِر صفوه أي شيءٍ آخر. فلم ألمح يومًا ظِل رجل في هذا المنزل. وكما تعلم يا سيدي لقد كانت السيدة أجاثا داوسون امرأة هادئة حكيمة مُلتَزمة جدًا بكل ما تقوم به، فإذا قالت أي شيء لا يُمكنك إجبارها على تغيير رأيها فيه، لا يُمكنك ذلك أبدًا حتى وإن استخدمت حسابات المنطق أو التهديدات أو أي وسائل أخرى. فمنذ أن كانت طفلة صغيرة اعتدتُ أن أُساعدها في القيام بعدة أمور في المنزل، إلا أنها كانت تدخل في نوبةٍ من البُكاء واضطراب المزاج فقط إذا لم تستطع أن تقوم بما تُريده بنفسها من دون أي تَدَخُل من أحد آخر. هل تتصور ذلك يا سيدي؟ أن تجد طفلة في مثل هذا العُمر تتسم بكل هذا القدر من العناد وقوة الشخصية؟

إن الصورة الوحيدة التي وجد اللورد بيتر نفسه قادرًا على تَخَيُلها خلال تلك اللحظة هي رؤيته لتلك المرأة العجوز المسكينة قليلة الحيلة التي تقدمت بخطواتٍ مُرتعشة نحو قدرها المحتوم، على الرغم من خداع كل مَن أحاط بها تحديدًا قريبتها ماري ويتكار. تلك الفتاة التي مكثت إلى جوارها بدافع تقديم العون والرعاية، لكنها كانت تُفكر بدورها في شيءٍ آخر.

-أعتقد أن جميع أفراد عائلة داوسون قد ماتوا الآن، أليس كذلك؟
-أعتقد ذلك يا سيدي، فلم يتبقَّ منهم إلا الآنسة ماري، وهي تنتمي إلى عائلة ويتكار في الأساس، فهي أصلًا حفيدة السيدة هاريت ويتكار وابنة السيد تشارلز ويتكار الوحيدة. وقد انتهى بها الحال وحيدة أيضًا داخل منزلها عندما ذهبت للعيش مع السيدة داوسون.
-لقد قُتِل السيد تشارلز وزوجته في حادث سيارة مُريع. يا إلهي! لقد تحملت تلك العائلة ما لا يُطيقه أحد على الإطلاق! بدا الأمر وكأنه ما من شيء يُمكن فعله سوى استقبال الهزائم والمفاجآت غير السارة الواحدة تِلو الأخرى.
-ابتهجي قليلًا يا أمي. قالها ابنها بِن ثم وضع يده حولها، وحينها واصلت حديثها بعد أن مَزَق النَحيب صوتها:
-في الواقع لقد مَنَّ علينا الرب بالكثير من النعم يا سيدي، فلديّ أسرة جميلة كبيرة جدًا، لديّ الأبناء والأحفاد، ثلاثة أبناء وفتاتان وأربعة عشر حفيداً! ربما تود أن تطَّلع على صورهم يا سيدي، أليس كذلك؟
عبَّر اللورد بيتر ويمسي عن رغبته وحماسته الشديدة في رؤية تلك الصور، وفي تلك اللحظة حاول المُحَقق باركر التعبير عن غضبه المُباغت لفترةٍ من الوقت عندما بدأت السيدة كوبلينج في سرد الوقائع التاريخية لأسرتها، كما أنها شرعت في فتح سِجِل الأبناء والأحفاد مع ذكر تلك الأشياء العريضة التي تخص حيواتهم الآنية بالتفصيلِ المُمِل. وعلى الرغم من أن المُحَقق بيتر لم يكن راغبًا أصلًا في استكمال تلك القصة إلا أنه تظاهَر بالعكس عندما همسَ رفيقه باركر في أذنيه مُعربًا عن استيائه مما يجري، ثم سأل السيدة بشكلٍ مُباغِت:
-وماذا عن القِس الزنجي قريب السيدة داوسون؟

وقبل أن يُكمِل طرح سؤاله انتفضت السيدة البدينة، ثم وقفت بعيدةً عن موقع مقعدها وقالت في غضبٍ لا يقبل الشك:

-من فضلكم لا تُحدثوني عن هذا القِس الزنجي! فأنا لا أرغب أبدًا في الحديث عنه على الإطلاق!، قالتها ثم التقطت وشاحها الثقيل المُعلَق على الحائط ثم بدأت ثورتها في التَراجُع تدريجيًا حتى عادت بدورها إلى سرد تفاصيل حيوات أبناء وأحفاد العائلة الكِرام. فلم تكن تلك المرأة تَكِل أو تَمِل من سرد تلك الأمور التافهة، فهي ترى عائلتها مركز الكون بأسره.

حاول اللورد بيتر جاهدًا استكمال حديثه مُقاطعًا المرأة

-على أية حال ألم يكن لآل داوسون أي أقارب يعيشون في بلادٍ أجنبية؟

-أجل يا سيدي، قالتها السيدة كولبينج بنبرةٍ مصدومة. هناك السيد بول شقيق السيد هنري داوسون، لكن ما من أحدٍ كان يتحدث عنه على الإطلاق. فقد كان السيد بول بمثابة مصدرٍ للخزي في حياة أفراد عائلته.

-كيف ذلك؟، سألها المُحَقق بيتر ويمسي

-لقد كان كاثوليكيًا يا سيدي!، قالتها السيدة البدينة بتَعَصُبٍ واضح مُضيفةً:

-ثم أصبح راهبًا بدوره في وقتٍ لاحق! كان الحدث بمثابة صدمة حقيقية لعائلته، قالتها بأنفاسٍ لاهثة مُتقطعة

-لو أنه كان مُجرمًا قاتلًا لكان الأمر أقل وطأة من ذلك!

لقد ألقى السيد هنري داوسون باللوم على نفسه في هذا الأمر كثيرًا جدًا.

-كيف كان الخطأ خطأه؟

-حسنًا، كما قلت لك يا سيدي، لقد كانت زوجة السيد هنري امرأة فرنسية وقد كانت كاثوليكية بالطبع، وعلى هذا الأساس فقد ألقى الرجل باللوم على نفسه، فلقد تربت على نمط حياة معين، وكذلك كان لها معتقداتها الدينية

الخاصة التي لم تكن قادرة أبدًا على التخلص منها أو التأقلُم بها مع وضعها الحياتي الراهن بعد الزواج، فلم تستطع أن تُبلي حسنًا ناهيك عن أنها كانت صغيرة جدًا عندما تزوجت، لكن السيد هنري سرعان ما علَّمها أن تكون مسيحية صالحة وحينها حاولت بكل جهدها إزاحة تلك الأفكار الدينية المتطرفة قد الإمكان، وبدأت تتردد على الكنيسة الأبرشية. وعلى الجانب الآخر كان السيد بول قد وقع في غرام إحدى شقيقاتها والتي أقسمت بالوفاء لمعتقداتها الدينية الخاصة كما تقول وقررت التَفَرُغ لحياةِ الرهبَنَة. وفي تلك الفترة تعرَّض السيد بول إلى صدمةٍ عاطفية كُسِر على أثرها قلبه، ثم تَعَرَف إلى إحدى الفتيات الشقراوات ثم دخل في حالة من الصمتِ والتَوقف عن الحديث مع الناس وأصبح راهبًا في وقتٍ لاحق. أعتقد أن هذا الرجل العجوز ما زال على قيدِ الحياة حتى هذه اللحظة. قالتها السيدة كولبينج وأضافت:

-لابد أنه ما زال يتعذب نتيجة خطاياه التي ارتكبها في حياته السابقة

-حسنًا إذا كان ما يزال على قيدِ الحياة، ربما إذن هو الوريث الحقيقي للسيدة داوسون، ربما يكون هو قريبها القِس الذي نبحث عنه خلال تلك الفترة يا بيتر، أليس كذلك؟

قطَّب اللورد بيتر ويمسي جبينه ثم قال:

-لا أعتقد ذلك، أظن أن هذا الرجل ليس قريبَ السيدة داوسون الذي نبحث عنه، فمَن نُريده قِسٌّ زنجي، وهذا الرجل سابق الذكر لم يكن زنجيًا ولم يكن قادمًا من بلادٍ أجنبية.

-زنجي؟؟، قالتها السيدة كولبينج في استياءٍ واضح مُضيفةً:

-لا أعتقد ذلك أبدًا، فالسيد بول لم يكن زنجيًا.

-ربما كان ذلك يا أمي، نحن لا نملك معلومات أكيدة بهذا الخصوص. قالها ابنها بِن

-أوه! يا إلهي! زنجي! في حقيقة الأمر لم يتحدث عنه أفراد عائلة داوسون يومًا، كما أننا لم نره في الجوار يومًا، فلقد أدمن بطبعه السفر إلى الخارج. لم نتعرف على شكله في أية مناسبة فكل ما نعرفه أنه قد رحل إلى جزر الهند منذ بضع سنوات، ولم يعرف أحدهم لاحقًا ماذا حدث له.

صمتت السيدة البدينة لوهلة، ثم قالت بلهجةٍ حادة مُضطربة مُفاجئة:

-حسنًا، إذا افترضنا جدلًا يا سيدي أن السيد بول قد تزوج من امرأة سوداء في مكانٍ ما خلال رحلاته الكثيرة تلك، تُرى هل رُزِق إذن بأبناء وبأحفاد سود؟! يا إلهي! كم هو أمر مُفاجىء بالنسبة لي!

-ربما كان هذا الشخص الذي تبحثون عنه أيها السادة هو ابن السيد بول أو حفيده، وربما كان ينتمي إلى أصحاب البشرة السوداء!. قالها السيد بِن.

-هذا رائع جدًا. قالها المُحَقق بيتر ويمسي مُستمتعًا بما يسمعه لتوه، ثم سألها على الفور:

-هل تعتقدون أن السيد بول قد توجَّه إلى جزر الهند الغربية أم الشرقية؟

لم تكن السيدة كولبينج تعرف وجهته الحقيقية المُحَددة، لكنها كانت واثقة أنه ذهب إلى بلدةٍ أمريكية فحسب

-في الواقع يا سيدي إنه لأمر مُحزِن حقًا أن السيد بروبين لم يعد يعيش في إنجلترا بعد الآن، فلو كان هنا لاستطاع إخبارك بكل ما يعرفه عن عائلة داوسون، لكنه مع الأسف قد سافر إلى إيطاليا منذ فترة طويلة.

-مَن هو السيد بروبين؟

-لقد كان يعمل مُحاميًا لدى السيدة ويتكار، قالها بِن ثم أردف:

-كما أنه قد تولَّى إدارة كافة أعمال السيدة داوسون أيضًا. فلقد كان رجلًا جيدًا على المستوى العملي، لكنه أيضًا كان فظًا بعض الشيء. قالتها السيدة كولبينح ثم ضحكت ساخرةً:

-فقد كان يفرض سيطرته على كل شيء، لكن أعتقد أن هذا هو حال أي مُحامٍ في العالم

-أجل فهم جميعًا يفعلون ذلك، ناهيك عن مسألة أخذ كل شيء

-هل كان يعيش في كروفتون؟

-لا يا سيدي، لكنه يعيش في بلدة أخرى تبعد عن هذا المكان حوالي اثني عشر ميلًا، كما أنَّ ابنيْهِ بوينر ووينكر باتا كبيرين الآن، لديهما أعمالهما الخاصة، لكني لا أعرف الكثير عنهما. استمر الحال على هذا المنوال وظل المُحققان يستمعان إلى شهادة السيدة كولبينج وابنها لفترةٍ طويلةٍ من الزمن، ثم وجَّها لهما عبارات الشكر تأهبًا للمغادرة.

-إذن ها هو أثر القِس الزنجي يتلاشى فجأة!، همس بها المُحَقق باركر في أذن صديقه بيتر ويمسي

-ربما! وربما لا. أعتقد أنه ثمة ترابط بين ذلك القِس بول الذي ترك أهله وبلده وغادر إلى الخارج من دون عودة، وذلك القِس الزنجي الذي نبحث عنه باعتباره القريب الوحيد في عائلة السيدة أجاثا داوسون، والذي يُثير حوله مجموعة من الشكوك. أظن أن السيد بربيون هو بمثابة ذلك الطائر الذي يتعيَّن علينا الإمساك به. أتعرف السبب؟ لأنه قام بدور ذلك المُحامي الغامض كما أعتقد!

-بالطبع هو يا بيتر! وما يتعيَّن علينا فعله الآن هو أن نمضي بخُطى ثابتة إلى البلدة التي يعيش فيها للبحث عنه، وربما نجد ابنيْه بوينر ووينكر لنسألهما إذا

كانا يعرفان شيئًا ما.

لسوء الحظ لم يعرف الابنان شيئًا عن تلك المسألة، فقد تعمدت السيدة أجاثا داوسون سَحب كافة أوراقها ووثائقها المالية من مُحاميها سابق الذكر قبل موتها بفترةٍ معقولة، وبدأت في تجهيز أوراقها وإرسالها إلى محامٍ آخر جديد. كما أن ابنيه بوينر ووينكر لم يكونا على اتصال بأفراد عائلة داوسون طيلة تلك الفترة، ولم يكن لديهما أي اعتراض على منح اللورد بيتر ويمسي ورفيقه عنوان السيد بروبيون. كما أنهما أعربا عن استيائهما الشديد لعدم تقديمهما أية مساعدة تُذكَر للمُحَقق بيتر ولرفيقه باركر.

وزعت الشمس نورها بشكلٍ عادل على نوافذِ الغرف كما هي عادتها، وعكف المُحَقق بيتر على تناول وجبةِ الإفطار برفقة صديقه باركر تأهبًا للقيام بخطواتهما العملية في هذا الصباحِ الباكر. ضحك المُحَقق بيتر ساخرًا ثم قال:

-يا لها من وجبة حارقة لاذعة!، قالها ثم استطرد ناظرًا إلى صديقه باركر:

-أعتقد أنني سأكتب خطابًا إلى أحد أقاربي الموجودين في أحد أديرة البلدة القديمة لأسأله إن كان يعرف أية معلومة عن هذا القِس الزنجي، ربما يمكننا حينها اقتفاء أثره على نحوٍ واسع ودقيق.

-أتفق معك يا عزيزي. قالها باركر مازحًا ثم أضاف:

-كما أن الجو الصباحي المُشرِق سوف يساعدنا على تنفيذ خطتنا بكل أريحية، ألم تسمع ما قاله هذا الشاعر الشهير الذي لا أتذكر بدوري اسمه الآن عن تآلف موسيقى النباتات مع أنوارِ الصباح؟ تلك التي تركض في هيامٍ وترقص في مرايا الطبيعة؟

الفصل الثالث عشر

"على الرغم من أن أقاربنا هم أفضل السُلالات البشرية على الإطلاق، إلا أنهم آخر مَن يُمكنني الالتفات إليهم أو زيارتهم يومًا ما!"

شريديان/ الخَصم اللدود

بدا السيد بيشوب رجل الدين شخصًا طيبًا عطوفًا، حيث إنه أكد لهما عدم معرفته بالقِس داوسون بشكلٍ شخصي، لكنه يظن أنه على دراية بمكان عمله بالإضافة إلى إشادته بتلك الأعمال والجهود التي يقوم بها الأخير في بعضِ البلدان وأضاف قائلًا:

-سوف أبذل كل جهدي يا سيدي المُحقق من أجل التواصل مع معارفي في لندن حتى أجمع بعض المعلومات التي تخص القِس داوسون لأرسلها إليكم في وقتٍ لاحق.

-ألا يمكنك يا سيدي الاتصال بأحد معارفك الآن؟ نحن في عجلة من أمرنا.

اتَّصل الرجل بأحد معارفه بالفعل، وقد أسفر الاتصال عن عدة نتائج مُرضية أولها أن السيد داوسون ما زال بالفعل يعيش في إنجلترا ويقضي خدمته في منزل البعثة في ستيفني. لقد أصبح الآن رجلًا عجوزًا كهلًا يعيش في ظل أوضاعٍ معيشية متواضعة.

أضِف إلى ذلكَ أن السيد القِس قريب اللورد بيتر قد عرَض عليهما أن يُرَتِب لهما لقاء معه.

انطلق المُحَقق بيتر برفقة صديقه باركر على الفور إلى المنطقة المقصودة، هناك حيث احتشد الناس في أحد الأزقة حتى إن أجسادهم كادت أن تلتصق

ببعضها بعضاً. أخذ السيد بيتر ينظر إلى المشهد في حالةٍ من التَرَقُب. كانت الأضواء الخافتة تتراقص في مرايا عيون المارة، ثم مرت إحدى السيدات بغتةً والتي كانت تعتمر قبعة سوداء طويلة وانطلقت في بهاءٍ وألق وسط الزحام، بينما تجمَّع الكثير من الأشخاص حولها وكأنها شخصية عامة شهيرة، مما خلق بدوره حالةً من الارتباك والصَخَب، حتى إن المشهد الفوضوي استفز مشاعر المُحَقق باركر واضطره لأن يقترب من هؤلاء الناس إلى جوار رفيقه اللورد بيتر، ثم قدَّم نفسه باعتباره ضابط شرطة، مما جعل الجميع يبتسمون ويتراجعون قليلًا إلى الوراء حتى يسمحوا له بالولوج إلى الداخل. وحينها فتح باب المنزل رجل عجوز والذي قال:

-تبًا لكم أيها الأطفال! توقفوا عن الصراخ! ثم نظر أمامه متأملًا المُحَقق بيتر ورفيقه باركر، ثم لوَّح له بيتر شارحًا له سبب زيارته المُباغتة تلك.

-مرحبًا أيها السيدان! أخشى أن يكون صَخَب حيِّنا قد أزعجكما!

حاولَ المُحَقق باركر إبعاد نفسه عن الحشد بعض الشيء، حيث شعر أنه على وشك الاختناق وسط الزحام، ثم تقدَّم بخُطى وئيدة مُتنفسًا الصعداء واقترب من رفيقه المُحَقق بيتر الواقف أمام الرجل العجوز المُستهدف من زيارتهما تلك.

واصل الأطفال الصغار صياحهم وهتافهم كما أنهم استمروا في تشغيل بوق سيارة اللورد بيتر بشكلٍ فوضوي صاخب، حتى إن المُحَقق شعر أنه سيفقد عقله وقال:

-ستنفذ بطاريات السيارة على هذا النحو! لماذا لا تُحاول يا سيدي السيطرة على الموقف؟ فهؤلاء الصغار المُشاكسون هم جيرانك في نهايةِ المطاف!، قالها باركر هاتفًا.

-لا يُمكنني ذلك فهم أشقياء إلى أقصى حد يا سيدي! أعتذر منك. قالها الرجل العجوز ثم أشار ناحية إحدى الفتيات الصغيرات التي كانت تلهو مُخرجةً لسانها للمارة ثم قال:

-هذه الفتاة الصغيرة يا سيدي هي زعيمة العصابة! يُمكنك إذن أن تتفاهم معها بنفسك، فهي المُسيطرة على هذا الموقف العبثي برمته.

نظر إليها اللورد بيتر شذرًا، ثم أخرج من جيبه نصف جنيه واقترب من الفتاة المُشاكسة مادًا يده ثم قال:

-انظري إلى هنا أيتها الصغيرة، لديّ نصف جنيه من أجلك، هل يُشَكل هذا فارقًا لكِ؟

عبَّرت الفتاة عن خجلها المُفاجىء الشديد في ظل وجود تلك المكافأة الثمينة، ثم جلست تفرك حذاءها المُغبَر بقدمها الأخرى. في الواقع على الرغم من صغر سنها إلا أنها كانت طفلة ذات شخصية قوية، فعندما أشارت إلى رفاقها الصغار توقفوا على الفور، وحينها لاحظ اللورد بيتر ويمسي تأثير وجود النقود على الفتاة فاقتربَ منها أكثر وقال:

-حسنًا دعينا نتفق يا عزيزتي، إذا حافظتِ على سيارتي كما هي سأمنحكِ نصف جنيه. ولكن إذا قام أحد بتشغيل البوق سأسمعه بالطبع وعلى هذا سأخصم منكِ قرشًا لقاء كل صوت أسمعه، هل أنتِ راضية؟

صمتت الفتاة لبعضِ الوقت وكأنها تدرس ما قاله المُحَقق داخل عقلها، ثم واصل صاحبنا حديثه مُضيفًا:

-فإذا سمعتُ صوت بوق السيارة ست مرات سوف أمنحك قرشين فقط، وإذا سمعته ثلاثين مرة فلن تحصلي بدورك على أي شيء على الإطلاق، وسوف أُلقي نظرة عليكِ من نافذة المنزل من آنٍ إلى آخر، فإذا وجدتكِ

تعبثين بأجزاء السيارة أو تجلسين برفقة أصدقائك الصغار في الداخل لن أُعطيكِ شيئًا، اتفقنا يا عزيزتي؟

-حسنًا بالطبع يا سيدي، سوف أعتني تمامًا بأمر سيارتك لا تقلق.

-هذا رائع!

-اتفقنا يا سيدي، لن أسمح لأحد بلمس سيارتك أبدًا، وسأحصل على نصف الجنيه أليس كذلك؟

-فتاة جيدة!

قادهم الرجل ذو النظارات الطبية إلى غرفة الانتظار المطلة على خطوط السكك الحديدية، والتي تنتشر على جدرانها مقاطع متفرقة من نصوص الكتاب المقدس.

-سوف أخبر السيد داوسون أنك هنا. قالها الرجل ثم اختفى بينما كان ما زال يُمسِك بعدد لمجلة دينية قديمة في يده. ثمة صوت مُباغت جاء فجأة مما اضطر الحاضريْن الجالسين للشعور بقليلٍ من التوتر والارتباك. وقعت عين المُحقق بيتر ويمسي على رجل هندي عجوز يجلس على الأريكة المصنوعة من أشجار جوز الهند، والذي بدا عليه القِدَم والعتاقة فقد كان نموذجًا لشخصٍ ميت! الأمر الذي أدهش المُحَققيْن حيث نظرا إليه بكل ذهول! فكيف لرجلٍ كهذا ارتكاب أية جريمة على الإطلاق؟

كان الرجل أيضًا نحيلاً ضئيل البنية، ذا نظارات سميكة. كما أن إطار نظارته كان مكسورًا. مما لا شك فيه أنه كان أحد الزنوج المقيمين في إنجلترا. كانت بشرته ملساء بلونِ الزيتون توحي بالبهجة وبالإشراق وبالسلام النفسي، بالإضافة إلى أن شعره كان رماديًا مُجعدًا.

ارتدى الرجل أزياءً تُرابية اللون عجيبة حقًا، كما ألقى بأحد الأوشحة

الداكنة على كتفيه المترهلين. لديه عينان جاحظتان تتحركان من اليمين إلى الشمالِ على استحياءٍ ظاهِر، كما أن ابتسامته كانت ودودة وشفافة وصادقة.

-هل أردتما رؤيتي؟، سألهما الرجل بلغة إنجليزية ممتازة تخلو من أية عيوب، ثم واصل حديثه:

-مَن أنتما؟ أعتقد أننا لم نلتقِ من قبل

-كيف حالك يا سيد داوسون؟

-نحن مُحققان من الشرطة، وكنا بصدد إجراء عدد من التحقيقات والاستجوابات التي تخص عائلة داوسون التي تعيش في كروفتون، وقد اتضح لنا أنك قد تكون قادرًا على إفادتنا يا سيد داوسون بما أنك قريبهم من أصولٍ هندية، هل بمقدورك ذلك؟

-أجل بالطبع. قالها السيد داوسون الذي كان ما يزال واقفًا في مكانه، ثم اقترب منهما أكثر وسأل:

-هل يُمكنكما الجلوس قليلًا؟

-شكرًا لك. قالها المحقق اللورد بيتر ويمسي

-ألم تُرسلكما الآنسة ويتكار إلى هنا؟. سألهما الرجل بنبرةٍ غامضة، لكن اللورد بيتر ويمسي شعر بالفضول الذي يشوبهُ الارتياب وقال:

-كلا، نحن فقط نقوم بتلك الإجراءات التي تخص الأنساب وشواهد القبور وهذا النوع من الأشياء.

-أجل، أتفهَّم ذلك، آمل حقًا أن....، قالها الرجل ثم توقف قليلًا وتَنهَّد مُضيفًا:

-لكن يسرني حقًا محاولة تقديم العون لكم بأي طريقة.

-حسنًا، سؤالي إليك الآن يا سيدي: ما الذي حدث للقِس داوسون الأكبر؟

فنحن نعرف أنه قد غادر عائلته وقام بالإبحار إلى جزر الهند تقريبًا عندما كان في السابعة عشر من العمر!

-بل في الثامنة عشر من العمر. قالها الرجل العجوز بسرعة

-لقد وقع في مشكلة كبيرة عندما كان في هذه السِن، وتورَّط في خلاف رهيب مع أشخاص أكبر منه سِنًا، وبناء عليه قاده كل ذلك إلى لعب القمار والذي نتج عنه مُشاجرة عنيفة تسببت في مقتل أحدهم عن طريق الخطأ، وحينها هرب السيد داوسون الأكبر من العدالة برفقة أصدقائه ووقع في يد مجموعة من القراصنة، وقد تم حمله على إثر ذلك إلى البحار وخدمَ هناك في إحدى المناطق لمدة خمسة عشر عاماً ثم تمكَّن لاحقًا من الهرب كذلك بعيدًا عن تلك الفئة من المرتزقة. واختصارًا لتلك القصة الطويلة فقد توجَّه صاحبنا إلى ترينيداد حيث تمَّ منحه اسمًا مُستعارًا بدلًا من اسمه الحقيقي، وقد ساعده الكثير من الإنجليز هناك على تدبُر أمر معيشته من خلال مُساعدته على العمل معهم في مزرعة السكر.

-ما هو الاسم الذي أطلقه على نفسه لاحقًا؟

-هاركواي. قالها الرجل ثم أضاف:

-في حقيقة الأمر لقد كان خائفًا جدًا من أن يتم إلقاء القبض عليه إذا أعلنَ عن اسمه الحقيقي. لا شك أنه نجح في إخفاء الأمر كما أنه أحب حياة المزرعة تلك التي أشبعته وجعلته قادرًا على ألا يعود إلى الديار مُجددًا حتى من أجل الحصول على ميراثه. ناهيك عن جريمة القتل الشهيرة التي يعرف عنها الجميع كل شيء، فلم يكن يرغب في إثارة الجدل حول موضوعه سابق الذكر هذا مرةً أخرى. كما أنه أكَّد أن تلك الحادثة قد وقعت عندما كان صبيًا يافعًا ولم يكن يقصد بالفعل قتل ذلك الشخص، إنما حدث الأمر عن طريق الخطأ.

-ميراثه؟ هل كان السيد داوسون الابن الأكبر؟
-كلا! كان السيد بارنباس هو الابن الأكبر، لكنه قُتِل في معركة واترلو ولم تتبقَّ له عائلة. كذلك كان هناك الابن الأصغر "روجر" والذي توفيَ بسبب مرض الجدري. وكان سيمون هو الابن الثالث.
-إذن هل ورثَ الابن الرابع القصر؟
-أجل. كان يدعى فريدريك. إنه والد هنري داوسون. لقد حاولوا معرفة ما حدث لسيمون لكن الأمر كان بالغ الصعوبة في تلك الأيام كما تعلم، فيتعذَّر أن تحصل على معلومات عن أماكن أجنبية. كما أن سيمون كان قد اختفى من المشهد نهائيًا، لذا كان على الجميع أن يتجاهلوا المسألة تمامًا.
-وما الذي حدث لأبناء سيمون؟، سأل باركر
-هل كان لديه أبناء؟
أومأ رجل الدين صاحب البشرة الداكنة وقال:
-أنا حفيده. قالها ببساطة بلهجةٍ واثقة ثم أضاف:
-لهذا السبب فقد أتيتُ إلى لندن، تحديدًا في تلك اللحظة التي شعرتُ فيها بأن نداء الواجب يُلِح عليّ أن أقوم بخدمةِ الآخرين من أبناء شعبي وتقديم كل ما يحتاجون إليه. قمت بإدارة مزرعة سكر صغيرة والتي تعود ملكيتها إلى أبي، ثم تزوجت وشعرت بسعادةٍ عميقة، لكننا مررنا لاحقًا بأيامٍ سيئة تسرَّب خلالها الفقر إلى حياتنا مما جعلني أعجز عن تقديم المساعدة للفقراء والمُحتاجين كما كنت في السابق.
-بدأت أشعر بالمرضِ والفقر والعوز خلال تلك الفترة، كما أن زوجتي باتت أكثر وهنًا من ذي قبل. كان حالنا صعبًا مُحزنًا ولم نكن نعلم كيف يتعيَّن علينا إطعام فتياتنا؟ كيف يمكننا أن نعتني بهن؟ آه كم كنت أعيش في ضيقٍ

رهيب! استمرَّ الحال على هذا المنوال حتى فتشت في أوراق جدي وعلمت أن اسمه ليس هاراكواي وإنما داوسون. الأمر الذي جعلني أظن أنه ربما يكون لي عائلة في إنجلترا وربما يمتلك أفرادها القدرة على مساعدتي ومَد يد العون لي خلال تلك الأزمة الراهنة. انتقلت لاحقًا إلى لندن وحاولت جاهدًا أن ألتقي الجميع لأجمع معلومات عن عائلة داوسون الماكثة هناك، ولكن بالطبع لم يحدث هذا كله قبل أن أحصل على إذن من السلطات الإنجليزية بالذهاب إلى هناك باعتباري أحد أولئك الزنوج كما تعلمون!

أومأ اللورد بيتر برأسه في إشارة إلى أنه يفهم ما قيل له للتو ثم سأله:

-وهل تواصلت مع الجميع في لندن؟

-أجل وقد ساعدني ذلك على الذهاب إلى كروفتون التي أشار إليها جدي في خطاباته القديمة التي قمت بمُطالعتها بنفسي، فقد التقيتُ محامي الأسرة المُقيم في المدينة السيد بروبين، أتعرفه؟

-لقد سمعت عنه. قالها المُحقق بيتر

-أجل، لقد كان رجلًا طيبًا عطوفًا، كما أنه اهتم بشأني وقدَّم لي خريطة شجرة العائلة ومنحني نسخة منها للاحتفاظ بها، كما أنه شرح لي كيف يعد والدي وريثًا للكثير من الأملاك تلك التي لم يعد لها وجود في تلك اللحظات.

-كيف ذلك؟

-في الواقع عندما أخرجت شهادة زواج جدتي قال لي المحامي إنها مجرد شهادة صورية ليست قانونية على الإطلاق، فما حدث أن السيد سيمون داوسون كان رجلًا لئيمًا بما فيه الكفاية، فقد اصطحب جدتي برفقته إلى مزرعته في الريف وباعتبارها امرأة سوداء فقد كان يُعاملها على طريقة العبيد المُتبعة تلك الحقبة، وطلب منها التوقيع على تلك الوثيقة المزيفة في ظل

مُباركة عمدة البلدة، لكنها لم تكن شهادة زواج بالشكل المُتعارَف عليه. هل تصدقان أيها السيدان أن المُحامي قد اكتشف لتوّه أن اسم العمدة المكتوب على تلك الوثيقة لم يكن اسمًا حقيقيًا حتى؟! ما زلتُ أذكر كيف وقفتُ في حالةٍ تامةٍ من الذهول والبلاهة إثر سماعي لهذا الكلام! لكني قلت إن الأمر لن يُشَكل فارقًا ما دام ليس هناك أملاك على أي حال، فليس هناك فائدة من شهادة الزواج إذن!

-يا له من حظ سيئ!، قالها اللورد بيتر ويمسي

أومأ الرجل الهندي العجوز برأسه مُتفقًا معه، ثم قال:

-لقد حاولت إرسال خطاب إلى السلطات التنفيذية من أجل الحصول على بعض الدعم المادي، كما أن السيد بروبين كان جيدًا معي بما فيه الكفاية حيث إنه أرسل معي خطابَ توصية أثناء ذهابي إلى السيدة أجاثا داوسون قريبتنا الوحيدة التي كانت ما تزال على قيدِ الحياة حينها.

-أجل لقد كانت السيدة أجاثا تعيش في ليمبتون، كما أنها استقبلتني بكل كرم وحفاوة. وعندما أخبرتها أني لم أكن أملك المال على الإطلاق قررت أن تخصص لي مبلغًا من المال يساوي مائة دولار سنويًا، واستمرت في إرسال هذا المبلغ لي حتى وفاتها.

-هل كانت تلك هي المرة الأولى التي رأيتها فيها؟، سأله اللورد بيتر المُحَقق

-أجل لكنني لم أكن أنتوي أبدًا التطفل عليها، فأنا أعرف مدى حساسية أن يكون لامرأة بيضاء قريب زنجي! ومع ذلك كله فقد عاملتني السيدة بكل لُطف وتحدثت معي بطيبة شديدة، حتى إنها طلبت من الخادمة أن تعد لي وجبة الغذاء

-اسمح لي أن أُقاطعك يا سيدي، أتمنى أن يتسع صدرك لي قليلًا. هل

استمرت الآنسة ماري ويتكار في إرسال نفس المبلغ السنوي الذي كانت تُرسله لك السيدة داوسون بعد وفاتها؟

-كلا! في الواقع لم أكن أتوقع أن الآنسة ماري ويتكار سوف تتوقف حينها عن إرسال المبلغ لي بشكلٍ سنوي، تحديدًا لأنه ثمة الكثير من الاختلافات التي قد طرأت على حياتنا وجعلتها أكثر صعوبة وتعقيدًا.

-لقد قالت لي إنها لا تحب فكرة كتابة الوصية، وعلى هذا فقد أخبرتني أن الآنسة ماري ويتكار سوف تحصل على كل المال بعد موتها، وحينها ستواصل بكل تأكيد إرسال هذا المبلغ السنوي الثابت لي لكن هذا لم يحدث. أتساءل: ربما لم تحصل الآنسة ويتكار على المال حتى الآن؟

-في الواقع لقد حصلت على المال بالفعل، ثمة أمر مُريب بشأن ذلك، قد تكون نسيت تلك المسألة تمامًا، قالها اللورد بيتر

-أتذكر أنني كتبت إليها خطابًا ذات يوم لأُواسيها بوفاة عمتها. حاولت اختيار بضع كلمات من شأنها تخفيف أوجاعها، لكن يبدو أن رسالتي تلك لم تنلْ إعجابها، وبناءً على ذلك قررتُ ألا أكتب إليها مُجَددًا. لديّ شعور قوي أنها لا ترغب في إرسال تلك الصدقة لي بعد الآن. أنا واثق من ذلك

-ربما. قالها المُحَقق بيتر ثم أضاف:

-إنني مُمتن لك حقًا لإدلائك بشهادتك في تلك القضية، فلقد كشفت لنا عن الكثير من التفاصيل التي كنا بحاجةٍ إليها. سوف أقوم فقط الآن بتدوين بعض الأسماء و التواريخ المطلوبة إذا أمكن..

-بالطبع سوف أُحضر لك أيضًا تلك الوثائق الرسمية التي أحضرها لي السيد بروبين المُحامي حينها، لتكشف لك عن كافة تفاصيل أملاك العائلة. اسمحا لي..

قالها الرجل ثم نهض من مكانه ومضى بخطى ثابتة إلى غرفة مكتبه الأزرق متأملًا تلك الورقة البيضاء التي كان يبحث عنها لفترة، مُحاولًا إمعان النظر لربما يعثر على اسم السيد سيمون، ثم وضع إصبعه تحديدًا عند إحدى الخانات.

-انظر هنا يا باركر! ها هو السيد بول، ذلك الولد الشقي الذي أصبح راهبًا في وقتٍ لاحق

-أجل يبدو كما لو كان هو فعلًا يا بيتر! ولكن ألم يلقَ حتفه في عام 1922 قبل موت أجاثا داوسون بثلاث سنوات.

-يتعيَّن علينا أن نستبعده إذن، فما يهمنا الآن هو الكشف عن بقية تفاصيل القضية، علينا أن نبدأ في وضع قائمة أخرى للمُشتبَه بهم، فالسيد داوسون لا علاقة له الآن بحل هذا اللغز. قالها اللورد بيتر المُحقق ثم انطلق برفقة صديقه ناحية السيارة وقام بإخراج نصف جنيه من جيب معطفه وأعطاه للفتاة المُشاكسة على الفور، تلك التي حافظت له على سلامة السيارة حتى يعود إلى الخارج بأمان.

-في الواقع كلما سمعت الكثير من الأمور عن الآنسة ويتكار كلما شعرت أني أكرهها أكثر، فكان من المفترض أن تمنح السيد داوسون العجوز المسكين صدقته السنوية، إنها امرأة سيئة حقًا!

-أتَّفق معك أيها المُحَقق، على أي حال فقد مات الأب بول بسلام وما يزال السيد داوسون القس الزنجي يعيش حتى تلك اللحظة، فلماذا لا تحاول الآنسة ماري ويتكار تنفيذ وصية عمتها بغية الاهتمام بهذا الرجل؟

-اللعنة على كل ذلك يا عزيزي! قالها اللورد بيتر في غضب وأضاف:

-لا أعرف كيف السبيل لإنهاء أحداث تلك القصة؟!

الفصل الرابع عشر

"تلك الأشياء التي لا شَبيه لها تُشعرني بالخوف."

هنري الثامن

-سوف ينضم إلينا مربلز عند تناول العشاء يا تشارلز. قالها المُحقق بيتر ويمسي ثم أضاف:

-سيكون من الأفضل أن أقدم له كافة تلك المعلومات التي تمكنا من جمعها خلال اليوم فيما يتعلق بتاريخ تلك الأسرة.

-أين سوف تتناولون العشاء؟

-في المنزل بالطبع. في الواقع لقد سئمت تناول وجبات المطاعم الجاهزة، كما أن بانتر سوف يطهو اليوم شرائح اللحم الحمراء اللذيذة، كذلك يوجد الكثير من البازلاء والبطاطا والعشب الإنجليزي الأصلي، ألا تحب هذا الطعام الإنجليزي يا عزيزي؟، سأله باركر في دهشة، وعلى الرغم من أن المُحقق اللورد بيتر بالفعل يحب الطعام الإنجليزي جدًا إلا أنه شعر وكأن جسده ثقيل جدًا وأن روحه كئيبة. لم يكن مُتحمسًا لأي شيء على الإطلاق، فحتى طعامه المُفضل لم يكن قادرًا على جذبه إليه فالمسألة كلها أن تلك القضية تشغل عقله إلى حدٍ كبير.

تناول المُحققان وجبة الغذاء وجلسا مجتمعيْن حول الطاولة الخشبية التي تشتمل على مجموعة من الأطباقِ الغنية بالخضروات والفاكهة واللحومِ والأرز والخبز المحمص. تناول المُحقق بيتر طبقه كاملًا من دون هوادة. لم يُقاطعه رفيقه باركر فلقد اكتشفَ أن شهية رفيقه مفتوحة للغاية، لذا أراد أن يُحفِّزه على تناول المزيد. وطلب من خادمه بانتر إحضار مجموعة أطباق إضافية.

على الجانب الآخر جلس ماربلز يُحدثهما عن تفاصيل القضية التي يعرفها بينما استمع إليه المُحَقق بيتر ورفيقه باركر من دون مُقاطعة. واصلَ الرجل كلامه لكنه لم يستطع أن يحل اللغز، وعلى هذا فقد شرعَ بيتر في سرد تفاصيل روايته وحدَّثه عن مسألة تزوير شهادة الزواج التي وقَّعها السيد داوسون لصالح زوجته السوداء، والتي استطاع خداعها من خلالها وقام بتوقيعها باسم عمُدة غير صحيح، وعلى هذا فقد ظلت المرأة المسكينة تظن أنها زوجته بشكلٍ رسمي، ولكن هذا كله كان محض خيال.

-هل لديكم أي نسخ من هذه الأوراق الرسمية يا تشارلز؟

قام المُحقق تشارلز باركر بتفقد حقيبة يده، ثم أخرج منها مجموعة من الوثائق والمستندات التي أعطاها إليه على الفور، وأكد له أن تلك هي الأدلة التي حصل عليها من حفيد السيد داوسون نفسه، والذي سرد لنا حكاية جدته المسكينة مع تلك العائلة الثرية فقط لأنها سيدة سوداء.

-ولكن لا تنسَ يا بيتر أنه قد أكد لنا عدم وجود أية أملاك لعائلة داوسون أصلًا! وهذا يعني أن صحة شهادة الزواج لم تكن لتُشَكِل فارقًا كبيرًا على أية حال. يبدو أن تلك القصة أقرب إلى عالم الروايات الخيالية.

-ألا ينفي كل ذلك وجود شُبهة جنائية في أي أقارب آخرين يا ماربلز؟

-أعتقد ذلك يا عزيزي المُحَقق. قالها المُحامي مُضيفًا:

-لكن ما يتعيَّن علينا مُناقشته الآن في تلك اللحظة الراهنة هي تلك الأملاك التي تخص عائلة داوسون، يتعيَّن علينا أن نعرف إلى أين ذهبت؟ وكيف تلاشت بغتةً بتلك الطريقة؟ فهذا ليس الحال أبدًا في معظم حالات الوراثة الطبيعية.

-ما الذي تفكر به يا ماربلز؟، سأله المُحَقق بيتر.
-ما أريد قوله هو أننا نود أن نتأكد إن كان صاحب تلك الأملاك قد قام بكتابة وصيته قبل أن يموت أم لا! لأنه إذا لم يكن قد قام بكتابتها فهذا بدوره قد يجعل الأمر معقدًا..
قاطعه اللورد بيتر ويمسي وقال:
-في الواقع يا سيدي المُحامي يبدو الأمر في غاية الغرابَة بالنسبة لي، فكيف لهذا أن يحدث؟
-من فضلك استمع إليّ جيدًا يا بيتر. يجدر بنا تأمُل القضية من كافة الجوانب فإذا كان محور الموضوع الآن هو ذلك القريب الذي عمل كرجل دين ورحل عن أهله وبلدته منذ أن كان في السابعة عشر من العُمر فالمسألة هنا تدعونا إلى أن نتساءل قليلًا بشأن زوجته تلك! تُرى هل كانا حقًا زوجًا وزوجة؟
-أعتقد أن تلك النظرية قد تكون بعيدة كل البُعد عن الصِحَة يا صديقي العزيز. فعلينا أن نفترض أيضًا أن ذلك الشخص لم يكن متزوجًا كما أنه لم يكن يملك أية علاقاتٍ مُقَرَبَة، وربما رحل عن عالمنا من دون أن يترك وراءه أثرًا من الممكن اقتفاءه! كان ما يتعيَّن علينا القيام به الآن هو أن نجمع كافة السِجلات التي تشتمل على تواريخ كافة الأحداث التي وقعت بدورها خلال الفترة الماضية، تلك البراهين المادية هي الحجج الأقوى التي يُفترض بنا الحصول عليها بغية تحقيق الحد الأقصى من الإنجاز في قضيتنا تلك.
-أجل بالطبع، أتفهم ما تقوله. ولكن ما الذي حدث في تلك القضية؟
-في الواقع إن القانون الجديد يوضح حالات الميراث التي لا يوجد فيها أي وصايا مكتوبة بكل بساطة. قالها ماربلز ثم وضع الشوكة والسكين معًا مُحركًا مرفقيه حول الطاولة في وقتٍ واحد، مُشيرًا بإصبع يده اليُمنى وكأنه يقوم

ببعض أعمالِ الفَرز والجدولة السريعة.

-أتفق معك في الرأي يا رفيق، فلقد جعل القانون الجديد تلك المسألة تبدو أكثر يُسرًا وسهولة، ومع ذلك فالكثير من أبناء المجتمع يجهلون أو يتجاهلون كيفية تطبيق كل بند من بنودها على النحو السليم الصحيح، فمنهم مَن يُدرِك كيفية تطبيق القانون وآليته ومنهم مَن يدعي عكس ذلك لأنه يملك نوايا خبيثة يرغب بشدة في استخدامها من أجل تحقيق أهدافه.

-دعني أُخبرك أيضًا أنه طبقًا لهذا القانون تذهب نصف ممتلكات العائلة إلى الزوج والزوجة إذا كانا على قيدِ الحياة، أو أنها تخضع لاهتماماتهما الراهنة، أو يتم توزيعها على أطفالهما بالتساوي. ولكن إذا لم يكن هناك زوجة أو أطفال فإنها تصل إلى والد أو والدة الشخص المتوفى، وإذا مات الأب والأم فإنها تذهب إلى الأشقاء والشقيقات الذين تربطهم صلة دم وما زالوا على قيد الحياة، ولكن إذا مات الشقيق أو شقيقته قبل كتابة الوصية فقد يؤدي ذلك إلى الحرمان من الميراث. أما في حالة عدم وجود إخوة أو أخوات أصلًا...

-تَوَقَف من فضلك! تَوَقَف! فأنت لست بحاجة إلى أن تتمادى أكثر. أجبني فقط على سؤال واحد: هل أنت واثق أنه إذا مات الأشقاء أو الشقيقات يذهب الميراث إلى بقيةِ الأقارب؟

-أجل يا سيدي المُحقق، في تلك الحالة بالفعل يتم توزيع الميراث كاملًا على الأقارب، وهذا بدوره يشمل أبناء وبنات العم.

-هل معنى ذلك أنه إذا عاش أحدهم مثلًا لفترةٍ زمنيةٍ طويلة ولم يكن لديه أبناء أو زوجة أو أشقاء فإن ميراثه كله يذهب بدوره في حالة موته إلى أبناء وبنات عمه أو أبنائهم أو أحفادهم؟

-أجل يا سيدي المُحَقق، فهذا ما يحدث بالضبط في تلك الحالة. قالها ماربلز

بنبرةٍ توحي باليقين
-حسنًا من الجيد أنك أكَّدت لي تلك المعلومة الهامة أيها المُحامي
-ربما هذا ما حدث في تلك الحالة. قالها السيد باركر مُضيفًا:
-فإذا لم يكن هناك أقارب من الدرجةِ الأولى مع عدم كتابة الوصية، فربما تمَّ توزيع الممتلكات على بقية أقارب العائلة، ونشمل بذلك أبناءهم أو أحفادهم.
-أتمنى ألا نتعجل في الحكم على تفاصيل القضية وحيثياتها أيها السادة. قالها ماربلز ثم أردف شارحًا:
-بالنسبة إلى العقل العادي، قد تبدو بعض التفسيرات القانونية مجرد مفاهيم عابرة بسيطة، ولكن بالنسبة إلينا باعتبارنا نعمل في هذا الحقل المُتخصص فنحن نعرف أن كلمة "صِلَة الدم" هنا تشمل كل هؤلاء الأقارب من الدرجةِ الأولى أو حتى أولئك الذين تربطهم بالمتوفى علاقة قرابَة بعيدة. فالمسألة برمتها تتحدد على أساس الصفة القانونية لطبيعةِ الوثيقة. قالها المُحامي مُلوحًا بيديه في الهواء شارحًا كل ما يتعلق بحيثيات تلك المواقف التي أخذها على محمل الجَد وجرَّدها من إطارها القانوني الجنائي ليتمكن من تبسيطها وشرحها لهما.
-هناك الكثير من المرادفات التي نستخدمها لوصف تفاصيل القضايا من خلال وجهة النظر القانونية. أعرف أنكما لا تدركان جيدًا تراجم تلك المعاني المُحَددة، وحتى أكون أكثر صراحة معكما فلم تُطرَح على محاكمنا الرسمية قضية كتلك من قبل، فهذه هي القضية الأولى من نوعها حتى الآن ولذا أنصحك يا سيدي المُحَقق ألا تتولى العمل على تلك القضية من دون الحصول على الدعم الكافي لتصبح ذا سلطة وهيمنة، حتى تتمكن بدورك من دراسة كل أبعاد القضية وإخضاعها للتحقيق. ففي رأيي الخاص تحمل

تلك القضية جانبًا هائلًا من التعقيد فهي لا نهائية، كما أنني أعتقد أنه قد تم توزيع تلك المُمتلكات التي لم نعثر عليها على أبناء وبنات العم وأحفادهم، وإلا فأين ذهبت ثروتهم وممتلكاتهم ما داموا لا يعترفون بوثيقة الزواج التي تخص تلك المرأة السوداء سابقة الذكر؟

-وربما يكون هناك وجهة نظر أخرى، أليس كذلك؟

-على الرغم من كونه سؤالًا مُعقدًا، إلا أن ما يمكنني قوله لك في تلك الحالة هو أنه ربما يكون هناك بالفعل نظرية افتراضية أخرى تُناقش ذلك الجانب، فربما تظهر إجابة أخرى في المستقبل القريب عن هذا السؤال.

-ولكن هل تسمح لي يا سيادة المُحَقق أن أسألك: لماذا تحاول الاستفسار عن كل تلك التفاصيل الدقيقة الآن؟، سأله المُحامي المحلي ثم أجابه المُحَقق بيتر ويمسي قائلًا:

-أعرف أن ما سأقوله للتو قد يبدو في ظاهره صادمًا، ولكن هناك الكثير من المفاجآت التي تكشفت لنا خلال الأيام القليلة الماضية. قالها اللورد بيتر ثم أخرجَ من جيب معطفه مفكرته الصغيرة وقال:

-هذا الكتيب الصغير يشتمل على شجرة عائلة داوسون، لقد حصلت عليه من القس داوسون الزنجي، قالها ملوحًا بيديه ثم أشار:

-فإذا نظرت بدورك إلى هنا مثلًا ستجد أسماء كافة أقارب السيدة أجاثا داوسون، سواء أكانت تربطهم بها صلة قرابَة وطيدة أم لا.

-حسنًا. قالها المُحامي، ثم أومأ برأسه حتى يستكمل المُحَقق بيتر كلامه

-إن الجميع يقولون إن الآنسة ماري ويتكار هي ابنة شقيق أجاثا داوسون، ودائمًا ما تقول الأخيرة إن السيدة أجاثا هي عمتها في حين أنك إذا تأملت كتيب شجرة العائلة تلك لن تجد اسم الآنسة ماري ويتكار على الإطلاق.

وعلى النقيض ستكتشف أنها الابنة الكُبرى لشقيقة صديقة أجاثا التي تُدعى هارييت.

-حسنًا يمكنني تَفَهُم ما تقوله الآن، مع أنني ما زلت لم أرَ أي شيء من شأنه أن يُثير دهشتي أثناء بحث تلك القضية، فما تزال الآنسة ماري ويتكار على أية حال هي قريبتها الوحيدة التي ما زالت على قيدِ الحياة! فمنذ أن ماتت السيدة أجاثا في عام 1925 انتقل الميراث كله ومن دون أي سؤال إلى ماري ويتكار وفقًا لبنود قانون الملكية القديم. ليس هناك أي غموض في ذلك الجزء على الإطلاق يا عزيزي

-أجل بالطبع، وهذه هي النقطة التي نتفق بشأنها ولكن...

-يا إلهي! لقد أدركت تلك النقطة التي تُشير إليها، متى تم تطبيق بنود قانون الملكية الجديد يا سيدي؟

-في يناير لعام 1926. قالها ماربلز على الفور

-لقد ماتت السيدة داوسون بشكلٍ مُباغِت غير مُتوقع كما نعرف في نوفمبر عام 1925. قالها المُحَقق بيتر

-ولكن افترض أنها قد عاشت لفترةٍ زمنيةٍ أطول كما توقَّع لها الطبيب في السابق حتى شهر فبراير أو مارس لعام 1926، هل كانت ماري ويتكار لتَرِث حينها بشكلٍ قانوني رسمي بموجب قانون الملكية الجديد؟

فتح السيد ماربلز فمه مُتأهبًا للكلام ثم تراجع مرة أخرى. فرك يديه ببعضها بعضاً ببطء وخلع نظارته الشمسية فجأة، ثم قام بوضعها مُجَددًا مُثبتًا إياها على أرنبة أنفه وكأنه يفكر مليًا في الأمر وقال:

-أنت مُحِق يا سيد بيتر. قالها بنبرةٍ حازمة ثم أضاف:

-تلك النقطة مهمة جدًا، ومن المفترض حقًا أن يُشار إليها بالبَنان، ربما

نبهتني بدورك الآن إلى الالتفات إلى منظورٍ آخر لتلك القضية. أعتقد أنني أتفهم تلميحك الضمني الذي يقترح تورط أحد الأطراف في التَعجيل بموتِ السيدة العجوز أجاثا داوسون بدافعٍ قوي.

-أجل يا سيدي، فهذا تحديدًا ما قصدته لتوي، فإذا فكرنا في الأمر بشكلٍ منطقي سنجد أنه لو كان قد تَغير هذا القانون في عام 1925 لما كان هناك حاجة ماسة للإسراع بموت السيدة العجوز، لأنه بموجب القانون المُعَدَل كان كل شيء ليذهب إلى الآنسة ماري ويتكار، ولكن ماذا عن تأمُل الوضع في ظل القانون القديم؟ أعتقد أن هذا لا يدع مجالًا للشك أنه ربما تكون تلك الفتاة هي الطرف المُتهَم بممارسةِ بعض الحيل والخدع من أجل قتل قريبتها المُسِنَة المريضة حتى تتمكن بدورها من الحصول على كل شيء تحديدًا في حالة عدم كتابة وصية!

-ولكن ماذا لو كانت الفتاة نفسها مُستَبعدَة من الميراث، تُرى إلى أين تذهب كافة الممتلكات والمال إذن؟

-في هذه الحالة يذهب المال إلى دوقية لانكستر، أو تُهدى الأموال إلى المملكة بشكلٍ عام. قالها المُحامي

-إنني أختلف معكما تمامًا يا رفيقيَّ، فأنا لا أظن أبدًا أننا أمام جريمة قتل الآن. فلا أرى أي مُبَرر لأن نُقحِم افتراضنا الظالِم هذا ونحكم على الأمر من منظورٍ ضيق لنتهم فتاة مسكينة بارتكاب جريمة قتل غير مُبَررة! فلماذا أصلًا قد تُرسَل الأموال إلى دوقية لانكستر بحق الجحيم؟ مَن يهتم بأمر دوقية لانكستر؟ فالمكان بغيض أشبَه بعمليات الاحتيال التي يُمارسها العامة من أجل الإفلات من دفع ضريبة الدخل!

-ربما أتفق معك جزئيًا أن هذا السيناريو قد يبدو جنونيًا مُندفعًا بعض الشيء،

ولكني أخشى القول إن الجريمة واحدة بكل السُبلِ بغض النظر عن ضعفِ الضحية أو مُلائمة النتيجة لتلك الصورة المُسبقَة التي نرسمها في أذهاننا.

-لكن السيدة داوسون لم تكن تتقبل فكرة الموت، فلقد كانت تتمتع بعزيمة وإرادة قوية جدًا تُحفزها على العيش لفترةٍ أطول. أضِف إلى ذلك رأي طبيبها المُعالج ذاته الذي كان يرى أن صحتها تتحسن بشكلٍ تدريجي وأنها لن تموت الآن!. قالها اللورد بيتر ويمسي مُقاطعًا حديث رفيقه باركر

-يا رفيقيَّ!. قالها السيد ماربلز مُضيفًا:

-لا يمكننا أن نمضي قُدُمًا في مناقشة تلك القضية إلا بعد استشارة أحد أبرز رجال القانون المُتخصصين، فأنا أعرف السيد توكين جتون جيدًا فهو يتمتع بصلاحياتٍ ونفوذٍ لا يتمتع بها رجل آخر في ذلك الميدان المُحَدد. أنصحكما بضرورة الاتصال به. فعلى الرغم من علاقة السيد توكين الحساسة جدًا ببعض الاختراعات الحديثة وعلى رأسها الهاتف إلا أنه بإمكانكما سرد أحداث تلك القضية على مسامعه هاتفيًا حتى يتمكن من أخذ فكرة كُلية عن الحدث ليُدلي بدلوه فيما يخص ذلك الجانب الجنائي في نهاية الاتصال. كما أنه أيضًا سوف يتمكن من دراسة وضعية الفتاة الآنسة ماري ويتكار وبحث حالتها في ظل قانون الملكية الجديد حتى يكشف عن وجهة نظر مُثيرة تُمكنه من إخضاع كافة المراجع إلى البحث.

لم يتمكن السيد ماربلز المُحامي من إجراء تلك المُكالمة الهاتفية بنفسه، وعلى ذلك فقد اعتذر لهما مؤكداً أنه سوف يذهب إلى تناول العشاء في الخارج برفقة اثنين من الأصدقاء. لكنه سرعان ما تراجع عن رأيه عندما عكف المُحَقق بيتر ويمسي على إقناعه. فقد أكد له أنه ما من سبيلٍ للحصول على تلك المعلوماتِ التفصيلية من دون دعمه.

-حسنًا، يمكنني إسداء تلك الخدمة لكما أيها السيدان، وكذلك لأنه بات لديّ فضول شخصي لأعرف الكثير من التفاصيل حول تلك النقطة الحساسَة. في حقيقة الأمر كنت سألتقي أيضًا بأصدقاء آخرين خلال حفلة العشاء من أجل بحث بعض أسئلتهم التي أرسلوا بها منذ فترةٍ مضت إلى السيد توكين.
-هذا رائع يا سيدي! فلماذا إذن لا نذهب جميعًا إلى منزل السيد توكين بعد أن تُجري اتصالًا هاتفيًا معه حتى نتمكن من مناقشة تلك القضية؟ وكذلك أيضًا ليحصل أصدقاؤك على فرصة طرح تساؤلاتهم الخاصة. أعتقد أنها ستكون فرصة عظيمة لكلٍ من الطرفين، أليس كذلك؟. قالها المُحَقق بيتر ويمسي راسمًا ابتسامة عريضة على شفتيه.
-أجل يا سيدي ماربلز ما يقوله بيتر صحيح ولِمَ لا إذن؟ ستكون فرصة رائعة لنُناقِش الكثير والكثير من الأمور معًا برفقة عقلية قانونية فذة مثل السيد توكين. قالها باركر مؤيدًا تلك الفكرة التي اقترحها رفيقه، ثم أمسك السيد ماربلز بسماعةِ الهاتف وبدأ يتحدث ثم قال:
-مرحبًا يا سيد توكين أنا ماربلز
كان صوت السيد توكين المُستشار القانوني واضحًا جدًا عبر الهاتف والذي ردَّ قائلًا:
-مرحبًا يا عزيزي، كيف حالك؟
شرع السيد ماربلز في إخباره برغبته في القدوم إليه والتَحَدُث معه بخصوص قضية مهمة برفقة عددٍ من الأصدقاء، وحينها ردَّ عليه قائلًا:
-بالطبع يا عزيزي يُمكنكم القدوم الليلة حتى نتناول وجبة العشاء معًا جميعًا. أنتظركم بفارغ الصبر يا رِفاق
وصلوا جميعهم إلى منزل السيد توكين المُحاصَر بعددٍ هائل من أشجارِ

البلوط التي كانت تحرس الطريق الواسع من كل الاتجاهات، وفجأة فتح السيد توكين باب المنزل بنفسه ورَحَب بهم بعد إلقاء التحية بصوتٍ يطفح بالبهجة. كان السيد توكين رجلًا ضخمًا عريض المنكبين مُرَبَع الوجه ذا صوت أجش. لقد عُرِف عن الرجل جرأته وبسالته وجسارته، فلم يكن يخشى أي قضية على الإطلاق، كما أنه أثبت جدارته فيما يخص الحصول على الإجابات التفصيلية التي يحتاج إليها من الشهود العيان، حيث إنه ما من أحدٍ كان قادرًا على الإفلات من أسئلته ونظراته الحادة. فطريقته في إجراء التحقيقات مكَّنته من إدارة الموقف الجنائي بكل مهارة وحكمة.

تَعَرَف السيد توكين على المُحَقق بيتر ويمسي بمجرد النظر إليه، كما أنه عبرَّ عن كامل سعادته بلقائه المُحَقق باركر، ثم وجَّه أصدقاءه إلى الحضور إلى غرفة الجلوس وسط مجموعة من الضحكاتِ الجماعية الصاخبة.

-في الواقع لقد كنتُ أستعد طيلة تلك الساعات حتى ألتقيكم أيها السادة، فأنا أعرف السيد بيتر ويمسي جيدًا كما أن الكثيرين من رجالِ الشرطة يُشيدون بمهارة وذكاء السيد باركر. فتلك القضايا التي قمتما بحلها أيها السادة تشهد لكما بالكثير وتجعلكما أغنياء عن التعريف.

-أشكرك يا سيد توكين، فنحن أيضًا نتشرف بلقائك الآن، فأنت أحد هؤلاء الأشخاص المُتمكنين في مجال التحقيقات الجنائية.

شرع السيد ماربلز في سرد تفاصيل القضية على مسامع المُستشار القانوني وأخرج بدوره كُتَيب شجرة عائلة داوسون، ثم وضعه على الطاولة حتى يتمكن من تقديم المزيد من التفاسير والشروحات للحالة الجنائية.

-في الواقع يا سيد توكين إن ما يُثير قلقي دائمًا هو تلك الأفكار التي يصدرها المُحامون أثناء تناولهم قضية ما، لا أعرف ففي كثيرٍ من الأحيان أعتقد أنهم

يتفننون في تَشتيت رجال التحقيق وصرف انتباههم بكل السُبل إلى أمورٍ أخرى. أخبرني يا سيدي المُستشار: هل أنتم تتعمدون القيام بذلك حقًا أم أننا مَن نظن ذلك عبثًا؟!

قهقه السيد توكين ثم قال:

-أظن أنك تُبالغ بعض الشيء يا سيدي المُحَقق، فنحن لا نتفنن أبدًا في خلق صورة مُزيفة للقضايا، ولا نضع تصوراتٍ وهمية من شأنها أن تُضَلل الرأي العام ورجال التحقيق، إنما نحن نبذل قصارى جهدنا للتوصل إلى حقيقة الأمر مع الأخذ في الاعتبار لكل هذا الكم من القيودِ والمُعيقات التي تواجهنا أثناء التحقيق.

ضحك اللورد بيتر ويمسي، ثم أضاف:

-في كثيرٍ من القضايا التي عملتُ عليها وجدت كمًا هائلًا من تلك الأفكار التَلفيقية التي قام رجال المُحاماة بدسِّها وسط الأدلة والبراهين الأخرى من أجل تحويل ناظرنا إلى أمور فرعية تبتعد تمامًا عن تلك الموضوعات الرئيسة التي ننشد تسليط الضوء عليها.

-أريدك أن تُخبرني باستنتاجك القانوني الخاص يا سيد ماربلز، حتى أتمكن من بناء فكرتي على نحوٍ جيد.

-في الواقع يا سيدي إنني أفترض أن ممتلكات عائلة داوسون قد اختفت، لأنه قد تم توزيعها على أبناء عمومة السيدة داوسون وربما أحفادهم أيضًا

-يمكنني القول إنني لا أرتاح كُليًا إلى ذلك الافتراض يا سيد ماربلز، حيث إنني أشعر أنه ربما هناك تفسير قانوني آخر ينطبق على تلك الحالة التي يرحل فيها الشخص عن عالمنا من دون أن يكتب وصيته، أو أن يكون له أسرة أو أقارب من الدرجةِ الأولى. قالها السيد توكين ثم أردف:

-أظن أنه ربما يتعيَّن علينا البحث عن حالةٍ أخرى قد ينص عليها القانون، والتي قد تفتح لنا الطريق لنعرف أين ذهبت ممتلكات عائلة داوسون؟

-أعتقد أن النوايا العامة ترمي في هذا الاتجاه الخاص بتوزيع الممتلكات والأموال على أحفاد وأبناء أقارب السيدة أجاثا داوسون، قالها المُحامي ماربلز

-نوايا عامة؟!، قالها المُستشار توكين

-عن أية نوايا عامة تتحدث يا سيد ماربلز؟ فأنت تعلم جيدًا أن عملنا القانوني لا يعتمد أصلًا على النوايا! فحتى وإن كانت نوايانا جيدة للغاية أثناء قيامنا بالتحقيق فهذا الأمر لا يهمنا بالمرة.

-ما الذي يعنيه القانون بعبارة "صلة الدم" في واقع تلك القضايا؟

-إنه يقصد الأشقاء والشقيقات وأبناء وبنات العم، فقد تكون الممتلكات من نصيب أصغر الأحفاد ما دامت المرأة المتوفية لم تُنجب أبناء على الإطلاق.

-حسنًا هذا شرح جيد يا سيد ماربلز، ولكن دعني أسألك من وجهة النظر القانونية: هل هذا الأمر ينطبق على الملكية الشخصية؟ أليست هي محور حديثنا الآن؟ تلك التي نتساءل عن مصيرها تحديدًا في حالة عدم وجود وصية؟

-أجل، قالها ماربلز

-في الواقع أيها السادة يمكنني الإفصاح عن سذاجة نظريتكما الافتراضية التي ترغبان في استخدامها لحل لغز تلك القضية!

وقف اللورد بيتر ويمسي في مكانه فجأة، وسأل المستشار توكين في دهشةٍ واضحة:

-ما الذي تعنيه بذلك يا سيدي؟

-في الواقع يا عزيزي المُحَقق يؤسفني القول إنكما لا تقفان على أرضٍ صلبة! فتلك الكلمة التي يُعَول عليها المُحامي السيد ماربلز في تحليلاته القانونية لم يكن المقصود بها مَن تربطهم صلة دم بالشخص المتوفى كما فسَّرها الآن!

-المعذرة لا أفهم، ما الذي كانت تعنيه إذن يا سيد توكين؟

-في حقيقة الأمر، لم يكن لتلك العبارة أي معنى حينها! فما أود قوله يا سيدي إن الكثير والكثير من العبارات الموجودة في الدساتير القديمة لم يكن بدورها تحمل أي مدلول قانوني على الإطلاق، لكنها كانت فقط مجرد كلمات عادية عابرة مُبهمة كانت تُستخدم تحديدًا قبل عام 1837 خلال فترة تولي الملكة فيكتوريا عرش البلاد

-أجل فترة الملكة فيكتوريا. قالها اللورد بيتر ويمسي مؤيدًا

-لم يكن لتلك العبارة أي تفسير قانوني على الإطلاق، بل كانت مجرد كلمات بلا معنى قانوني تمت صياغتها على هذا النحو فحسب

-لقد أذهلتني يا سيادة المُستشار بما قلته للتو! لقد قمنا ببناء حجتنا كاملةً على هذا الافتراض!

-في الواقع يا عزيزي بيتر سوف تُصاب بالدهشة الأكبر إذا علمت أن الكثير من الكلماتِ القانونية لا تحمل بداخلها أي معنى أو دلالة، وإنما تمت صياغتها بتلك الطريقة بشكلٍ ظاهري روتيني فقط. كما أنه ثمة تفسيرات خفية أخرى لعباراتٍ قانونية قد تظنها تحمل معانيَ مُغايرة! فهذه هي حقيقة مهنة القانون، الأمر يحتاج دائمًا إلى شخصٍ مُتخصص لإفادتك إن كنت تمضي في الاتجاه الصحيح أم أنك قد سلكت بدورك طريقًا آخر مُعاكسًا لن يؤدي إلى كشف المزيد من النتائج، فهناك مثلًا كلمات محددة قد تبدو عادية جدًا وشائعة بين الناس لكنها ذات مدلول رمزي بين المُحامين ورجال القانون، وهكذا ومن

ثَم فإني أنصحكما بعدم تكرار هذا الخطأ والشروع في التخطيط لشيءٍ ما ضمن القضية الجنائية من واقع حكمكما الظاهري وتفسيركما غير الدقيق لمعاني النص الدستوري. أرجوكما لا تفعلاها مُجَددًا أيها السيدان. فتلك الكلمات العابرة لديكما كرجلي تحقيقات قد تحمل معاني في عالمنا كرجال قانون والعكس صحيح، فدستورنا القديم يعج بالكثير من الأشياءِ الرمزية العصية على الفهم، والتي ظلت على حالتها سابقة الذكر حتى تم تغييرها وتعديلها تدريجيًا وبعد مرور بضع سنوات أخرى حلت محلها عبارات أخرى. وهذا يعني أن الكلمات القانونية القديمة باتت عديمة الجدوى، مما تسبَّب في إحداث ثورة للإطاحة بكل هذا الكم من الجمود. وبالفعل صافح رجال القانون ثورة التغيير يدًا بيد فيما يخص تعديل المصطلحات التي عفا عليها الزمن وبات لا طائلَ من ورائها، وقد كان هذا شأن ذلك البند القانوني الذي يخص وفاة شخص ما قبل كتابة وصيته، وحينها سوف ينتقل ميراثه إلى "مَن تربطهم به صلة دم" فقد كان بلا معنى قبل عام 1837 لكن الروح دبَّت فيه لاحقًا بعد تعديل قانون الوصية بعد عام 1837، حيث إنه شمل الورثَة من الأشقاء أو الشقيقات أو أبناء العمومة، هل فهمتم ما أقول أيها السادة؟، سألهم المُستشار توكين

-أجل بالطبع يا سيدي، ومن هنا جاء قانون الوصية الذي يخص الملكية الشخصية، قالها المحامي ماربلز

-إنني أحاول جاهدًا تقديم هذا التفسير القانوني للكلمة وتوضيحه لكم أيها السادة الأفاضل. قالها السيد توكين مُضيفًا:

-فما نعنيه هنا الآن في تلك الفترة الزمنية الراهنة يختلف بدوره قطعيًا عما كنا نعنيه بدورنا خلال مرحلة أخرى مضت، ففي السابق لم تكن الكلمة مُحَددة

ذات مدلول، وتدريجيًا تمَّ تعديل فقرات القانون الخاص بكتابة الوصية، وأصبح المقصود بعبارة "تربطهم صلة الدم" الأشقاء أو أبناء العمومة فقط. ولاحقًا تغيَّر كل ذلك وبات معنى العبارة أوسَع وأعَم فأصبح بدوره يشتمل على أبناءِ الأقارب وأحفادهم. ثم قام رجال القانون في وقتٍ قريب بإجراءِ تعديلات دستورية أخرى والتي أسفرت عن ترجمة تلك العبارة القانونية "مَن تربطهم بالمتوفى صلة دم" بكلِ هؤلاء الأقارب من الأبناء والأحفادِ وأحفاد الأحفاد أيضًا. فما كان ينطبق على تلك الفقرة حتى عام 1926 لم يعد صالحًا للأعوامِ التي تلته بكل تأكيد، ففي تلك القضية الجنائية التي بين أيدينا الآن يمكن ربما أن يكون الطرف المتورط ضمن أحفاد شقيقة المرأة المتوفية. هناك الكثير من التكهنات بهذا الشأن، لكني أحاول بكل جهدي توضيح الصورة لكما حتى لا تُبادرا بإطلاق الأحكام المُسبَقة على أسسٍ خاطئة. ومن هذا المُنطلق فأنا لا أرى أي مُبرر لاتهام الآنسة ماري ويتكار في تلك القضية لسببٍ بسيط ألا وهو أنها كانت لترث قريبتها تلك بكل بساطة طبقًا للقانون الجديد، فلا داعيَ إذن لأن تُخَطط لقتلها على هذا النحوِ المُربِك. فبعد عام 1836 بات الدستور مختلفًا عما سبَق من أجل البَت في مسألة التوريث ومَن يحق لهم ذلك، فأصبحت تشمل أي قريب ما زالَ موجودًا على قيدِ الحياة، ومع هذا كله إلا أن بعض العقول العادية ما زالت تتجاهل هذا التفسير الحديث لمعنى تلك العبارة وتُركز بدورها فقط على معاني عامة سائدة فلا يلتفت إليها أحد في قاعاتِ المحاكم.

-أوه! اسمح لي أن أنحني تقديرًا لمعرفتك الثمينة يا سيدي. قالها ماربلز المُحامي

-ولكن على أية حال يا سيادة المُستشار فإنني أرى أن مسألة حرمان أحدهم من الميراث واستبعاده قد تلعب دور الحافز الأكبر في جريمة القتل، ومن هنا ربما يُمكننا الاشتباه في احتمالية قيام أحدهم بذلك. فلو أن ماري ويتكار قد فكرت في إمكانية خسارة أموالها إذا نجت عمتها من مرضها في عام 1926 لربما كان هناك شبهةٌ حقيقية في أنها تُحاول الإطاحة بها قبل أن تلقى حتفها بشكلٍ طبيعي في وقتٍ أبكر.

-هذا أمر صحيح. قالها ماربلز

-أيها المخادع! لكنك تعرف جيدًا أن الحُكم ذاته يعتمد على دراسة كافة تلك العواقب والظروف المُحتملة، ومع ذلك فقد تجاهلتم هذا الجزء وبنيتم قصتكم الخاصة.

-لكنني أعتقد يا سيد توكين أن الآنسة ماري ويتكار بالفعل مُتورطة في تلك القضية، فلماذا لا تفكر تلك الفتاة في شيءٍ كهذا؟ فالقانون حينها لم يكن في صالحها، ومن ثَم فإن السبيل الوحيد لتفادي أمر كهذا هو التخطيط لقتل المرأة قريبتها. أنا واثق من أن الآنسة ويتكار كانت ترى المسألة من تلك الزاوية التي تخص الميراث.

-ولكن إذا فكرت الآنسة ماري ويتكار في ذلك الأمر فلربما أنها حصلت على استشارة من مُحاميها الخاص. قالها السيد ماربلز مُضيفًا:

-أعتقد أن القيام بخطوة كتلك يحمل إشارة ضمنية في حد ذاته، ولكن المُحامي المسؤول عن شؤون العائلة قد أفادنا بدوره أنه لم يحدث بينه وبين الآنسة ماري ويتكار أي اتصال بخصوص ذلك الشأن، وأنها لم تستشره في أمرٍ كهذا.

-مَن هو المحامي الخاص الذي قد تكون قامت باستشارته إذن؟ ما هو اسمه؟

-في الواقع يا سيدي أنا واثق أن الآنسة ماري ويتكار لم تقم بذلك على الإطلاق فنحن قمنا ببحث تلك المسألة مرارًا وتكرارًا، وتأكدنا أنها لم تتناقش مع أحد في تلك المسألة

-هل تعتقد أنك بذلك تقدم بدورك دليلًا دامغًا يا عزيزي؟ فكيف لامرأة ماكرة التخطيط الكامل لقتل قريبتها من دون أن تقع في خطأ تافه كهذا؟ في الواقع لا يبدو الأمر معقولًا على الإطلاق، فكل ما كان يشغل عقل الطرف المُشتبَه به هو إيجاد حل لأزمة كتابة الوصية المُشار إليها.

-حسنًا، هل تعتقد يا سيدي أنها ربما راسلت أحد المُحامين بصورةٍ مُبهمة تحت اسم مُستعار؟

-على الأرجح ربما تكون قامت بذلك بالفعل، فمن جانبي أرى أنَّ لديها حافزاً قوياً للقيام بتلك الجريمة، لكنها قامت بعملها بكل روعة ومهارة تمامًا كما هي عادة مُرتكبي الجرائم المُحترفين، فهم يعرفون جيدًا كيف يقومون بإخفاء آثارهم حتى لا يتعقبهم أحد

-ألا تعتقد أن محامي العائلة السيد بروبيون قد ذكر ذلك الأمر تحديدًا عندما ذهب إلى السيدة أجاثا داوسون حتى تقوم بكتابة وصيتها؟ سأل المُحَقق باركر بغتةً

-لا أعرف، لكني واثق أنه حاول فتح هذا الموضوع وشرحه للسيدة العجوز أجاثا داوسون، لكنه لم يتمكن من المُضي قُدُمًا بسبب حالات الذُعر تلك التي كانت تُصيبها من آنٍ إلى آخر إذا حدَّثها أحدهم بخصوص "الوصية". أعتقد أن المُحامي كان يريد إخبارها بذلك لكنها لم تمنحه الفرصة لإكمال كلامه.

-هل تعتقد يا سيادة المُستشار أن المحامي قد أخبر أحدهم بتلك الواقعة؟

-سنعرف ذلك بكل بساطة، فالمحامي يُقيم الآن في إيطاليا ويمكننا أن نكتب

إليه لنسأله عن تلك المعلومة، من الأفضل أن تقوم بهذا الدور أيها المُحَقق باركر وخلال تلك الفترة أيضًا سأبذل أنا والمُحقق بيتر ويمسي قصارى جهدنا لنعرف إن كان هناك شخصٌ آخر قد أخذت الآنسة ماري ويتكار رأيه فيما يتعلق بهذا الخصوص.

-أعتقد أنك تعرف يا سيادة المُستشار بطبيعة الحال أنه يتعيَّن علينا قبل أن نُعزي الجريمة إلى حافزٍ مُحَدد أن نُثبِت بالبراهين أن هناك جريمةً أصلًا قد تم ارتكابها! فكل الحجج والأدلة الملموسة التي نملكها الآن تقول إن السيدة أجاثا داوسون ماتت في ظل ظروفٍ طبيعية، كما أن الأطباء الأكفاء المُشرفين على الحالة قد صرحوا بدورهم أنه ما من شُبهةٍ لوجود أي جريمة على الإطلاق.

-أتمنى لو أنك لا تُكَرر فعلتك السابقة أيها المُحَقق باركر. إنك تُزعجني كثيرًا في حقيقة الأمر، فتكرار الأخطاء أثناء مُتابعة إجراءات التحقيق أشبَه بوجود ذلك الغراب الذي يُثير رُعب الكثيرين لكنه لا يمتلك أية قدرة على التحليق! عليك أن تنتظر أولًا حتى نقوم بنشر تقريرنا الخاص عن تلك الحالات الجنائية تحديدًا فيما يخص أسباب الموت المفاجىء، وحينها سيكشف لك الأمر أنني لست من هذا النوع الذي يُمكن الاستهانة به أبدًا، فستتأكد حينها بنفسك من صحة كل أفكاري وقوتها.

-بالطبع يا سيدي، أثق في قدرتك على التحليل والتحقيق. قالها المُحَقق باركر بنبرة توحي باليقين. ثم التقى في صباح اليوم التالي كبير المفوضين المسؤول عن مُراجعة تلك القضية والإشراف عليها، والذي أكَّد له أنه يضع قضية آل داوسون نصب عينيه.

الفصل الخامس عشر

في تلك اللحظة التي غادر فيها السيد باركر غرفة رئيس المفوضين التقى بأحد الضُباط الذي قال له:

-اتصلت بك سيدة عبر الهاتف يا سيد باركر

-مَن هي؟، سأله المُحَقق في دهشة

رد الضابط بعد أن توقف عن الكلام لوهلة، ثم قال:

-لقد اتصلت منذ بضع ساعات، ثم طلبتُ منها أن تُعاود الاتصال مُجَددًا في تمام الساعة العاشرة والنصف. إنها تنتظرك الآن عبر الهاتف.

سأله المُحَقق باركر عن اسم المرأة مرةً أخرى، فإذا بالأخير يتمهل لفترةٍ من الوقت وكأنه يُحاول أن يتذكر ثم قال:

-السيدة فورست، لكنها لم تقل لي شيئًا عن سبب اتصالها يا سيادة المُحَقق.

-غريبة حقًا!، صاحَ به المُحَقق باركر

تذكر المُحَقق باركر أن جهوده السابقة لم تُثمِر عن أي شيء على الإطلاق فيما يتعلق بخط سير التحقيقات، وتمهَّل للحظة استعادَ خلالها ذكريات كل ما تم إنجازه حتى الآن، فوجد أنه كان قد استبعدَ أصلًا السيدة فورست من المشهد منذ أن كان قد لُجئَ إليه في حل لغز آل جوتوبيرد. ثم تساءل: تُرى ما الذي ذكَّرها بي الآن؟ تُرى هل اكتشفت شيئًا لتوّها يخص تلك الجريمة التي تخص مقتل الآنسة بيرثا جوتوبيرد وسط الغابات المُنعزلة؟

فكَّر قليلًا ثم قال لنفسه:

-ربما اكتشفت مسألة اختفاء زوجين من كؤوسها الزجاجية فاتصلت بي لتُبلغني بهذا الأمر! ربما كانت ضمن المتعلقات التي عُثِر عليها إلى جوار

الجثة. أجل!، من المؤكد أن السيدة فورست العجوز تُهاتفه الآن من أجل هذا الغرض. ها هو يتوجه على الفور لاستقبال اتصالها الهاتفي بعد أن تسببت بدورها في قطع حبل أفكاره.

-هل أتحدث إلى المُحَقق باركر الآن؟ أنا آسفة بشدة على إزعاجك، ولكن هل يُمكنك أن تمنحني عنوان السيد بيتر ويمسي من فضلك؟

-السيد بيتر ويمسي؟، سألها باركر في ذهولٍ واضح وكأنه لم يلتقِ المُحَقق بيتر يومًا!

-أجل يا سيدي، ذلك المُحَقق الذي جاء برفقتك المرة الماضية ليتحدث معي حول قضية آل جوتوبيرد.

-أوه! حسنًا، التمسي لي العُذر رجاءً فأنا مُرتَبِك قليلًا، هل تريدين عنوانه؟

-أجل، في الواقع لديّ معلومات مهمة تخص تلك القضية التي كان يستعلم عنها أود أن أرسلها إليه. قالتها السيدة فورست مُضيفةً:

-هل يُمكنك أن تُعطيني عنوانه؟

-حسنًا يُمكنكِ يا سيدتي التَحدُث إليّ وسوف أخبره بكل شيء. قالها المُحقق باركر

-أعتذر لك يا سيدي، فأنت في نهاية المطاف شُرطي آخر ولا يمكنني أن أتحدث إلا مع السيد بيتر مُباشرةً، وحينها سيملك السيد ويمسي الخيار بأن يُخبرك بما قُلته له أم لا. قالتها المرأة بنبرةٍ مُتذمرة.

-أتفهَّم ذلك يا سيدتي. قالها السيد باركر على مضض فهو يعرف جيدًا أن مسألة كتابة السيدة فورست خطابًا لتُرسله إلى السيد بيتر ويمسي ليست بالأمر البسيط، كما أنه من الممكن ألا يصل هذا الكتاب إليه أصلًا؛ فعنوان المُحَقق بيتر مُبهمٌ بعض الشيء وربما لا يعرف عنه الحمَّال شيئًا، ولكن إذا

أخبرها المُحقق تشارلز باركر بتلك المسألة الآن ستصاب بالقلق والتوتر، وربما تتراجع عن مسألة الإفصاح عن تلك المعلومات القيمة.

-حسنًا يا سيدتي، ولكن ما رأيك إذا أعطيتكِ رقم هاتفه الخاص لتتصلي به أولًا، فأنا لم أُشاوره بَعد في مسألة إعطائك عنوان منزله

-حقًا؟ هذا رائع. أشكرك يا سيد باركر. أتمنى ألا أكون قد تسببت بدوري في إزعاجك، قالتها السيدة فورست

-ليس هناك أية مشكلة على الإطلاق، قالها باركر ثم أعطاها رقم هاتف اللورد بيتر ويمسي، ثم أغلق الهاتف وانتظر قليلًا واتصل بالمُحقق بيتر بنفسه وقال:

-استمع إليّ يا بيتر، لقد هاتفتني السيدة فورست وقالت إنها تود أن تكتب إليك. في الواقع أنا لم أُعطها العنوان لكني منحتها رقم هاتفك الخاص وعلى هذا أردت إخبارك أنها ستتصل بك حتى تعرف ما يتعيَّن عليك فعله لاحقًا.

-حسنًا يا باركر! هذا خبر جيد! في الواقع أتساءل تُرى ما الذي تريده تلك المرأة؟

-ربما اتَّضح لها لاحقًا أنه من الممكن أن تخبرك بقصةٍ أخرى تبدو أكثر اكتمالًا من تلك الحكاية غير المُكتَملة سابقة الذكر، ناهيك عن إضافتها لبعضِ التعديلات والاقتراحات الخاصة بروايتها الجديدة.

-هل ستتراجع عن كلامها إذن؟ فربما اكتشفت أنها قدمت بضعة أدلة ثم هددها أحدهم، أو اكتشفت أنه يجدر بها التوقف عن ذلك فورًا.

-ربما الأمر كذلك. في الواقع لم أتمكن من انتزاع أي معلومة منها على الإطلاق.

-إنني أظن أن تلك السيدة امتنعت عن التحدث معك فيما يتعلق بتلك

القضية لأنها لا ترغب في أن يكشف كذبها أحد رجال شرطة سكوتلاند يارد، فهي تريد أن تتحدث إليّ باعتباري مُحققًا عاديًا جدًا يُمكنها أن تتلاعب بعقله قليلًا، لكن ليس بمقدورها فعل ذلك معك، لذا فهي تُخَطط بدورها لتسريب معلوماتها إليّ.

-على أية حال سوف تتمكن أيها المُحَقق الفَذ من التعامُل مع الموقف. ومن ناحيتي سوف أتواصل مع المُحامي وأبحث عنه مع أني أفضل ألا تقوم برحلة بحثك الغامضة المُبهمة تلك هكذا على غير هُدى، فأنا لديّ فكرة سوف أعمل جاهدًا عليها وأخبرك بالنتائج تباعًا.

اتصلت السيدة فورست بالمُحَقق بيتر ويمسي بعد مرور عشرين دقيقة تقريبًا، وقد كانت السيدة العجوز قد غيرت رأيها تمامًا فيما يخص إرسال خطاب إلى عنوان السيد بيتر، حيث إنها تراجعت عن تلك الخطوة وبررت ذلك أنها لا تريد أن تقدم معلوماتها مكتوبَة. وكذلك اقترحت على السيد بيتر أن يذهب لزيارتها في منزلها في تمام الساعة التاسعة.

رحَّب اللورد بيتر بدعوتها الكريمة، وطلب منها ألا تُخبر أحدًا على الإطلاق بزيارته إليها، وكنتيجة لذلك فقد التزمت السيدة فورست بالسريةِ التامة بشأن تفاصيل وحيثيات زيارة المُحَقق لها في تلك الليلة.

يجدر بنا القول أيضًا إنه كان للسيدة فورست شروطٌ أخرى حتى تقبل بالاستجابة لتلك الزيارة. فقد توسلت إليه ألا يُلفِت بدوره الأنظار لكونه قادمًا إليها، وطلبت منه ألا يترك سيارته أمام المنزل مُباشرةً حتى لا يجعل المشهد يبدو مُربكًا مُثيرًا للجدل بالنسبة إلى المارة وأبناء الحي، فحينها سيعرف الجميع أنه قد جاء إليها بغية الحصول على شهادتها بخصوص الجريمة سابقة الذكر التي تخص الفتاة المسكينة بيرثا جوتوبيرد. وعلى الجانب الآخر فقد

التزم السيد بيتر ويمسي بكل ما قالته له، وقام بتنفيذ تعليماتها بالحرفِ الواحد. شكرته السيدة فورست وشرعت تنتظره في منزلها في تمام الساعة التاسعة.

-بانتر!، قالها اللورد بيتر ويمسي صائحًا

-في الواقع يا بانتر لديّ موعد هام الليلة خارج المنزل، وغير مسموح ليّ بالإفصاح عنه، لكني سأترك لك عنوان المكان الذي سأتوجه إليه بدوري بداخل مظروف مُغلَق يُمكنك فتحه فقط إذا لم أعد إلى المنزل في الصباح الباكر، كما أنه إذا حدث أمر كهذا ولم تتمكنوا بدوركم من العثور عليّ يجدر بكم إذن البحث عني في غابات إيبيك، أو عند منطقة ويمبلدون المُنعزلة.

-حسنًا يا سيدي. قالها الخادم بانتر

-ما يتعيَّن عليك فعله الآن يا بانتر هو أن تقوم بجمع كل بصمات الأصابع التي طلبتها منك منذ بضعة أيام، فأنا بحاجة ماسة إلى تلك النُسخ المصورة.

-حسنًا يا سيدي بالطبع

-فالسيد باركر المُحَقق في حاجة ماسة إليها حتى يشرع في استكمال بقية إجراءات التحقيقات المختلفة فيما يخص تلك القضية المُثيرة للجدل.

-أتفهمك جدًا يا سيدي. قالها بانتر وحينها قاطعه المُحَقق بيتر ويمسي مُضيفًا:

-تذكر يا بانتر أنه لا يجدر بك أبدًا أن تتحدث مع أحدهم عن رحلتي الاستكشافية تلك، اتفقنا؟

-بالطبع يا سيدي لن أتحدث مع أحدهم

-حسنًا، أحضر لي الآن كتالوج كريستيز الأصلي، فربما أقوم ببعض عمليات الشراء هناك في تلك المنطقة، وكذلك سأتناول بدوري الغذاء في النادي.

قام اللورد بيتر ويمسي برحلته بكل هدوء. حاول أن يستمتع بتفاصيل

الطريق وأن يفكر فيما يمكن أن تكشفه له السيدة بخصوص تلك الجريمة.
طرح العديد والعديد من التساؤلات على ذاته ثم أوقَف سيارته عند إحدى الزوايا وخرج منها متوجهًا نحو أحد تلك الأزقة المنحوتَة على قارعةِ الطريق، ومضى بخُطى وئيدة نحو منزل السيدة فورست التزامًا بتلك التعليمات التي منحته إياها.
فتحت له السيدة فورست باب المنزل بنفسها، وحينها فاجأه ما رآه لتوه. فها هي السيدة العجوز تمكث في قصرها المهيب الضخم من دون وجود خادمة أو رفيقة أو أصدقاء. لقد كانت بمفردها تمامًا وكأنها بمعزل عن عيونِ العالم بأسره.
-كم هو أمر خانق حقًا أن تعيش في منزل ضخم كهذا من دون أن تتمتع بكامل حريتك، أليس كذلك يا سيد بيتر؟، سألته السيدة فورست
-أجل بالطبع، ولكن ما الذي يُقيد حريتك يا سيدة فورست؟
-أوه يا عزيزي! إن الأمر يتعلق بزوجي! فهو يتجسس عليّ طيلة الوقت وعلى هذا الأساس فقد قمت بطرد كل الخدم من المنزل، كما أنني أتشكك في هوية أي شخص يأتي إلى المنزل. حتى إنني اضطررت إلى إلغاء كافة الحفلات الرسمية بسبب ذلك. فأنا أريد حقًا أن أتطلَّق منه فكما تعرف أنا على علاقةٍ بشخصٍ آخر أحبه، لكنه يُطاردني ويرفض الاستجابة لطلبي.
شعر اللورد بيتر ويمسي من خلال استماعه إلى تلك الكلمات أن زوج السيدة فورست ليس شخصًا عاديًا من لحمٍ ودم ولكنه أشبَه بالوحشِ المُفترس، ربما هو أسوأ وأخطر من الوحوش! وسرعان ما قاطعته المرأة بقولها وكأنها تُصغي إلى أفكاره الداخلية:
-إن الوحوش ذاتها أكثر وداعةً من زوجي!

-حسنًا، من فضلك تعال واجلس على الأريكة، هل ترغب في تناول الخمر أم القهوة؟

-القهوة من فضلك

-في الواقع يا سيد بيتر لقد أردتُ لقاءك لأنني تعاطفت كثيرًا مع تلك الفتاة قريبتك التي تُدعي سيلفيا التي حدَّثتني عنها في المرةِ السابقة

ارتبك اللورد بيتر ويمسي وتلعثم قليلًا لأنه كاد أن ينسى تلك الحكاية المُفبركة التي قام بتأليفها مؤخرًا، ثم تظاهر أنه يتألم حقًا من أجل تلك الفتاة وقال بنبرةٍ مترددة:

-أوه! سيلفيا! أجل! ابنة عمي المسكينة

هزت السيدة فورست رأسها بمرارة، ثم قطبت جبينها وانتحبت مُمسكةً بمنديلها الذهبي، بينما داعبت وجنتيها بضعُ خصلات شعر ذهبية. كان منديلها مُطرزًا بالألماس والجواهر وقد بدت وكأنها أميرة شابة خرجت لتوها من حكاياتِ ألف ليلة وليلة. واصلت السيدة انشغالها بترتيب ووضع أكواب القهوة داخل صينية الإفطار.

-في حقيقة الأمر يا سيد بيتر لقد شعرت بمدى جدية ذلك التحقيق الذي كنت تُجريه معي منذ أيام بشأن الحادث سابق الذكر، وعلى الرغم من أني سبق وصرحت لك بكل وضوح أنه لا علاقة لي أبدًا بذلك الأمر من قريبٍ أو بعيدٍ إلا أنني بالأمس راسلت حبيبي الذي كان برفقتي نتناول العشاء معًا في تلك الليلة، وقد ذكرت له أمر تلك الحادثة التي وقعت بالصدفة بالتزامن مع موعد وجودنا هناك، وسألته إن كان قد رأى شيئًا غريبًا تلك الليلة. وحينها كتب إليَّ يقول إنه عندها لمح سيارة غريبة سوداء داكنة بمحاذاة نافذة الغرفة التي مكثنا فيها في تلك الليلة والتي خرج منها رجل وامرأة. قال

لي صديقي إنهما ظلا معًا داخل السيارة لفترةٍ قصيرة من الوقت، ثم غادرا المكان بعد ذلك.

-أين كان ذلك يا سيدة فورست؟

-في تلك الجهة المُقابلة لشارع جنوب أولدلي ستريت.

تناول اللورد بيتر ويمسي رشفةً من القهوة، ثم نظر بفضول إلى السيدة فورست حتى تمضي قُدُمًا:

-قال لي صديقي إن الرجل كان يرتدي بذلة رسمية

أنصتَ إليها المُحقق باهتمام شديد ثم سألها:

-وهل كانت المرأة المُرافقة له ترتدي ثيابًا رسميةً أيضًا؟

-لم يكن صديقي واثقًا جدًا بشأن تلك الثياب التي كانت ترتديها الفتاة المُرافقة له، ربما كانت ترتدي سُترَة مخططة داكنة وقُبعة.

توقف اللورد بيتر عن الكلام لوهلة، ثم حاول جاهدًا أن يتذكر زي بيرثا جوتوبيرد الذي كانت ترتديه بعد وقوع الحادث، ثم هتف صائحًا بينه وبين نفسه:

-أوه! يا إلهي! هل من الممكن فعلًا أن أكون قد أمسكت بدليلٍ مادي الآن؟

-حسنًا هذا رائع. قالها المُحَقق بيتر مُتلعثمًا ثم أضاف:

-هل من الممكن أن يزودنا صديقك بالمزيد من التفاصيل الدقيقة حول ثياب الفتاة؟

-لا أعتقد ذلك. قالتها السيدة فورست بتأثُر شديد ثم أردفت:

-لكنه أكد لي أن الرجل كان يتأبط ذراع الفتاة ويدعمها ليُساعدها على المشي وكأنها مُتعَبَة أو ليست على ما يُرام، كما أنه سمعه يقول لها:

-سوف يُشعركِ الهواء النقي بالمزيدِ من التَحسُن.

صمتت السيدة فورست بغتةً، ثم قالت:

-لكنكَ لا تتناول قهوتك يا سيد بيتر؟

-أستميحك عُذرًا. قالها ثم أضاف:

-في الواقع لا أفضل السُكر مُضافًا إلى القهوة.

قالها ثم أزاح كوب قهوته بعيدًا عنه بعض الشيء. لم يكن هناك سلة مهملات على الطاولة، لذا فقد قامت السيدة فورست وسكبت تلك القهوة المُضاف إليها السكر وقالت:

-لا بأس، سأصنع لك كوبًا آخر من القهوة

-شكرًا لكِ، لكني لا أريد تناول القهوة الآن فهي تُبقيني مُستيقظًا طيلة الليل.

-حسنًا كما تريد يا سيد بيتر

سكبت السيدة فورست لنفسها كوبًا إضافيًا من القهوة، ثم قالت مُتأملةً وجه المُحقق بيتر ويمسي:

-في الواقع هذا كل ما في الأمر يا سيد بيتر، فعندما تمكنت بدوري من جمع كل هذه المعلومات أردت إبلاغك بها على الفور.

-هذا لُطف بالغ منكِ يا سيدة فورست. قالها اللورد بيتر

تحدثا معًا لفترةٍ أطول من الوقت عن عدة أمور متنوعة من بينها تلك الأعمال المسرحية المُقدمة على خشبة مسرح المدينة وأحدث إصدارات الكتب، حتى إنها ناقشته في عددٍ من الروايات الرومانسية وسألته إن كان من مُحبي هذا النوع من الأعمال الأدبية، وأجابها أنه يُفضل القراءة بشكلٍ عام.

تأوهت السيدة فورست ثم قالت:

-إنني أتحايل على الوحدة بكل تلك الأشياء يا سيد بيتر، فحينًا أذهب إلى

قاعاتِ المسارح وحينًا آخر أتوجه إلى قراءة كتاب وأناقشه مع الأصدقاء، وهكذا فعلى هذا النحو نقضي على رتابة الأيام وجمودها.

-إنني أتردد يوميًا على مكتبة البلدة، فلا يمكنني بأي حالٍ من الأحوالِ أن أتخيل يومي من دون الذهاب إلى هناك. قالتها المرأة بلهجةٍ مُتذمرة ثم سردت له الكثير من التفاصيل التي تخص صديقها، والتي كشفت عن وجود خلافات عدة بينهما فقد شكت للسيد بيتر من صفات ذلك الرجل، كما أنها قالت إنها باتت تشعر أنه لم يعد يُحبها أو يهتم بها كما كان في السابق. ثم بدأت في وصلة شكوى أخرى تخص زوجها المُتسلط وما يفعله بها، وأولئك الرجال الذين يقوم بإرسالهم وراءها بغية التجسس عليها.

عرضت عليه لاحقًا أن تجلب له كأسًا من النبيذ أو الخمر لكنه اعتذر عن هذا، وحاول أن يستأذنها ليرحل، لكنها طلبت منه المكوث إلى جوارها قليلًا لأنها تشعر بالوحدة الشديدة. وبالفعل استجاب المُحَقق بيتر لها وجلس مرةً أخرى. بدت حياة تلك المرأة في غايةِ الصعوبة والشقاء بالنسبة إليه، ومع ذلك بدأ اللورد بيتر يشعر بحالةٍ من عدم الارتياح عندما انتبه إلى نظرات تلك المرأة إليه. تلعثمَ قليلًا وشعر برهبةٍ مُباغتة عندما أطالت تلك السيدة النظر إليه. لقد نظرت إليه بطريقة غريبة وكأنها كانت تنتظر شيئًا ما. حاصرته على هذا النحو مما جعله يشعر بالقلق والتوتر، فقد بدا وجه السيدة مُخيفًا مُربكًا وكأنها على وشك إجراء عمليةٍ ما-تلك التي ستعود عليها بالنَفع بلا شك- ابتعد اللورد بيتر شاعرًا بالذُعر، وحاول أن ينظر في اتجاهٍ آخر حتى لا يصبح الوضع أكثر سوءًا، ثم خطرت على باله فكرة أن يتحدث إلى السيدة في أية موضوعاتٍ أخرى بدلًا من أن ينتهي بهما المطاف غارقين في بحرٍ من الصمتِ الرهيب.

نظرت إليه المرأة بكل سذاجة وكأنه تحثّه ضمنيًا على إقامة علاقة معها،

فعلى الرغم من أن السيد بيتر لم يكن "زير نساء" بالمعنى الواضح لكنه كان يمتلك من الوسامة والكاريزما والحضور ما يجذب أجمل النساء نحوه. ومع أن السيدة فورست كانت امرأة جميلة من الناحية الشكلية إلا أنها لم تكن جذابة بالنسبة إليه، فاللورد ويمسي شاب في السابعة والثلاثين من عمره والذي كان يتلقى الكثير من تلك الدعوات الغرامية من جانب أجمل النساء، وبالتالي فلم يكن هناك شيء مفاجئ على الإطلاق، ولكن المسألة وما فيها أن تلك المرأة المتزوجة والتي تملك حبيبًا سِريًا آخر تنظر إلى المُحَقق بهذه الطريقة اللامنطقية، مما جعله يتساءل بينه وبين نفسه عن السبب، تُرى لماذا تتصرف السيدة فورست على هذا النحو الآن؟

لم تعد حيلها عليها بالنفع على الإطلاق، فقد كانت بالنسبة إليه مجرد امرأة فاترة باهتة لا تتمتع بأية جاذبية، ولعل تلك الصفة كانت أبرز ما أربكه خلال لقائه السابق معها.

لم يكن المُحَقق باركر حساسًا إلى هذا الحَد الذي يسمح له بملاحظة تلك التصرفات النسائية، بل كان السيد بيتر ويمسي مَن يمتلك تلك القدرة على اكتشاف المزيد من حيلهن وألاعيبهن. فقد لاحظ نظرات تلك المرأة منذ المرة الأولى مع أن رفيقه المُحَقق باركر وقف إلى جوارها غير مُبالٍ بما تحاول الإشارة إليه. ها هي تنهض مُبتعدةً عن مقعدها الآن لتمضي بخُطى وئيدة مُقتربة منه. ها هي تقف مُلتصقةً به. يتسمر المُحقق بيتر في مكانه جامدًا من فرطِ الذهول وإذ بالسيدة فورست تقترب أكثر وأكثر. ها هي تُحيطه بذراعيها برقة. تُغمض المرأة عينيها لوهلة وكأنها تستحضر حلمًا ما. يرتبك اللورد بيتر ويكاد يتعثر ثم يلتقط أنفاسه اللاهثة مُحاولًا تهدئة نفسه ثم يقول بخفة:

-منزلك جميل، لكني مضطر للذهاب الآن

يقولها المُحَقق ثم يمضي نحو باب المنزل غير آبهٍ بتلك المرأة المُغرَمَة التي تضع المزيد من المساحيقِ التجميلية. إنه يقترب من هدفه، لكن يدها تمتد لتمنعه من تحقيق ذلك الهدف الذي بدا في هذه اللحظة على وجه التحديد وكأنه شيء بعيد المنال.

-انتظر من فضلك لا تذهب. تقولها المرأة بصوتها المَبحوح

-لا يمكنني البقاء هنا لفترةٍ أطول

-لا ضير في قضاء بضع ساعاتٍ معًا. تقولها المرأة مُحاولةً الإمساك به بأصابعها المُرتعشَة مُضيفةً:

-ليس من الجيد أن تخرج بمفردك في تلك الساعة المتأخرة من الليل

-لا بأس، لقد اعتدت على هذا

نظرت إليه المرأة بحقد وقالت:

-ولماذا إذن أتيتَ إلى هنا؟ لِمَ كل هذه الجلَبَة؟

خشي اللورد بيتر ويمسي من أن تفهم تلك السيدة غرضه الحقيقي من إجراء تحقيق يخص تلك الجريمة. أخافه بشدة أن تعرف تلك السيدة حقيقة كذبته وأنه لا وجود لفتاة تُدعى سيلفيا على الإطلاق. أرعبه أن تعرف كل ذلك فإذ به يقترب منها أكثر ويضمّها إليه. ها هو يشدها نحوه بكل عُنف. ها هي تصرخ بشدة شاعرةً بأعصابِ يديه تُدغدغ جسدها. يستمر اللورد بيتر على هذه الحال لفترةٍ من الوقت ثم يبتعد عنها فجأة مُتذكرًا ما كان على وشك القيام به. وقبل أن يتراجع عن فعلته إذ بها تتشبث بيديه فلا يجد مهربًا سوى تقبيلها. إنه يعرف جيدًا أن ما فعله الآن هو عين الصواب، فلو أنه تلكأ بدوره أو أنه ابتعد عنها قليلًا لما أتقن دوره في التمثيل. فتلك الضحكة الخجولة التي رسمتها السيدة فورست على وجهها بعد أن حقق لها أمنيتها الأثيرة أكدت

له أنه قد أتَم عمله بنجاح، وعلى هذا فقد استعان بسلاحِ المكر وادَّعى أنه لم يكن يقصد ما حدث للتو وأنه فقط قد وقع أسيرًا لحُسنها الطاغي. ها هي تبتسم على استحياء وتُعيد ترتيب خطواتها فيهتز بدنها قليلًا لتقف على حافةِ الهروب، لكنها تُقاوم ثم تومئ برأسها مؤيدةً ما تفوَّه به للتو.

يشعر اللورد بيتر ويمسي بقليلٍ من الدوار، ثم ترتجف يده ويقول:

-أعتذر منك سيدتي، لقد كانً تصرفًا طائشًا، كدت أنسى نفسي هل لكِ أن تُسامحيني؟

أومأت السيدة بينما كان جسدها يرتجف.

-يجدر بي الذهاب الآن يا سيدة فورست، فأنا أخشى العودة متأخرًا جدًا. تُرى أين قبعتي؟ حسنًا، تذكرت لقد قمت بوضعها في القاعة، والآن الوداع يا سيدتي العزيزة وشكرًا لكِ على إخباري بكافةِ تلك التفاصيل التي أبلغكِ بها صديقكِ.

-هل سترحل حقًا يا سيد بيتر؟، سألته السيدة فورست بنبرةٍ توحي بأنها قد فقدت الأمل في كل شيء.

تساءل المُحَقق بيتر: تُرى ما الذي تُريده تلك المرأة الآن بحقِ الجحيم؟ هل تشتبه فيه؟ هل عرفت أنه يعمل على إجراءات التحقيق التي تخص جريمة بيرثا جوتوبيرد؟ أم أنها تريد أن تُمارس معه الجنس؟ رغم كافة تلك الأسئلة المُتزاحمة التي أُثيرت بداخل عقله إلا أنه فضل الخروج من المنزل بخُطى ثابتة واثقة سريعة. لم يعد إلى الوراء وحينها تركته السيدة فورست يُغادر المكان من دون أن تقول له أي كلمةٍ إضافية أخرى. وقفَ السيد بيتر عند الردهة ونظر إلى المرأة التي كانت تقف في مُنتصف الغرفة وعلى وجهها مسحة من الغضب المُمتزج بالحزن، كما أنَّ وجنتيها قد تخضبتا باللون الأحمر.

الفصل السادس عشر

عادت الآنسة ماري ويتكار برفقة جارتها وشريكتها في العمل الآنسة فيندلاتر من رحلتهما الاستكشافية، وحينها خطرت على بال السيدة كليمبسون أن تدعو الآنسة فيندلاتر لتناول وجبة الغذاء برفقتها، حيث يمكنها هناك الحصول على المزيد من المعلومات والتفاصيل الدقيقة التي تخص الآنسة ويتكار. فقد عكفت السيدة كليمبسون على كتابة خطابات يومية للسيد بيتر ويمسون تسرد له فيها أهم الحكايا والأخبار التي تخص تلك البلدة الصغيرة، فقد كانت تحرص على إخفاء خطاباته داخل جيب معطفها تمامًا كما لو كانت تُخبىء تميمة حظ أو تعويذة. انضمت إليها الآنسة فيندلاتر من أجل تناول وجبة الغذاء. ثم احتستا الشاي معًا وشرعتا في الحديث بكل أريحية وكأنهما صديقتان مقربتان من بعضهما بعضاً. لقد شهدتا جواً من الانسجام والأُلفَة حيث تشابهت آراؤهما بشأن ما يتعلق بحياة تلك القرية الصغيرة المتواضعة التي تغيب عنها تمامًا تلك الأجواء الموحية بالبهجة والسعادة.

بدأت السيدة كليمبسون تطرح المزيد من الأسئلة على الآنسة فيندلاتر والتي حرصت الأخيرة على الإجابة عنها.

سألت السيدة كليمبسون رفيقتها الجديدة الآنسة فيندلاتر عن سبب عزوف الآنسة ماري ويتكار عن الزواج، وأجابتها الأخيرة بأن السيدة ويتكار تُفضل الموت على أن تتزوج. فهي امرأة ناجحة في عملها للغاية ليست بحاجة إلى شريك حياة يُقاسمها العمل أو الجهد، كما أنها تكره أن ترتبط بشخصٍ ما يُنافسها أو يحاول بذل جهودٍ من أجل تجاوزها أو التفوق عليها. فلو تزوجت الآنسة ماري ويتكار لارتبطت برجل غبي لا رأي له ولا شخصية لديه،

فإذا فعلتها ربما تتزوج من أرنب على أكثر تقدير! توهجت مخيلة السيدة كليمبسون وبدأت تتخيلها بالفعل متزوجةً من أرنب ذي شعر أحمر فوضوي الهيئة، وتخيلت ذلك الأرنب يُرَدد قائلًا:

-سوف أُطيع زوجتي.

عرفت السيدة كليمبسون أيضًا أن الآنسة فيندلاتر لم تتزوج لأنها لم تعثر على أي شخص يُلائمها فلم يكن الأمر كما ويتكار، تلك التي حاصرها الرجال في معظم الأوقات من أجل طلب يدها لكنها رفضت بكل عناد وغرور. وهذا على عكس رفيقتها التي أُجبرت على وضعها الاجتماعي بمحض الظروف المحيطة.

أدركت السيدة كليمبسون أيضًا أن للآنسة ماري ويتكار سلطة واضحة على رفيقتها وجارتها، فتلك الأخيرة فتاة مسكينة لا تملك شيئاً سوى أن تُطأطئ رأسها مُلبيةً الأوامر فحسب، لكنها لا تعبر عن آرائها ولا تكشف عما يجول في خاطرها.

سردت الآنسة فيندلاتر لضيفتها السيدة كليمبسون كل ما حدث خلال تلك الرحلة التي قامت بها برفقة الآنسة ماري ويتكار في المدينة، حيث إن تلك العلاقة الوطيدة التي جمعتهما سمحت لها بأن تُخبرها بالمزيدِ والمزيد من المعلومات. بدأت حكايتها قائلةً إنها توجهت برفقة صديقتها الآنسة ماري إلى إحدى تلك القرى البعيدة التي قد سمعوا أنها تعرض مزرعة دواجن رائعة للبيع. قالت الآنسة فيندلاتر إنهما قضتا بضعة أشهر هناك من أجل تحقيق ذلك الغرض في مدينة كينت، وعلى هذا الأساس فقد ذهبتا بدورهما إلى هناك واكتشفتا أنه من المُقَرر بيع تلك المزرعة خلال أسبوع. كل ما كان يتعيَّن عليهما فعله وقتها هو إيجاد مكان تستطيعان الإقامة فيه بالقُرب من

تلك المزرعة المعروضَة للبيع. وقد مكثتا هناك لأسابيعٍ قليلة حيث تحصل الآنسة ماري ويتكار على الوقت الكافي لتتمكن من إلقَاءِ نظرة على الحالةِ الاقتصادية للبلدة بأكملها. لقد استمتعت الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها بالإقامة في هذه المنطقة معًا على الرغم من أنهما قد حرصتا كل الحرص على الابتعاد عن الأشخاص السُخفاء المُزعجين من أبناء المنطقة.

-في الواقع يا سيدة كليمبسون لقد أرهقنا العيش في بلدتنا تلك، فنحن هنا نضطر بين الحين والآخر للقاء بعدد من أولئك الأشخاص القرويين المُزعجين. قالتها الآنسة فيندلاتر ثم أضافت:

-إنني لا أقصدك بالطبع يا سيدة كليمبسون، فلقد جئتِ بدوركِ من لندن، تلك المدينة الكبيرة العريضة المُمتدة، فأنتِ بالطبع يا سيدتي تختلفين كل الاختلاف عن سُكان هذا المكان الخانِق، فلم أعد أتحمل بدوري العيش هنا، وكذلك الحال مع الآنسة ماري ويتكار.

حاولت السيدة كليمبسون تغيير الموضوع وقالت:

-من المُبهج حقًا أن يتحرر الإنسان من روح القطيع وأن ينعم ببعض السلام برفقة هؤلاء الأشخاص الذين يتفق معهم

-أجل بالطبع يا سيدتي، فأنا وماري صديقتان مقربتان جدًا ونتفق في الكثيرِ من الصفاتِ على الرغم من أنها أكثر مهارةً وذكاءً مني. فقد اتفقنا أن نأخذ مزرعة الدواجن تلك ونقوم بإدارتها معًا، ألن يكون ذلك رائعًا؟

-ولكن ألا تعتقدين أن الأمر سيكون مُملًا بعض الشيء يا آنستي؟ أعني أن تنعزلي هناك في تلك المنطقة مع الآنسة ماري فقط، من دون أن تُتاح لكِ فرصة التَعَرُف إلى أشخاصٍ آخرين أو أن تذهبي إلى حفلات التنس أو أن تتعرفي إلى رجالٍ يافعين وهكذا؟

-كلا يا سيدتي! في الواقع أنا لا أفكر بهذه الطريقة على الإطلاق، فأنا أعرف جيدًا كيف يتصرف هؤلاء الرجال بحماقةٍ. ويمكنني القول إنه لا يُعجبني ذلك النوع من الأشخاص التافهين ولا أهتم بهم على الإطلاق. أنتِ لا تعرفين يا سيدتي كيف يفكر رجال هذا العصر؟ فمعظمهم ينظرون إلى المرأة باعتبارها دُميةً أو حيواناً أليفاً!

-هل صادفكِ موقف جعلكِ تؤمنين بذلك يا آنستي؟

-بالطبع يا سيدة كليمبسون، ففي واقع الأمر لقد صادف الآنسة ماري ويتكار موقفٌ مشابهٌ، حيث كانت تتحدث مع السيد موركام الشاب في الموضوعات السياسية لكنه تفاجأ كثيرًا عندما وجدها تتحدث بطلاقة؛ فما كان يظن أبدًا أن النساء يمتلكن تلك القدرة العجيبة على مُناقشة هذه الأمور العامة

-ولِمَ ذلك؟، سألتها السيدة كليمبسون

-كما تعرفين يا سيدتي، فالرجال يتعاملون مع الأنثى باعتبارها لا تعرف شيئًا على الإطلاق، ويُزعجهم بشدة أن يجدوها على علم بأمرٍ ما تحديدًا إذا كانت فقيهة فيما يتعلق بالأمور السياسية!

-أتفق معكِ يا آنستي، فأنا أيضًا أعتقد أن الرجال يشعرون بالغيرة الشديدة من النساء الناجحات. قالتها السيدة كليمبسون بعد أن استغرقت فترة لا بأس بها في التفكير ثم أضافت:

-فالغيرة وحدها هي التي تجعل الناس يتصرفون بعنادٍ شديد وبحالةٍ من انعدامِ الأخلاق. فعندما يبدأ شخص ما في التعامل مع الآخر بطريقةٍ تُوحي بالازدراء أو بتقليل الشأن فهذا في حد ذاته خير دليل أن الطرف الأول لا يؤمن أصلًا بقدراتِ الطرف الثاني وإمكانياته! وهذا بالفعل يا سيدتي ما

يفعله الرجال الأغبياء الحمقى الذين يعتقدون أنهم أكثر ذكاءً من أي امرأة على الإطلاق، ومن ثَم ينعكس كل هذا في محادثتهم معها، أتعرفين؟ لهذا السبب على وجه التحديد أتجنب الحديث مع الرجال عمومًا، حتى وإن كان الأمر يستحق الرد فحينها سيتوهم الجميع أني مجرد خادمة عجوز لا قيمة لرأيي على الإطلاق، ألا تعتقدين ذلك أيضًا؟

-أوافقكِ الرأي تمامًا يا آنستي، فنحن أيضًا قررنا ألا نخوض تلك المعركة الجدلية مرةً ثانية. فأنا والآنسة ماري ويتكار لسنا مهتمَّتين أبدًا بما يعتقده بنا الرجال، ولن نتدخل لأي سببٍ كان من أجل توضيح الرؤية أو تجميلها.

-لقد أصبتِ الهدف يا آنسة، وأعتقد أنه عندما يعثر الواحد مِنا على شريكه الروحي يتمكن من المُضي قُدُمًا في حياته. فأنتِ والآنسة ماري ويتكار صديقتان مُقربتان يُمكنكما مُشاركة أي شيء معًا من دون قلقٍ أو ارتياب.

-في الواقع نحن لا نتشارك كل شيء بالمعنى الدقيق للكلمة، فأنا مثلًا أقوم بتنظيف الأرضيات وفركها وكذلك أتولى مهام الطبخ وأعمال ترتيب غرف المنزل والإشراف على الحظيرةِ الموجودة في الفناءِ الخارجي وغيرها من الأمور الإضافية التي لا تُشاركني فيها الآنسة ماري. لكننا نحظى بوقتٍ جديد معًا على أية حال ونتفق في الكثيرِ من الأفكار ويكفينا أننا قد تخلصنا من فكرة وجود الخدم في الجوار، تلك الأزمة الأبدية التي حاولنا جاهدتين البحث عن بديلٍ لها. فعلى الرغم من أننا نقطن أحد تلك الأكواخ البسيطة المتواضعة إلا أننا ننعم بحالةٍ من الهدوء والسلام.

-وما الذي تقومان به إذا لم يكن لديكما عمل فيما يتعلق بالإشراف على مزرعةِ الدواجن إذن؟

-نقوم حينها بالمزيدِ من الجولاتِ الخاطفة عبر السيارة، كما أننا نتردد على

أماكن جديدة ونذهب إلى المحلاتِ التجارية، تلك التي تكتظ بالمزيدِ من المزارعين السعداء والأشخاص اللُطفاء الذين اعتادوا إبداء تلك الابتسامة المحلية العريضة على الدوام. مع أني اعتدت في السابق الذهاب إلى متاجرِ البلدة بمفردي إلا أن وجود ماري برفقتي جعلني أستمتع أكثر.

-هل اعتدتما القيام بجولاتٍ في المدينة؟

-في الواقع كنا نقصر الأمر على بعض الجولاتِ الخاطِفَة القصيرة فحسب، وذلك لأن ماري تكره التَحُرك في أرجاءِ المدينة، قالتها ثم صمتت قليلًا وأضافت:

-لقد حافظنا على تلك العادة وقمنا بها من وقتٍ إلى آخر بغية الاستمتاع بكافة التفاصيل، مع أنني شخصيًا لم أكن من هُواة التَنَقُل من مكانٍ إلى آخر في السابق، فلم أكن بدوري أستهدف القيام بشيءٍ كهذا.

جدير بالذكر أن الآنسة فيندلاتر كانت تتحدث بطريقةٍ تُوحي بالتَململ تمامًا كما لو كانت قد فقدت شغفها في الحياة، وكانت تُحَرِك شفتيها فحسب هكذا بلا هدف من أجل استمرارية الحوار ليس أكثر، ومن جانبها حرصت السيدة كليمبسون على مُجاراتها حتى تبقى كما هي الصديقة المُقَرَبَة.

-هل تقضيان الوقت معًا دائمًا يا آنسة فيندلاتر؟، سألتها السيدة كليمبسون في فضولٍ ودهشة

-أجل، في الواقع نقضي وقتنا كله معًا يا سيدتي، فنحن لا نَمِل أبدًا من المكوث برفقةِ بعضنا بعضاً.

-أتمنى لكما دائمًا حياة سعيدة مُبهجة. ولكن اسمحي لي أن أسألك يا عزيزتي: ألم تشعري بالمَلل يومًا؟ أعتقد أننا كبشر نميل من وقتٍ إلى آخر إلى تغيير نظامنا الحياتي وإحداث بعض التغيير فيما يتعلق بدائرتنا الاجتماعية، تحديدًا

إن كانت تلك الدائرة لا تشتمل إلا على شخصٍ واحد؟!، سألتها السيدة كليمبسون مُضيفةً:

-فهناك الكثير من الصداقات التي تتدمر من تلقاء ذاتها لأن الناس يقضون الكثير من الوقت معًا، مما يخلق بدوره أسبابًا للنزاعاتِ والخلافات!

-أعتقد أن تلك العلاقات لا تقوم أصلًا على مبدأ الصداقة الحقيقية. فأنا وماري صديقتان مقربتان بشدة من بعضنا بعضاً ونعيش حياة سعيدة.

قاطعتها السيدة كليمبسون قائلةً:

-اسمحي لي أن أُسدي إليكِ النُصح، فأنا امرأة أكبر منكِ سِنًا ولديّ خبرتي الخاصة في الحياة على أية حال

-بالطبع، تفضلي يا سيدة كليمبسون

-في الواقع إنني أتساءل: ماذا لو قررت الآنسة ماري ويتكار أن ترتبط بأحدهم يومًا؟ ماذا لو فكرت في الذهاب برفقته إلى مكانٍ آخر؟ ماذا لو أرادت يومًا حتى أن تتنزه بمفردها من دونك؟ كيف ستتعاملين مع هذا الأمر بدوركِ؟ أقول لكِ هذا لأنه يتوجب عليكِ في كل الأحوال أن تعتمدي على نفسكِ وألا تخضعي لها تمامًا على هذا النحو.

-بالطبع يا سيدة كليمبسون أتفهمك جيدًا، وعلى هذا الأساس أقول لكِ إنه لا مشكلة لديّ على الإطلاق في هذا الأمر، فإذا أرادت الآنسة ماري القيام بأي شيء بمفردها لا يُمكنني أبدًا أن أمنعها من ذلك. فأنا واثقة جدًا من مدى إخلاص ماري لي على الدوام.

-هذا جيد. في الواقع يا عزيزتي إنني أتحدث إليكِ الآن من واقع تجربتي الخاصة والتي تجعلني أتحسس تلك النهايات المؤسفة، فهناك الكثير من الأصدقاء المُقربين الذين تنتهي علاقتهم معًا بسبب إحدى وقائع الغيرة

فحسب، هذا الأمر غير المتوقع تمامًا. أعرف جيدًا أن الأمر غير جيد بالمرة لكني أعرف تأثيره السلبي على الروح، تحديدًا إذا كنت تضع كامل ثقتك في شخصٍ ما ثم اكتشفت أنه قد قام بخيانة تلك الثقة.

قالتها السيدة كليمبسون، ثم توقفت لبعضِ الوقت وأردفت:

-كما تعرفين يا آنسة فيندلاتر فإن صداقة الفتيات لا تدوم لفترةٍ طويلة بسبب تلك المشاكل التي تخص الغيرة التي تنشأ بينهنّ، وهذا يُناقض علاقة الصداقة الناشئة بين الرجال، ذلك النوع من الصداقات التي تدوم لفتراتٍ زمنية طويلة فقط، فالرجال لديهم الكثير من الاهتمامات الخارجية التي تجمعهم.

-أسمع كثيرًا عن صداقاتهم لكني أؤمن أن معظمها لا يستمر لفترة كبيرة، لأنها لا تعتمد على أُسس صداقة حقيقية بل مُزيفة. فالكثير من الرجال يتجولون برفقة أصدقائهم فقط من أجل مُشاركتهم ألعاب القمار والنوادي الليلية، فالمسألة تتعلق بتلك المصلحة المشتركة التي تجمع بينهم فحسب بعيدًا عن وجود بذور الصداقة القَيمَة، فبعد مرور السنوات ينسى أولئك الرجال أصدقاءهم أصلًا. قالتها الآنسة فيندلاتر بمزاجٍ عَكِر مُضطَرِب، وحينها تدخلت السيدة كليمبسون على الفور وقالت لها:

-بالطبع يا عزيزتي أوافقكِ الرأي كُليًا فتلك الصداقات لا تستمر طويلًا.

تفوهت المرأة بتلك الكلمات بسرعةٍ غريبة على الرغم من أنها لم تكن على اقتناعٍ تام بما قالته للتو.

-إنني أؤمن بشدة بمعنى الصداقة الحقيقي يا سيدتي، فهي تلك الضرورة التي تُحتِم عليك أن تكون كل شيء للشخصِ الآخر. إنها بمثابة البهجة التي تُلَوِن أفكارنا التي نتشاركها معًا، فبدلًا من أن يُركز الإنسان حياته على نفسه يتعيَّن عليه التركيز على الآخرين من حوله. وبدلًا من أن يدور حول نفسه

ومركزيته عليه أن يُحيط الآخرين بالرعاية والحب فهذا ما تعنيه الصداقة. أن تكون على أتم الاستعداد للتضحية بأي شيء من أجل صديقك.

-ليس لديّ أدنى شك في ذلك، لكني سمعت مؤخرًا خطبة دينية ألقاها القِس على مسامعنا والتي قال فيها إن الحب الأعمى في بعض الأحيان قد يقودنا إلى نوعٍ من عبادة الأوثان، أتفهمين ما أقول؟ بمعنى إذا أخلصَ المرء لأحدهم كثيرًا في ظل إهمال هذا الشخص الآخر وتجاهله له فإنه يعصف به، وهذه إحدى الدروس الدينية التي ينبغي لنا الإصغاء إليها جيدًا.

-أعتقد أنه يتعيَّن على المرء أن يضع الله أمامه أولًا، فحينها فقط سوف يتمكن من التصرف بشكلٍ لائق ومُهذب. كما أن الصداقات الجيدة التي تستمر لفترةٍ طويلة هي تلك التي تختفي منها جوانب الأنانية بينما يظهر الحب والقوة. ولكن من الجيد ألا يكون هناك نوع من الهوس في العلاقة، فمن الأفضل أن يُدَرِّب الواحد نفسه على التحلي بالشجاعة من أجل دعم الطرف الآخر من دون أن يكون هناك أي سلوك يُوحي بالأنانية. فأنا والآنسة ماري ويتكار يجمعنا هذا النوع من الصداقة، وعلى الرغم من وجود الكثير من الاختلافات بيننا إلا أننا شرعنا في التأقلم مع طبائع بعضنا بعضاً منذ تلك اللحظة التي عشنا فيها معًا في كوخٍ واحد. أجل، أعرف أن المكان في غايةِ التواضع والبساطة، وأن سُكان البلدة غير ودودين لكننا عرفنا كيف نستمتع بحياتنا على طريقتنا الخاصة.

-ربما يُمكنكما العيش معًا على هذا النحو حتى يأتيك الرجل المُناسِب. قالتها السيدة كليمبسون

ثم قاطعتها الآنسة فيندلاتر بكل حزم قائلة:

-إنني أكره هذا النوع من الكلام. انه يجعلني أشعر بالقلق والارتباك والذُعر. أتعرفين إن حديثك هذا يا سيدة كليمبسون يجعلني أشعر وكأني مُرشَحة لجائزة البقرة المُنتظرة! فلقد تجاوز مجتمعنا تلك النقطة، فلم نعد كما تلك الأيام الخوالي.. لم يعد الزواج هو كل ما يشغل الفتاة في هذا العالم.

حاولت السيدة كليمبسون استخدام حدسها الخاص حتى تتَبع أية آثار قد تؤدي بدورها إلى التعرّف على الجريمة، ولكن مع استمرارية الحديث على هذا الإيقاع شعرت السيدة كليمبسون أن الآنسة فيندلاتر قد فقدت بدورها الشغف فيما يتعلق باستكمال الحوار لأن الموضوع لم ينل إعجابها، وعلى هذا فقد قامت بتغيير موضوع الحوار.

استطاعت السيدة كليمبسون لاحقًا أن تؤكد للسيد بيتر ويمسي المُحَقق أن تلك الفتاة التي قد رأتها السيدة كروبر في محطة القطار لم تكن الآنسة ماري ويتكار، حيث إن الأخيرة ظلت برفقة صديقتها حتى النهاية ولم تفترقا للحظةٍ واحدة. كما أكدت صديقتها المُقربة الآنسة فيندلاتر بنفسها.

الفصل السابع عشر

رسالة من السيد روبين، المُحامي المُتقاعِد المُقيم في فيلا بيانكا بفيسولا إلى السيد ماربلز محامِي المنطقة.

دُوِّن على الخطاب عبارة تقول: "خاص جدًا وسِري"

عزيزي السيد ماربلز:

لقد كنت مُهتمًا جدًا بخطابك الذي حدثتني فيه عن حادثة موت الآنسة أجاثا داوسون في ليمبتون، وسأبذل قصارى جهدي لأُجيبك على كافة تلك الأسئلة التي قمت بطرحها قدر المُستطاع. ما يهم الآن هو أن نحاول استيعاب كافة تلك المعلومات الدقيقة التي تخص القضية الجنائية، فنحن لا نرغب في أخذ الأمور على علاتها حتى يكون هناك نوع من الشفافية والموضوعية. وعلى الرغم من أن تناول بعض التفاصيل ومُشاركتها هو أحد الأمور التي نضعها في عينِ الاعتبار ونتعامل معها بسريةٍ تامة إلا أنني سأقوم بإجراء استثناء هنا، وسوف أسمح للمُحَقق الذي ذكرتَ لي اسمه في خطابك السابق بالاطلاع عليها.

لقد سألتني عن عدة أمور يا سيد ماربلز خلال رسالتك الأخيرة وعلى رأسها ما يلي:

1 - إن كانت السيدة أجاثا داوسون قد كتبت وصيتها بالفعل قبل موتها.
2 - إن كانت السيدة العجوز قد كتبت شيئًا من أملاكها الخاصة لقريبتها الآنسة ماري ويتكار، أو إن كانت وهبتها كافة مُمتلكاتها.
3 - وإن كنت أنا مَن شجعتها على كتابة وصيتها قبل الموت، وماذا كان ردها في هذا الحين على وجه التحديد؟

4 - وهل كانت الآنسة ماري ويتكار على علم بموقفها القانوني من الميراث، وهل سألتني عن بنود القانون القديم الذي استمر العمل به حتى تاريخ 31 ديسمبر 1925حتى ربيع عام 1925؟

في الواقع يا سيد ماربلز يتعيَّن عليّ إخبارك إنني قد استفسرت بدوري عن كافة تلك الأشياء من أحد أصدقائي المُستشارين، والذي أكد لي أن بعض الكلمات القانونية المذكورة تحمل عدة مُسميات، وأن تلك المفاهيم التي كانت سارية وصالحة للاستخدام في قانون الوصية القديم لم يعد معمولٌ بها في الوقتِ الراهن على الإطلاق بل أصبح هناك مفاهيم أخرى، وفي ضوء ذلك لا يمكننا الحكم على الوصية وإطلاق الأحكام من دون التَعرُف على تفسيرات المعاني القانونية المُشار إليه في الأوراق. فلقد تواصلتُ بدوري مع الكثيرِ من العُملاء الذين قد أشبعوا فضولي بدورهم فيما يتعلق بالتفاسير وشروحها حتى أتفادى عدم الفهم. وكنتيجة لذلك فإن مسألة حصول الآنسة ماري ويتكار على الميراث من عدمها تتوقف أساسًا على المعنى المُراد به في الوصية. ما يُمكنني تأكيده لك يا سيد بالمز أن السيدة أجاثا داوسون كانت عازفة تمامًا عن كتابة الوصية، فلم تكن حتى مُقتنعة بمسألة التسليم بخطورة مرضها واقتراب موعد موتها، ولذلك فقد بذلتُ قصارى جهدي لأجعلها تتفهم إجابات الكثير من الأسئلة التي تشغل ذهنها حتى أتمكن من حثّها على توقيع وصيتها. وعليه فقد ذهبت إلى ليمبتون وعرضت عليها المسألة كاملةً. حدث ذلك يوم 14 مارس. لقد أعلمني طبيبها الخاص أنها على وشك إجراء عملية أخرى مقبلة في غضون بضعة أسابيع، وأنه يجدر بي إذن أن أقوم بتوقيع تلك الأوراق والمستندات المطلوبة من جانبها قبل هذا الموعد، فربما لن يكون هناك فرصة أخرى في المستقبل القريب. كما أن حالتها

الصحية تزداد سوءًا يومًا بعد يوم. لقد ظنت المرأة العجوز أن ثمة مؤامرة خفية تُحاك ضدها. لقد توهمت أن الجميع يُخططون لقتلها فلم تكن مُقتنعة أبدًا أن موعد موتها الطبيعي قد اقترب بدوره. رفضت السيدة أجاثا داوسون أن يتحدث معها أحدهم عن فكرة موتها المُرتقَب تلك، وطلبت مني ألا أُفاتحها مُجددًا في مسألة كتابة الوصية وأرجأت الأمر كله إلى ما بعد إجراء العملية. لقد كانت تتأمل أن تظل على قيدِ الحياة حتى العام المُقبِل أو أن تحيا سنوات إضافية أخرى. في الواقع لقد أصرَّ طبيبها الخاص ألا يُخبرها بطبيعة مرضها- تمامًا كما هي عادة الأطباء عند التعامل مع تلك الحالات الحرجة الحساسة - ناهيك أنه قد أقنعها أنها ستعيش لسنواتٍ إضافية حتى تتحلى بالشجاعة الكافية وتقوم بإجراء تلك العملية في الموعد المُحَدد. على الجانب الآخر عندما تجرأتُ على مواجهتها بالأمرِ الواقع ـــــ لأن رجال القانون يحاولون دائمًا السير إلى جوار الطريق الآمن ـــــ لم تقتنع السيدة العجوز بكل ما قلته، وكذلك لم تُقدِر دوافعي وشعرت بالغضبِ التام وطردتني من المنزل. بعد انقضاء بضعة أيام تسلمتُ خطاباً منها كانت تتذمر وتشكو فيه من وقاحتي، كما أكدت أنها لم تعد تشعر بالثقة بي مُجَددًا.

في اليوم التالي قمت بإرسال كل الأوراق الخاصة بمعاملاتها القانونية إلى السيد هودجسون مُحامي ليمبتون المحلي، ومنذ تلك اللحظة لم يعد هناك أي تواصل بيني وبين أفراد تلك العائلة.

هذه هي إجاباتي المُحَددة على سؤالك الأول والثاني. أما بالنسبة لسؤالك الثالث أعتقد أنه لم يكن من المُلائم أبدًا أن أتحدث مع الآنسة ماري ويتكار حول إشكالية الميراث ووضعها فيه طبقًا لبنود قانون الملكية الجديد. فلم نُناقش أبدًا أية تفاصيل تخص تلك الجزئية على الإطلاق.

لقد أربكني الموقف برمته لكني قمت بدوري كمحامٍ للعائلة على أكملِ وجه، فما حدث لم يكن خطئي على الإطلاق، فأنا لم أتلكأ أبدًا للحظة ولم أُقصر. فعندما طالبتني السيدة داوسون بشيءٍ ما لم أتردد ولو لحظة عن إمكانية القيام به. واصلت جهودي لأبلغ غايتي القانونية ثم قدمت كل الأوراق والمستندات الخاصة بعميلتي لأسرتها وعُدت أدراجي مُغادرًا تلك البلدة بعد أن تولى مُحامٍ آخر زمام الأمور بدلًا مني. في شهر أكتوبر لعام 1925 شعرت بأن حالتي الصحية ليست على ما يُرام، وعلى هذا قمت على الفور بتقديم استقالتي وعدت بدوري إلى إيطاليا. لم تكن الجرائد تصل بشكلٍ مُنتظم في تلك البلدة التي أقمت فيها ومن ثَم لم أعرف بخبر وفاة السيدة أجاثا داوسون.

في حقيقة الأمر ما حدث كان غامضًا يا سيد ماربلز، فلم تكن هناك أية أجواء توحي باحتمالية وجود جريمة قتل، على النقيض فقد أخبرتني السيدة أجاثا داوسون بنفسها أنها تنتوي منح أموالها وممتلكاتها كاملة للآنسة ماري ويتكار، لكن الإشكالية الوحيدة بالنسبة إليها كانت تتمثل في عدم استعدادها لكتابة وصية باعتبارها نذير شؤم قد يُعَجِل بساعة موتها، وعندما أخبرتها أنها إذا قضت نحبها من دون كتابة ذلك بشكلٍ قانوني رسمي لربما تذهب ممتلكاتها وأموالها إلى الدولة، لكنها اعترضت على ما قلته مؤكدةً أنه من المستحيل أن يُسيء قانون الدولة تفسير هذا البند، فالآنسة ويتكار هي قريبتها الوحيدة التي ما زالت على قيدِ الحياة وبناءً عليه ستكون هي الوريثة الوحيدة من دون شَك.

لقد أنهكتني تلك المرأة العجوز. لم تكن مُدركة أن الميراث حينها قد يذهب إلى دوقية لانكستر بشكلٍ تلقائي بما أنه لا يوجد وصية مكتوبة، لكنها سخرت

مني وتهكمت على تلك النقطة المُشار إليه رافضةً بكل السُبل أن تقوم بتلك الخطوة، مُعتقدةً أنها بذلك ستعيش لسنواتٍ أكثر. لسوء الحظ لم تكن السيدة أجاثا داوسون قادرة على استيعاب الموقف.

أود أن أوضح أيضًا أن محاولاتي الكثيرة الدؤوبة من أجل حث السيدة العجوز على توقيع أوراقها القانونية لم تكن بدافعٍ شخصي. فالمسألة وما فيها أنني خشيت أن تفقد تلك المرأة المسكينة ما تبقى من عقلها بعد خضوعها لتلك العملية الجراحية الأخيرة، فأردت فقط إطلاعها على حقيقة الموقف لكنها لم تقتنع على الإطلاق حتى وقع ذلك الحادث لاحقًا بطريقةٍ غير مُتوقعة.

أتمنى أن تكون تلك المعلومات التي قدمتها لك مفيدة يا سيد ماربلز.

مع تحياتي.

المخلص ثيو بروبين

قرأ السيد ماربلز الخطاب لتوِّه جيدًا، ثم بدأ يتأمل تلك النقاط التي تحدَّث عنها المحامي بروبين بشكلٍ تفصيلي وشرع ينظر إلى القضية الجنائية من كل الاتجاهات، ثم كتب بيده المُتعرقة خطابًا موجزًا إلى المحقق باركر والذي توسل إليه فيه من أجل القدوم إلى منزله في الصباح الباكر للاطلاع على أبرز ما تم التوصل إليه.

جدير بالذكر أن المُحَقق باركر كان أكثر خبرة فيما يتعلق بفحص الجانب الجنائي، فلقد قام بدوره باستدعاء مجموعة من المحامين لبضعة أيام. عكف خلالها على تأمُل فقرات القانون والبحث عن تفاسيرٍ عصريةٍ لها. يمكننا القول إن تلك الإجراءات المكثفة والبحث الدؤوب خلف كواليس القضية

هو ما مكَّن رجال التحقيق من جمع هذا الكم من المعلومات مؤخرًا.
كان المُحقق باركر يقوم بدوره بجهود مُضاعفَة أكثر من تلك التي يقوم بها المُحَقق بيتر ويمسي. حتى إن الأخير قد أقرَّ بذلك بنفسه فصديقه رجل الشرطة يقوم بمهام أشد تعقيدًا من تلك التي يضطلع بها اللورد بيتر.
كان اليوم حارًا شديد الرطوبة، كما أن أرصفة الشوارع كانت مُغَبَّرَة بالكامل ناهيك عن أوراق الصحف المُتناثرة هنا وهناك بين الأزقة والحافلات الضخمة الواقفة عند الزوايا والطرق الرئيسية.
كان اللورد بيتر ويمسي يتناول وجبة الإفطار في مطعم أكسبريس دياري، هناك في تلك البُقعة المُحددة حيث تتطاير روائح البطاطا المقلية مُعانقةً رائحة أوراق الشاي المغلية. تلك هي عادة المُحقق بيتر ويمسي فهو يُفضل دائمًا تناول وجبة الإفطار في هذا المطعم، ثم يُثرثر مع أصدقائه حول تلك المسائل العامة التي تشغل البلاد. رآه رفيقه باركر يجلس في تلك الحانة ثم تمتم بينه وبين ذاته قائلًا:
-اللعنة يا ويمسي! تُرى ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟ هل ما زلتَ تُخَطط للقيام بشيءٍ ما بغية إزعاج تلك المرأة الميتة في قبرها؟ هل تنشد إثارة القلاقل فحسب؟ فها هي يا عزيزي تلك المرأة المسكينة العجوز ترقد كجثة هامدة في مقبرتها لا تُمَثِل تهديدًا لأحد على الإطلاق، فلماذا تُصِر إذن على إدخال أنفك في شؤونها؟ أتقوم بكل هذا من أجل إثبات صحة نظريتك بهذه الطريقة المُعادية للمنطق؟، تساءل المُحقق باركر مرارًا وتكرارًا ثم فكَّر أنه يجدر به التواصل مع مجموعة من المحامين الذين أشرفوا على خط سير تلك القضية.
من المفترض أن يبدأ رجال التحقيق طرح أسئلتهم بخصوص احتمالية قيام الآنسة ماري ويتكار بمحاولة مُباغتة لقتل عمتها السيدة داوسون. شرع

المُحققون في استجواب المُحامين الذين تولوا تباعًا الجانب القانوني للسيدة أجاثا داوسون وتحدثوا معهم جميعهم. لكنهم اكتشفوا أن الآنسة ماري لم تتحدث مع أحدهم على الإطلاق فيما يخص الحصول على استشارة قانونية تتعلق بمسألة كتابة الوصية أو مناقشة وضعها القانوني الخاص بعد تعديل قانون الملكية. على الرغم من ذلك فقد ظنَّ اللورد بيتر ويمسي أن ماري هي تلك اليَد الخفية التي تقف وراء مقتلِ السيدة أجاثا داوسون. لقد آمن أنها خططت كُليًا للأمر وأنها لن تتراجع عن تحقيق هدفها المنشود.

أكد المحامون أنهم لم يتلقوا أي اتصال أو استفسار يتعلق بمسألة الوصية من جانب الآنسة ماري ويتكار. كما أن رئيسهم السيد هودج سون قد شَدد على ذلك بدوره حتى إنه نظر بغرابَة إلى السيد باركر عندما طرح عليه ذلك السؤال وكأنه يستبعد تلك الاحتمالية تمامًا.

-هل أنت واثق يا سيدي أن الآنسة ماري ويتكار لم تحصل على استشارتك أبدًا فيما يتعلق بهذا الجزء؟، سأله باركر

-أجل يا سيدي المُحقق، في الواقع لم تتحدث معي أبدًا عن مسألة الوصية من قبل، كما أنني كمحامٍ لم أفكر يومًا في احتمالية وقوع شيءٍ كهذا! أضِف إلى ذلك أن حادث الوفاة قد وقع قبل تغيير قانون الملكية بيومين فقط! فمَن كان يعرف أن القانون سيتغير؟ ليس هناك أحد على دراية بالخبر فما بالنا بالآنسة ماري ويتكار التي لا علاقة لها بمجالِ القانون أصلًا! فكيف لها أن تعرف كل ذلك؟ ومن ناحيتي لا أذكر أي واقعة مُشابهة يا سيد باركر، فلو كان هناك شيءٌ ما لأخبرتك به على الفور.

-حسنًا هذا جيد أيها المُحامي، ولكن ألا تعتقد أن ماري كانت تُخطط لحدوث ذلك منذ أن كانت عمتها على قيدِ الحياة؟

-لا يمكنني أن أُجزِم بذلك على الإطلاق يا سيدي، فلم يخطر هذا على بالي من قبل. ولكن ما أعرفه جيدًا أن القانون تغيَّر بشكلٍ جبري بعد يومين من الوفاة، فلم يكن حدثًا مُخَططًا له على أي حال فالمسألةً سارت بشكلٍ طبيعي تلقائي فحسب وما نفعله بدورنا هو تطبيق القانون فقط. فأنا لم أفكرٍ أبدًا في الأمر بهذه الطريقة.

من جانبه قال باركر إنه ليس مُندهشًا لسماع تلك الشهادات، وتحدَّث مع المحامين حول تلك المخاوف التي كانت تشغلهم كثيرًا خلال العمل على تلك القضية، ثم تمكنت السيدة كليمبسون لاحقًا من اللقاء برئيس المحامين حتى تسرد له ما قالته لها الآنسة فيندلاتر عن مشروع السيدة ماري ويتكار وما تُخَطط له في مجال ريادة الأعمال على طريقتها الخاصة. ثم تأهَّب الرجل للقاء الآنسة ماري ويتكار بنفسه ليسألها عن بضعة تفاصيل لكنهم لم يُوفقوا بالحصولِ على تلك الفرصة للتحدث إليها، ففي هذا الوقت الذي تساءلوا فيه إن كانت الآنسة ماري ستهتم بلقائهم حتى يعرفوا منها أبرز الإجابات التي يبحثون عنها، وبينما كانت السيدة كليمبسون تحكي لهم ما قالته لها رفيقتها المُقربة حول أفكار الآنسة ماري وما تفعله، إذ ربما يساعدهم ذلك على معرفة تلك الخطوات التي سبقت واقعة الوفاة، توجهت السيدة كليمبسون والتي تلعب دور مرشدة رجال الشرطة في تلك القضية الحساسَة برفقة السيد باركر المُحقق وكذلك السيد بروبين المُحامي، وحينها قالت للمُحَقق تشارلز باركر مازحةً:

-في الواقع لا أعرف كيف سأُقدمك إلى السيدة بادج يا سيد باركر! أعتقد أنني لن أذكر أبدًا أنك رجل شرطة، أليس كذلك؟

-بالطبع يا سيدة كليمبسون، فمن الأفضل أن أخفي هويتي تمامًا حتى

نتمكن من الحصول على كافة المعلومات المطلوبة

-ولكن كيف سأُقدمك إليها؟ هل سأقول إنك ابن عمي أودلف؟

-أوه!، قالها باركر ضاحكًا ثم أضاف:

-يشرفني ذلك يا عزيزتي كليمبسون، يسعدني حقًا أن أكون ابن عمك أودلف

ابتسمت السيدة كليمبسون وقالت:

-حسنًا لتكن أودلف منذ هذه اللحظة أيها المُحَقق!

-الأمر مُضحك فعلًا، فلم أكن أظن أن اسم أودلف يليق بي!

-في الواقع لا أعرف لماذا فكرت بهذا الاسم لكنه خطرَ على بالي فحسب.

-كم أنتِ امرأة جميلة يا سيدة كليمبسون! أنا مُمتن حقًا لوجودنا معًا في تلك المهمة حتى لو أطلقتِ عليّ أبشع الأسماء!

في تلك اللحظة توقف المحقق باركر عن الغزل، وبدأ عمله في الاستجواب ثم قال: فإذا لم تذهب الآنسة ماري ويتكار إلى محامي ليمبتون، تُرى إلى أين ذهبت إذن؟ ربما تتوجه إلى السيد روبين المُحامي الحالي ولكني لا أعتقد أنها قامت باختياره، فهي لم تتعرف عليه أصلًا في كروفتون فهي لم تعش برفقة عمّاتها من قبل. جدير بالذكر أنها لم تلتقِ به سوى مرة واحدة عندما جاء إلى ليمبتون لرؤية السيدة داوسون، وحينها لم يُخبرها بسبب زيارته المُفاجئة لكنها عرفت لاحقًا من خلال ما تفوهت به عمتها أن الأمر يتعلق بكتابة الوصية، وربما حينها كانت لتفكر بدورها أن السيد بروبين ما كان ليثق بها بعد الآن ليُطلعها على تلك الحقائق القانونية التي تخص المسألة، فلو كانت سألته حينها لكان قد تهرَّب تمامًا من الإجابة ولقال لها إنَّ الأمر لم يعد في سلطته الآن، وبناءً عليه فهو لا يرغب في مُناقشة المسائل القانونية التي تخص

أعمال عميلته السابقة السيدة أجاثا داوسون، وكان ليُوجّهها إلى الذهاب إلى السيد هودج سون المُحامي البديل. وبالتالي فلو كانت الآنسة ماري ويتكار سألته لكان سيتذكر القصة ليسردها على أسماع المُحققين.

فلم يكن الرجل يستهدف إخفاء الحقيقة؟ ولماذا قد يفعل شيئًا كهذا أصلًا؟ لماذا قد يُجازف بسمعته ووضعه الاجتماعي من أجل تلك القضية؟ ما علاقته بالأمر؟

فكَّر السيدان المحققان مليًا في تلك الوجهة التي قد تكون الآنسة ماري ويتكار قد ذهبت إليها بدورها، ثم تبادر إلى ذهنيهما أنها ربما توجهت إلى مدينة الضباب لندن، بعيدًا حيث ما من جارٍ يعرف جاره، وحيث تلك المتاجر الواسعة التي لا تعرف زبائنها، في تلك البلدة البعيدة حيث يتم استدعاء الأطباء لإلقاء نظرة على مرضاهم لمرةٍ واحدة فقط، هناك حيث ترقد كجثة هامدة لمدة أشهر من دون أن يُلاحظك أحدهم أو يلتفت إليك.

ربما ذهبت الآنسة ماري إلى لندن، تلك المدينة الهائلة المزدحمة التي تجمع بين الأصدقاء والغرباء في إطارٍ غريب غير تقليدي. هناك بعيدًا حيث هذا الوطن الكئيب الذي يضم في صدره آلاف الأسرار القديمة، قد تكون مضت بخطواتٍ وئيدة نحو هذا المكان القاتم المُخيف المُنعزل المُرَوِع.

صمت المُحَقق باركر لفترةٍ من الوقت ثم قال:

-أراهن أن الآنسة ماري ويتكار قد توجهت بدورها إلى لندن، فالمكان هناك أكثر أمانًا من أي مدينة أخرى، كما أنها تعرف المدينة جيدًا. بالطبع أضف إلى ذلك أنها قد تدربت في المستشفى الملكي هناك فهي تعرف أيضًا منطقة بلومزبري أكثر من أي منطقة أخرى. فقد كان باركر يعلم أن اللندنيين تحديدًا لا يفضلون الخروج من أماكنهم كثيرًا وكأنهم يفضلون العيش بداخل

مداراتهم الخاصة. ربما خلال تلك الفترة التي ترددت فيها على المستشفى الملكي تحدثت إلى محامٍ آخر لتستفسر منه حول تلك الجزئية القانونية من دون أن تُثير الشُبهات حولها.

كانت المنطقة تلك معروفة بالنسبة إلى المحقق باركر حيث إنه لطالما قام بالمزيد من الاستجوابات والتقارير فيها. مضى بخطواتٍ ثابتة ناحية طريق بيد فورد حيث كان العُشب الأخضر يتلألأ على الجانبين مُنسجمًا مُتناغمًا مع أشجارِ التوت الزرقاء السميكة، ولهذا شعر المُحَقق تشارلز باركر بالحَر الشديد. انطلق كما السهم ناحية إحدى الحانات المنحوتة على قارعة الطريق وتناول طبقًا من البيضِ المقلي لشحن طاقته مُجَددًا حتى يتمكن من الذهاب إلى مكانه المنشودِ قبل موعد الظهيرة.

توجَّه السيد باركر إلى مكتب المُحامي الأول بمجرد أن وصل إلى البلدة. قاده الأهالي إلى مكتب السيد تريجر المُحامي وقد كان محظوظًا بما يكفي لأنه التقى به بمجرد الولوج إلى هناك، فقد أخبره الخادم أولًا أن سيده قد عاد لتوه من موعد لتناول الغذاء وأنه ينتظر رؤيته.

شعر المُحقق تشارلز باركر بالسعادة العارمة عندما التقى السيد تريجر بكل هدوء، فقد كان رجلًا بشوشًا ذا وجه ودود مألوف في بداية عقده الرابع، والذي طلب من المُحَقق أن يجلس على أحد تلك المقاعد الخشبية لالتقاط أنفاسه قليلًا.

-في الواقع لقد أتيت إلى لندن بصفةٍ مؤقتة يا سيد تريج، وقد وجدت أنني بحاجه إلى نصيحةٍ قانونية والتقيت أحد الأشخاص في مطعم بالقرب من تلك المنطقة والذي منحني عنوان مكتبك وقال إنه بإمكانك مُساعدتي، إنني لا أتذكر اسم هذا الشخص الآن، ولكن على أية حال فالمسألة غير ضرورية،

أليس كذلك؟ ففي حقيقة الأمر أنني وزوجتي قد جئنا معًا إلى المدينة لرؤية عمتها الكُبرى فهي بحالة صحية بالغة السوء، في الواقع لا يتوقع الأطباء أنها ستعيش لفترةٍ أطول. المسألة بإيجاز شديد يا سيادة المُحامي أن عمة زوجتي ليس لديها أي أبناء أو أقارب سواها، ولطالما كانت تُعامل زوجتي الحبيبة على أنها ابنتها الحقيقية، كما أن زوجتي أحبَّتها من أعماقِ قلبها واعتبرتها كل شيء بالنسبة إليها وآخر ما تبقَّى من عائلتها. وقد قالت عمتها إنه بعد موتها سيذهب كل مالها إلى زوجتي. نحن لا نتطلع إلى الحصول على هذه الأموال طمعًا أو جشعًا يا سيادة المُحامي فالأمر كله أننا نرغب في الاعتماد أساسًا على مصدر دخل يُعيننا خلال فترة التقاعد كما تعلم، لكننا لا نتمنى أبدًا موت تلك السيدة العجوز الطيبة فلطالما عاملتنا بلُطفٍ بالغ وبمحبة. على الجانب الآخر لم تتحدث السيدة من قبل عن مسألة كتابة وصية لزوجتي حتى تتمكن من الحصول على الميراث. في الواقع لم يُقلقنا ذلك الأمر لكننا سألنا أحد المُحامين الأصدقاء الذي نبهنا إلى معلومة أخرى جديدة، والتي تقول إنه إذا ماتت العمة من دون كتابة وصية فلن تحصل زوجتي على أي شيءٍ على الإطلاق من ثروتها وسيذهب كل شيء بدوره إلى الدولة، فهل هذا صحيح؟ من ناحيتي لم أصدق الأمر وأخبرته أنه على خطأ. ولكني أسألك لأن زوجتي مُضطربة جدًا وقَلِقَة من هذا الأمر، لقد حثَّتني زوجتي على طلب النصيحة القانونية من سيادتك لأنه من الممكن أن تموت عمتها في أي وقتٍ من الآن من دون أن تكتب تلك الوصية، أو ربما تقوم بذلك من دون أن نعرف. نريدك أن تخبرنا عن طبيعة الوضع في ضوء قانون الملكية الجديد، هل من الممكن أن يحدث أمرٌ كهذا حقًا؟. سأله المُحقق تشارلز باركر مُتظاهرًا بصدق حكايته سابقة الذكر

-في الواقع يا سيدي أخشى أن أخبرك أن القانون واضحٌ جدًا بخصوص تلك المسألة، فقد نصَّ البند الجديد الذي يخص الملكية الشخصية أنه إذا مات الشخص المعني من دون أن يكتب وصيته تذهب أمواله على الفور إلى المملكة. لذا أرى أنه يجدر بك أولًا أن تتأكد إن كانت عمة زوجتك تلك قد كتبت لكما وصية أم لا! فأخشى أن تخسر زوجتك في تلك الحالة كل شيء ولا يمكنها الحصول على أية أملاك أو أموال على الإطلاق.

ابتسم المحقق باركر ثم قال:

-يبدو أن هذا السؤال مألوفٌ بعض الشيء بالنسبة لك يا سيادة المُحامي.

-أجل في الواقع يطرحه عليّ دومًا الناس مؤخرًا تحديدًا في تلك الفترة بعد تعديل القانون الخاص بكتابة الوصية، فهناك الكثير من العمَّات العجائز اللواتي غادرن هذا العالم تاركات خلفهن ابنة أخ وهي القريبة الوحيدة المُتبقية على قيدِ الحياة كحالة زوجتك.

-حسنًا هذا جيد يا سيد تريج. في الواقع لديّ فضول لأعرف إن كان أحدهم قد طرح عليك ذلك السؤال في صيف 1925 يا سيدي؟

احتلت الدهشة وجه المُحامي المحلي، ثم بدا القلق واضحًا بعد ذلك.

-ما الذي يجعلك تطرح هذا السؤال؟، سأله المُحامي تريج

-أتمنى ألا تتردد في الإجابة، قالها باركر مُخرجًا بطاقته البوليسية ثم أضاف:

-أنا ضابط شرطة ويحق لي أن أطرح عليك هذا السؤال الآن. في الواقع لقد كنت أرغب بشدة في الحصول على جوابك لهذا السؤال، لكنني أخفيت عنك هويتي في البداية لأني تمنيت الحصول على رأيك بشكلٍ موضوعي مُحترف.

-حسنًا، سأجيبك على هذا السؤال يا سيدي. في تلك الحالة فلقد طرح عليّ أحدهم بالفعل هذا السؤال في يونيو 1925

-هل تتذكر ظروف ومُلابسات الواقعة نفسها؟
-أجل، بكل وضوح فأنا لم أنسَ تلك الحكاية يومًا!
-هذا رائع! هل من الممكن إذن أن تسرد لي تفاصيل تلك الواقعة بشكلٍ تفصيلي يا سيدي المُحامي؟
-بالطبع امنحني دقيقة واحدة يا سيدي المُحقق وسأخبرك بكل ما أعرفه، قالها المُحامي، ثم رفع سماعة الهاتف وصاح قائلًا:
-أنا مشغول الآن برفقة المُحَقق تشارلز باركر يا بادج، من فضلك لا تسمح لأحد بالقدوم إلى مكتبي إلا بعد انتهاء لقائنا سويًا، قالها المحامي.
قَبِل المُحَقق باركر الدعوة، ثم أشعل سيجارته وبدأ يُدَخِن بشراهة.



الفصل الثامن عشر

-أعتقد أن ذلك كان يوم 15 يونيو لعام 1925 عندما جاءتني امرأة تطرح عليّ نفس السؤال الذي سألته لتوِّك منذ قليل. لقد قالت لي إنها تستفسر نيابةً عن صديقةٍ لها ورفضت ذكر اسمها. أعتقد أنه بمقدوري وصفها جيدًا. لقد كانت فتاة طويلة وجميلة ذات بشرة نقية صافية وشعر داكن وعيون زرقاء، كانت فتاة جذابة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. أتذكر أيضًا أنها لم تكن ترتدي ثيابًا باهظة لكن أنيقة مُرَتَبَة ناهيك عن أنها لم تكن تضع الكثير من مساحيق التجميل. لقد كانت ترتدي فستانًا من الكتان المطرز- في الواقع أنا لست خبيرًا في تلك المسائل- لكن ما أعرفه أن المرأة كانت تعتمر قبعة بيضاء مُظَلَلة من القش.

-أوه! تبدو ذاكرتك ممتازة يا سيدي المُحامي. قالها المُحَقق باركر

-في الواقع يا سيد باركر أنا بالفعل أمتلك ذاكرة قوية، أضِف إلى ذلك أني قد التقيت تلك المرأة في مناسباتٍ عدة، ففي المرةِ الأولى قالت لي حينها ما قلتهُ لك للتوّ، وهو أنها موجودة في المدينة لفترةٍ مؤقتة وأن أحدهم قد رشَّحني لها كمُحامٍ خبير. لقد أخبرتها بشكلٍ غير مباشر أنه ليس بإمكاني إجابة سؤالها سابق الذكر بطريقةٍ فورية، كان هناك بعض الاضطرابات والقلاقل فيما يخص تفسيرات البنود القانونية كما تعرف يا سيدي، وبناءً عليه أخبرتها أني أحتاج إلى استشارة أحد المُحامين المُقتدرين بخصوص تلك الجزئية الخاصة. قالت لي السيدة أن اسمها جرانت-أعتقد أنه مجرد اسم مُزيف غير حقيقي- وأنها ستتصل بي في اليوم التالي لتعرف الرد النهائي بخصوص تلك الاستشارة القانونية الهامة. اتفقنا على ذلك ومضت في طريقها مُغادرةً المكان

بعد أن شكرتني وصافحتني باليَد. يجدر بي القول إنه في تلك اللحظة التي لامستُ فيها يدها لاحظت وجود ندبَة قديمة والتي بدت وكأنها تكونت إثر حادث ما.

اتصلت السيدة جرانت في اليوم التالي وأبلغتُها حينها أنني قد سألت صديقي المُستشار وأفادني بنفس الجواب الذي أبلغتكَ به للتو يا سيد باركر.

-وماذا قالت لك؟

-في الواقع لقد جمَّدها الذهول في مكانها، وبدا القلق جليًا على ملامحها. يمكنني القول إنها كانت مُرتبكة بشدة عند سماع ردي النهائي بشأن سؤالها الخاص بقانون كتابة الوصية والملكية الشخصية، حتى إنها صمتت لبعضِ الوقت ثم قالت في غضب:

-لكن هذا غير عادل على الإطلاق!

-فكيف تذهب أموال العائلة هكذا إلى المملكة من دون وجه حق؟! ألا يحق لابنة الأخ الوحيدة أن تحصل على كل هذا؟

أردت طمأنتها قليلًا وقلت:

-في الواقع يتعيَّن على ابنة الأخ في تلك الحالة أن تُحضر شهوداً لإثبات أن العمة الكُبرى كانت تنتوي منذ البداية أن تترك لها كل شيء، ففي تلك الحالة ربما تتفهم الدولة ذلك الأمر وتمنح ابنة الأخ حقها الكامل في الميراث، وحينها ستعرض القضية في المحكمة الرسمية أو شيءٍ كهذا ومع وجود الشهود والإثباتات اللازمة التي تنفي وجود أي حالة خلاف أو جدال بين أفراد العائلة، ومن ثَم تعود الأموال والأملاك إلى ابنة الأخ.

-في الواقع يا سيد باركر لم أكن أعرف إن كان قد تمَّ استبعاد الفتاة أصلًا من الميراث أم لا؟ فالسيدة جرانت لم تُفصِح لي عن طبيعة الأمر. فكل ما قالته

بالحرفِ الواحد بعد أن أصغت إلى كلماتي:
-هل تقصد أنه إذا ماتت عمتي قبل كتابة الوصية ستذهب الأموال إلى المملكة؟
-أجل بالطبع يا سيدتي، أجبتها بتلك الكلمات على الرغم من أني ارتبكت قليلًا بعد أن قالت بشكلٍ صريح: "عمتي"! فقد كانت تتحدث في السابق عن سيدة مجهولة لا يعرفها أحد، ورفضت أن تذكر اسمها وفجأة عندما تفاعلت مع ردي قالت: "عمتي"! مما أثار دهشتي وأوقفني في مكاني ساكنًا.
-يبدو أن لتلك المرأة نواياها الخفية!، قالها باركر ثم أردف مُتسائلًا:
-متى رأيتها مرةً أخرى؟
-لقد رأيتها في نهاية شهر ديسمبر بينما كنت أتناول وجبة العشاء في مطعم سوهو قبل الذهاب إلى حضور أحد تلك العروض المسرحية. بدا المكان خانقًا مُزدحمًا في بداية المطاف لذا حاولت الانتقال إلى إحدى تلك الطاولات الفارغة حيث كانت سيدة جميلة تجلس بمفردها. وبمجرد أن اقتربتُ منها لأسألها:
-إن كان أحدهم يجلس هنا؟ وحينها نظرت إليّ في دهشة مما جعلني أتذكرها على الفور:
-مرحبًا، كيف حالك يا سيدة جرانت؟، قلتها ثم ردَّت:
-أستميحك عُذرًا، أعتقد أنك مُخطىء يا سيدي!
-كلا يا سيدتي، اسمحي لي أن أُذكركِ بنفسي. اسمي تريج ولقد جئتِ إليّ في بيدفورد في نهايةِ شهر يونيو تستفسرين عن شيءٍ ما يخص قضية قانونية تتعلق بالميراث وكتابة الوصية، لكنني أعتذر بشدة لو كنت قد أخطأت.
ابتسمت السيدة جرانت حينها وقالت:

-أعتذر منك كثيرًا يا عزيزي، في الواقع لم أتعرَّف عليك
استأذنتها لكي أجلس برفقتها حول الطاولة الفارغة.
-في بداية حوارنا سألتها إن كانت قد أخذت نصيحة أحدهم بشأن قضية الميراث، لكنها نَفت ذلك وقالت إنها اكتفت بردي في تلك المسألة، وفي هذه اللحظة سألتها بدوري إن كانت العمة قد كتبت وصيتها أم لا، وحينها قالت إنه لم يعد هناك جدوى من الأمر كله فعمتها قد ماتت! لاحظت أنها ترتدي ثوبًا أسود مما منحني شعوراً باليقين أنها هي مَن تلعب دور ابنة الأخ في تلك اللعبة.
-لقد تحدثنا لبعض الوقت يا سيادة المحقق، ولا أُخفيك سِرًا أنني وجدت الآنسة جرانت امرأة ذات شخصية رائعة، فقد كان لديها وجهة نظر "ذكورية" بعض الشيء في فهم الأمور، بالطبع أنا لا أعني بذلك أنني من هذا النوع الذي يعتقد أنه لا عقل للمرأة، فأنا أقدِّر عقلية النساء بشكلٍ عام، لقد كانت سيدة جميلة مدهشة حقًا حتى إنني تمنيت أن أتزوجها.
ابتسمَ له المُحَقق باركر عندما لاحظ إعجابه الشديد بتلك الفتاة، وأدرك ضمنيًا أن السبب الرئيسي الذي قد يمنعه من تحقيق أمنية كتلك هو الفارق العُمري بين الرجل والفتاة سالفة الذكر. أضِف إلى ذلك تلك الهالة من الغموض التي تُحيط بالفتاة وحقيقة إخفائها اسمها وهويتها الحقيقيين.
-كانت الآنسة جرانت امرأة ذكية وقوية، تتمتع بقدراتٍ هائلة تتمثل في إدارة الحوار. فقد ناقشتني في مسألة تلك القضية التي كانت مثار الجدل في تلك الفترة الحرجة، إنني أنسى الآن الكثير من الحديث الذي دار بيننا في تلك الفترة، كل ما أذكره جيدًا أنها استمتعت بتلك المحادثة. وقبل أن ننتهي من تناول وجبة العشاء تحدثنا في الكثير من الموضوعاتِ الشخصية حتى

إنني حدثتها عن مكان إقامتي.
سأله المُحقق باركر:
-وهل أعطتك عنوانها الخاص؟
-لقد قالت إنها كانت تقيم في فندق بيفيرل في بلومزبري، وأنها تبحث عن منزل في المدينة. قلت لها إن لديّ خبرة معقولة في مجال العقارات وأخبرتها أنه بإمكاني تقديم المزيد من الخدمات فقط من أجلها. اصطحبتها بعد تناول العشاء إلى فندقها وتمنيت لها قضاء ليلة سعيدة. أثناء سيرنا معًا في الردهة الطويلة.
-هل كانت حقًا تُقيم هناك؟
-أجل، تقريبًا كانت تقيم هناك منذ أسبوع، في الواقع لقد أخبرني أحد أصدقائي أنه قد غادر إحدى الشقق الخاصة بي وعلى هذا حاولت التواصل مع الآنسة جرانت حتى تذهب إلى هناك لتُلقي نظرة أشمل، ربما يُعجبها المكان، لكن عندما وصلت إلى فندقها أخبرتني موظفة الاستقبال إنها قد غادرت تمامًا ولم تترك عنوانها المُحَدد. فقط كل ما قالته لي الموظفة إنها ستذهب إلى مدينة مانشستر. لا أُخفيك سِرًا سيدي المُحَقق أن الخبر أزعجني كثيرًا جدًا وشعرت حينها بالإحباط.
-بعد مرور شهر واحد تقريبًا بتاريخ 26 يناير ـــ حتى أكون أكثر دقة ـــ كنت أمكث في منزلي أعكف على قراءة كتاب ما قبل الخلود إلى الفراش. لقد كنت أستأجر شقة صغيرة متواضعة بعض الشيء خلال تلك الفترة، والتي انقسمت بدورها إلى طابقين، في حين كان سُكان الطابق الأرضي خارج المنزل وتُرِكت لتوِّي بمفردي تمامًا. جدير بالذكر أن مدبرة منزلي قد جاءت إليّ لإتمام عدة مهام خلال تلك الليلة، وأتذكر جيدًا عندما رَنَّ جرس الهاتف

حيث كانت الساعة الحادية عشرة والربع وحينها سمعت صوت امرأة تتحدث والتي توسلت إليّ بغية القدوم الفوري العاجل إلى منطقة هامبستيد هيث من أجل كتابة وصية لأحدهم على وشك الموت.

-هل تعرفَت على صاحبة الصوت يا سيدي؟، سأله المُحَقق باركر

-كلا لكنه بدا كصوتِ إحدى الخادمات، حيث كانت تتحدث بلكنةٍ ثقيلة. لقد سألتها إن كانت تسمح لي بزيارتهم غدًا لكنها حثَّتني على ضرورة القدوم في تلك الليلة قبل أن يفوت الأوان. قمت بارتداء ثيابي وتجهيز حقيبتي بملامحَ توحي بالانزعاج الشديد والألم. لقد كانت ليلة غير جيدة على الإطلاق حيث أحاطت البرودة بكل شيء، وانتشر الضباب بإصرارٍ لا يهمد. كنت محظوظاً للغاية لعثوري على سيارة أجرة في تلك الساعة المتأخرة جدًا، وبناءً على ذلك فقد انطلقنا بدورنا إلى العنوان سابق الذكر، كما أننا عانينا الأمرين من أجل العثور على المكان وسط تلك الظلمة الحالكة. في نهايةِ المطاف تمكنا من الوصول إلى منزلٍ صغير في منطقةِ هامبستيد هيث، فعلى أي حال لقد اقتربت أقدامنا من تلك البقعة بعد أن أنهكنا التعب. تركت سيارة الأجرة على جانب الطريق على بُعد عشرات الأمتار وطلبت من السائق أن ينتظرني لبعض الوقت. ولأنني غير واثق من احتمالية العثور على سيارة أجرة أخرى في تلك الساعة المتأخرة جدًا من الليل فقد طلبت من السائق أن ينتظرني قليلًا، والذي وافق بدوره مُضطرًا في النهاية بعد أن قطعت له وعدًا ألا أُطيل المكوث في الداخل. توجهت لاحقًا إلى المنزل، ومع أن كل شيء كان مُظلمًا داكنًا إلا أن عيني قد وقعت لتوها على غرفة مُضاءة بالأنوارِ الخافتة في الطابق الأرضي. قمت برن الجرس الذي انتشر صوته في أرجاء المكان كما لو أنه الصوت الوحيد المسموع في هذا العالم بأسره. قمتُ

برن جرس الباب مرةً أخرى ولكن ما من جواب.
لفَّت البرودة الكئيبة أرجاء المكان حتى إنني حاولت إشعال عود ثقاب وسط تلك العتمة لأتأكد إن كانت تلك هي واجهة المنزل الصحيحة أم أنني قد أضعتُ طريقي. وحينها لاحظت أن باب المنزل مفتوحٌ. أعتقد أنه ربما تكون تلك الخادمة التي ردت على الهاتف اليوم قد انشغلت بشدة في إنجاز تلك المهام الشاقة التي كلَّفتها بها سيدتها، وبناءً عليه فلم تتمكن من التَحَقُق من أمرِ الباب. فكرت أنه ربما يمكنني تقديم المساعدة الآن. دفعت الباب بقدمي ومضيت إلى الداخل بينما كانت القاعة شديدة العتمة، وقد اصطدمت حينها بإحدى المظلات عند الدخول واعتقدت أنني سمعت صوت أحدهم يهمس أو يموء. وبعد أن تأقلمت عيني مع الظلام تعثرت في مكاني بغتةً ولمحت ضوءًا خافتًا قادمًا من ناحية يسار الباب.
-هل كانت تلك هي الغرفة التي رأيتها مُضاءة من الخارج يا سيدي؟، سأله المُحَقق تشارلز باركر
-أعتقد ذلك، وبناءً عليه فقد هتفتُ بأعلى صوتي في فضاء المكان قائلًا:
-هل يمكنني القدوم؟
ثم سمعت صوتاً خفيضاً جدًا يرد بدوره:
-أجل من فضلك
دفعت الباب بقوة ودخلت إلى غرفة جلوس تمَّ تأثيثها بكل أناقة. وعندما تأملت المكان جيدًا وجدت أريكة طويلة موضوعة إلى جوار المكتب في إحدى الزوايا، والتي تمَّ استخدامها كفراش بينما ترقد امرأة ما عليها.
-لم يكن بمقدوري تحديد ملامحها جيدًا في تلك اللحظة، فلم يكن هناك أي ضوء في الغرفة بأسرها إلا هذا المصباح الزيتي الأخضر والذي استقر واقفًا

في مكانه بكل ثبات حتى يمنع انعكاس وميض الضوء على نوافذ عينيها. كانت هناك مدفأة أيضًا والتي بدأت نارها تخبو تدريجيًا. كان بمقدوري رؤية تلك الضمادات البيضاء التي تغطي رأس المرأة ووجهها. حاولت أن أتحسس بأصابعي المفتاح الكهربائي وحينها صاحت المرأة قائلة:

-أرجوك لا تقم بتشغيل زِر الإضاءة، فالنور يؤلمني بشدة!

-وكيف رأتكَ وأنت تحاول تشغيل المفتاح الكهربائي وسط هذا الظلام الدامس؟، سأله باركر في دهشةٍ بالغةٍ

-في الواقع لا أعرف، فقد كان ذلك أمرًا غريبًا في حد ذاته، فالمرأة لم تتحدث إليّ مُجددًا حتى إنني لم أُصغِ إليها وحاولت تشغيل الزِر الكهربائي مرة أخرى ولكن لم يحدث شيء على الإطلاق، فلم يعمل أيضًا.

-حقًا؟

-أجل يبدو أنه كان مُعَطلًا. على أية حال لم أتفوَّه بحرف، وتوجهت إلى الفراش ثم وجدتها تهمس قائلةً:

-هل أنت المُحامي؟

-أجل، قلتها على الفور وسألتها إن كان هناك شيءٌ ما يُمكنني تقديمه لها.

-أجل، لقد تعرضت إلى حادثة رهيبة ولن أعيش طويلًا وأريد حقًا أن أكتب وصيتي بسرعة.

سألتها إن لم يكن هناك أحد على الإطلاق يعيش معها.

-أجل، لقد ذهبت خادمتي منذ دقيقة للبحث عن الطبيب

-ولكن أليس من الغريب أن تتركك الخادمة بمفردكِ هكذا بتلك الحالة؟، سألتها مُستفسرًا

-لا تقلق بشأن هذا أيها المُحامي، فلم يعد يتبقى لي الكثير. كما أنها سوف

تُسرِع بغية القدوم إلى هنا. أرجوك لا تهدِر مزيدًا من الوقت. يتعيَّن عليّ كتابة وصيتي الآن.

لقد تحدثت المرأة بأنفاسٍ لاهثة، وحينها اعتقدت أن أفضل شيء يمكنني فعله في تلك اللحظة هو أن أقوم بتنفيذ ما أرادته خوفًا من إنهاكها أكثر. قمت بجذب أحد كراسي الطاولة، ثم مددت يدي لأُمسِك بقلم وورقة وتأهبت مُتخذًا وضعية الجلوس حتى أقوم بتنفيذ تعليماتها. وقبل أن أشرع في مواصلة الكتابة طلبت مني المرأة أن أمنحها كوبًا من النبيذ والمياه. قمت بذلك بالفعل وتناولت رشفة واحدة والتي بدت وكأنها هدأت من روعها قليلًا. أعدتُ زجاجة النبيذ إلى مكانها السابق على الطاولة، وفي تلك اللحظة على وجه التحديد طلبت مني السيدة أن أصب لنفسي كأسًا. سعدت بطلبها بشدة فلقد كان الطقس باردًا جدًا وكنت أشعر بالحاجة المُلِحَة إلى تناول كأسٍ من النبيذ حتى أحظى ببعضِ الدفء. ناهيك عن أنني بدأت في البحث عن أكوامٍ إضافية من الفحم من أجل إحماء النار لكنني لم أعثر على أي شيء.

-حسنًا هذا مُثير للغاية، قالها باركر مازحًا مُصيخًا السَمع إلى المحامي.

-في الواقع يا سيد باركر لقد كانت ليلة غريبة على كافةِ المستويات، فكلما تأملت شيئًا ما وجدته غائبًا عن المشهد وهذا بدوره يشمل الِأنوار، والفحم وغيرها لكنني لم أُطل التحديق في ذهول، فالحكاية كلها بشكلٍ عام كانت أغرب من الخيال، وعليه فقد تأهبت لكتابة وصية السيدة مُنتظرًا بفارغ الصبر الحصول على تعليماتها المُرتَقبة

نظرت إليّ المرأة المسكينة قليلًا ثم قالت:

-ربما تظن أنني مجنونة لأن رأسي يؤلمني، لكنني عاقلة جدًا ولن أسمح له أن يأخذ قرشًا من مالي الخاص

سألتُ المرأة إن كان أحدهم قد قام بمهاجمتها، وحينها ردت:
-لقد ظن زوجي أنه قتلني ونال مني، لكني سأعيش لفترةٍ أطول لأمنعه من الحصول على أموالي. لن يتمكن من تحقيق هدفه الخبيث على الإطلاق.
أخبرتني السيدة المريضة في تلك اللحظة أن اسمها ماريون ميد وأنها ترغب في كتابة وصيتها لنقل ملكيتها وأموالها التي تبلغ إجمالي عشرة آلاف دولار، وأنها ترغب في توزيعها على ابنة وثلاث أو أربع شقيقات. لقد كانت وصية معقدة بعض الشيء حيث إنها شملت أطرافًا متعددة، كما أن السيدة الجالسة على فراشِ الموت كانت تتأهب حقًا لأن تمنح ابنتها الحصة الأكبر من الميراث من دون أن يحصل الزوج على أي شيء.
-هل يُمكنك تدوين أسماء وعناوين الأشخاص المَعنيين بذلك الأمر يا سيدي المُحامي؟، سألته المرأة
-لقد قمت بذلك بالطبع يا سيدتي، قلتها لها على الرغم من أني أعرف جيدًا أن مسألة تدوين العناوين والأسماء هكذا بتلك الصورة لن تُجدي أي نفع، فالأمر برمته يتوقف على الانصياع لتنفيذ أحكام الوصية ذاتها.
لم أرغب في إثارة هذا الموضوع برفقتها، فقد بدت مُنهَكَة جدًا كما أن صوتها لم يرتفع عن مستوى الهمس، تمامًا كما تلك المرة التي طلبت مني فيها ألا أقوم بتشغيل زِر الإضاءة. وقد تمكنت في نهاية المطاف من إنهاء الوصية وبدأت بتدوينها على الورق. لم يكن هناك أية علامات على عودة الخادمة وبدأت أشعر ببعض التَوجُس فتلك البرودة القارسة أجبرتني على الجمود في مكاني بلا حِراك، كما أن موعد نومي قد مضى. ها أنا أشعر برغبةٍ مُلِحَة في النوم فإذا بيدي تمتد نحو الطاولة مُمسكةً بكوبٍ من النبيذ وها أنا أتناوله حتى أشعر ببعضِ الدفء ثم أمضي لكتابة الوصية وبعد أن أنتهي أقول لها:

-هل من الممكن أن تقومي بتوقيع تلك الأوراق يا سيدتي؟ كما أننا بحاجة إلى شاهد آخر حتى يصبح الأمر رسمياً أكثر.

نظرت إليّ المرأة بنصف عين، ثم تنهدت وقالت:

-ستصل خادمتي إلى هنا في غضون دقيقة أو دقيقتين. في الواقع لا أعرف ما الذي حدث لها وأخَّرها إلى هذا الحَد!

-ربما تكون قد ضلت طريقها وسط كل هذا الضباب في الخارج، قلتها لها ثم أضفت:

-لا بأس سأبقى برفقتكِ لبعض الوقت حتى تعود خادمتكِ، فلا يمكنني على أي حال أن أرحل وأتركَكِ على تلك الحالة.

شكرتني السيدة ثم جلست في حالةٍ من الصمتِ التام. عندما مر الوقت بدأت أشعر بحالةٍ من التوتر الشديد حيث بدأت السيدة العجوز تتنفس بصعوبة بالغة وتئن من آنٍ إلى آخر، وحينها غلبتني الرغبة في النعاس على نحوٍ ملحوظ. لم يكن بمقدوري أن أتفهم ذلك. حاولت التفكير في حلٍ سريع كمَخرَج من تلك الورطة ففكرت أن أذهب إلى سائق سيارة الأجرة- إن كان ما زال ينتظرني في الخارج - ويمكنني حينها استدعاؤه ليكون شاهدًا على تلك الوصية المكتوبَة. وربما حينها بعد الانتهاء من كافة الإجراءات وتوقيع الأوراق أذهب بدوري للبحث عن طبيب. أخذت أفكر في الأمر بيني وبين نفسي لفترةٍ لا بأس بها من الوقت من دون أن أنهض من مكاني وكأني أُمَرر الموضوع على عقلي أولًا، فقد كنت أرغب بشدة في النوم ولم أكن أقوى على الكلام. لقد حاصرني الخمول بطريقةٍ لا تُوصَف إلى هذا الحَد الذي جعلني مسلوب الإرادة بغتةً. ثم استيقظت فجأة وكأنَّ هناك شيئاً ما قد أعادني إلى رُشدي. استدارت السيدة ميد قليلًا ونظرت نحوي

مُباشرةً في ضوء مصباح الزيت وقد وضعت كلتا يديها على حافة الطاولة من أجل دعم نفسها، وفي تلك اللحظة لاحظتُ أمرًا هامًا وهو أنها لم تكن تضع خاتم زفاف في يدها اليُسرى، كما أنني رأيت شيئًا آخر فثمة ندبة غائرة خلف أصابع يدها والتي تبدو وكأنها آثار قوية عميقة على إصابةٍ ما. جلسَ باركر مُنتصبًا في كرسيه

-أجل، قالها السيد تريج مُضيفًا:

-أعرف أن وصف المشهد بشكلٍ تفصيلي على هذا النحو قد أثار بدوره اهتمامك يا سيد باركر، ولكن يتعيَّن عليّ القول إن كل ذلك قد أخافني بشدة وجعلني أسقط أسيرًا للرهبة في تلك اللحظاتِ المُحَددة، لقد كان المشهد برمته أقرب إلى الكابوس! لقد عانيتُ بشدة خلال جلوسي على المقعد وفجأة رن جرس الباب بصوتٍ مُدَوٍّ.

-هل كانت الخادمة؟، سأله المُحَقق باركر

-بل كان سائق الأجرة الخاص بي الذي أنهكه الانتظار قد عاد ليطمئن عليّ، وحينها فتحت له الباب وسمحت له بالدخول كما أنني دعوته إلى التوقيع على الوصية وقد لَبى الدعوة بكل سعادة. استجمعت شجاعتي لاحقًا لأطلب منه أن يشهد على تلك الوصية أيضًا. أعتقد أنني كنت أتصرف بطريقةٍ غريبة للغاية في تلك الليلة نتيجة لكل هذا الكَم من النبيذ الذي تناولته، حتى إن السائق بدأ يُحاصرني بالنظراتِ التي تحتلها الدهشة، وعلى أي حال فقد قام بتوقيع الأوراق بعد السيدة ميد التي كتبت اسمها بخطٍ ركيك ثم عانت الأمرين حتى تعود إلى وضعيتها السابقة مُجَددًا.

-ما الذي يتعيَّن عليّ القيام به الآن يا سيدي؟، قالها سائق سيارة الأجرة.

-خُذني إلى المنزل فورًا، قلتها له بينما كنت أقف مُترنحًا في مكاني من فرط السُكر.

-ولكن يا سيدي هل سنغادر ونترك تلك السيدة المريضة وحدها؟

-خُذني إلى المنزل أولًا، ثم عُد مُجَددًا لإحضار الطبيب لها، قلتها في ارتباكٍ واضح حيث إنني لم أكن قادرًا على أن أتمالك نفسي على الإطلاق. سمعت السائق يُغَمغم بصوتٍ خفيض لكني لم أنتبه إلى كلماته. وعندما ركبت السيارة برفقته لم أشعر بأي شيء حتى وجدت نفسي في صباح اليوم التالي مُستلقيًا في فراشي مُحاطًا بعددٍ من الأطباء المحليين.

-أخشى أن تكون القصة طويلة ومُملة، ولاختصار الوقت يمكنني إيجازها في أن سائق التاكسي قد قام بنقلي إلى منزلي بنفسه بعدما لاحظ كل هذا التعب والإنهاك الذي تعرضتُ له تلك الليلة، حتى إنني أفرطت في تناول الخمر وفقدت السيطرة على نفسي وبدأت أتحدث بشكلٍ فوضوي عجيب لم يره سائق السيارة في حياته من قبل. لذا فقد حملني إلى شقتي واتصل بالطبيب.

-عندما فحصني الطبيب اكتشف أنه تم تخديري بمادة الفيرونال أو بشيء من هذا النوع، ولحُسن الحظ أنني لم ألقَ حتفي لأني تناولت كمية قليلة من تلك المواد المخدرة التي تم وضعها داخل زجاجة النبيذ. فعلى الرغم من صعوبة إجراء تحليل لتلك المادة إلا أن الطبيب أخبرني أنه قد تمَّ وضع 30 حبة مُخَدِر لي في النبيذ، ثم بدأ يتأمل الموضوع من كافةِ الجوانب قبل أن يتوصل بدوره إلى استنتاجه الخاص.

توجهنا إلى ذلك المنزل المجهول في اليومِ التالي ولكن ما وجدناه كان صادمًا! فقد كان المكان مُقفلًا مهجورًا كما أن بائع الحليب قد أخبرنا أن سُكان المنزل قد رحلوا بعيدًا لمدة أسبوع، وأنهم اعتادوا السفر من آنٍ إلى آخر بشكلٍ

دوري. سمح لنا البواب بالدخول لتَفقُد الأمر على حقيقته، وقد فتش في أرجاءِ المكان لكنه لم يجد سوى بعض المتعلقاتِ المسروقة كالأقمشة والوسائد التي تمَّ أخذها من غرفة المعيشة بالإضافة إلى أكوامٍ من القمح اختفت بغتةً بعد سفر أفراد العائلة إلى الخارج. تدخَّل الرجل وقامَ بجذب سكين وحاول فتح نافذة القبو المُغلَقَة بكل ما استطاع من قوة ثم عثر هناك على مجموعة من زجاجات النبيذ المُعتَق لكنها كانت خالية تمامًا من تلك المواد المخدرة سابقة الذكر.

-ألم يسمع أحدهم بعد ذلك عن السيدة ميد أو السيدة جرانت؟

-في الواقع لا يا سيد باركر، لم أسمع عنهما أي شيء مُجَددًا. كما أن ذلك الحادث الغريب من نوعه الذي قد وقع في هذا المنزل ظل مُبهمًا غامضًا على هذا النحو، حيث إننا لم نجد له أي تفسير مُستقبلي آخر. فما فهمناه جيدًا أنه ما من تبريرٍ على الإطلاق! كما أن الشرطة لم تتخذ موقفًا فعلى أية حال أنا لم أُقتَل! بل كانت الجريمة كلها تتمثل في اختفاء بعض المفروشات والفحم فقط! فليس هناك داعٍ لإثارة الجلَبَة وعلى هذا فقد تم إغلاق ملف هذه القضية نهائيًا. كانت تلك مُغامرة غير سعيدة بالنسبة لي.

-ألم تتصل بك السيدة جرانت مرةً أخرى؟، سأله باركر

-أجل لقد اتصلت بي مرتين، مرة بعد ثلاثة أشهر، والمرة الأخرى منذ أسبوع تقريبًا وأرادت الحصول على موعد، قد تظن أن ما سأقوله الآن تعبيرٌ عن جُبني الشديد أيها المُحقق، لكني بدأت أشعر بنذير شؤم كلما حدثتني تلك المرأة. فكلما هاتفتني شعرت بأن شيئًا ما على وشك أن يحدث! فقد كانت تلك الليلة المُريعة التي قضيتها في المنزل المجهول كفيلة بإثارة الظنون بالنسبة لي. هل تصدق يا حضرة المُحَقق أن هذا الموقف قد أثر عليّ كُليًا وجعلني

أطلب من الخدم والموظفين إخبار السيدة جرانت إذا اتصلت في أي وقت أنني لست هنا! أصبحت حينها مهووسًا بتلك الفكرة بطريقةٍ مرضية!

-هل تعتقد أنها لاحظت انتباهك إلى ندبة يدها اليُسرى؟

-كلا، أنا واثق أنها لم تنتبه إلى هذا الأمر

-أشكرك جدًا أيها المحامي. في الواقع أُقَدِر للغاية تلك المعلومات التي قدمتها إليّ، هل تعرف من أين كانت السيدة جرانت تتحدث إليك؟

-أجل لقد كانت تتصل بي عبر أكشاك الاتصالات العامة في كل وقت.

-وكيف عرفت ذلك؟

-كنت أسمع صوت عامل الاتصالات عبر المكالمات والذي كان يؤكد دومًا أن الاتصال قادم من كابينة عامة. كان هذا الدليل الوحيد فلم تكن لديّ خاصية تَعَقُب المكالمات.

-حسنًا، هل لك أن تعدني أنها إذا اتصلت مُجَددًا ستحصل على موعد معها وستخبرنا بذلك لاحقًا؟ فإذا هاتفتَ شرطة سكوتلاند يارد ستجدني بالطبع.

قطعَ له المُحامي السيد تريج وعدًا أنه سيفعل ذلك، وحينها تأهَّب المُحقق باركر للمغادرة.

عندما عاد باركر إلى مكتبه بدأ استخباراته الخاصة ليعرف عدد البنات الشقيقات اللواتي يسكنَّ في تلك البلدة. أراد أن يقوم بإعداد حَصر لأسمائهن في عام 1925، ثم قام بمراسلة السيدة كليمبسون مرشدتهم الخاصة الموجودة في المدينة ليسألها إن كانت الآنسة ماري ويتكار تملك ندبة في يدها اليُسرى.

الجزء الثالث

مشكلة الطب الشرعي

الفصل التاسع عشر

"الوصية هي تلك الخدعة التي لا تعود بالخيرِ أو الشَر على أي أحد على الإطلاق."

أبكتيتوس

-أعتقد أن هناك شيئاً غامضاً يُحيط بكلِ هؤلاء الأشخاص الذين يتوجب عليهم الإدلاء بإفاداتهم وبشهاداتهم فيما يخص قضية أجاثا داوسون. فكلما يحين موعد حديث أحدهم وتقديمه لاعترافاته الخاصة إزاء هذا الحادث يختفي بغتةً في ظروفٍ غريبة لا مُبَرر لها. فلقد ماتت بيرثا جوتوبيرد فجأة من دون وجود أسباب منطقية لموتها هكذا وسط الغابات المُنعزلة، كما أن شقيقتها تعتقد أنها قد رأت الآنسة ماري ويتكار في محطةِ قطار ليفربول! أضِف إلى ذلك ما حدث للدكتور تريج حيث اصطحبه أحدهم إلى منزلٍ مجهول يُحيط به الغموض ليقضي ليلة عجيبة وكذلك محاولة التخدير التي تعرض لها لتوّه. أتساءل ما الذي كان ليحدث للسيد بروبين لو كان ظل ماكثًا في إنجلترا من دون أن يُغادر البلاد كما فعل؟، قالها المُحَقق اللورد بيتر ويمسي في فضولٍ واضح

-في الواقع لا يُمكنني إنكار أي شيء مما قُلته للتو يا بيتر، قالها المُحَقق تشارلز باركر مُضيفًا:

-لكني أريد أن أوضح لك معلومة مهمة جدًا، وهو أنه خلال أحداث واقعة عائلة جوتوبيرد كانت المُشتبَه بها برفقة جارتها وصديقتها المُقربَة فيرا فيندلاتر في جولة إلى المدينة، والتي أكدت لمرشدتنا الخاصة السيدة كليمبسون أنها لم تُغادرها للحظة.

-مع كامل احترامي لرأيك يا عزيزي المُحَقق باركر، لكني تسلمت اليوم بدوري خطابًا من مرشدتنا السيدة كليمبسون والذي أكدت فيه أن هناك ندبة غائرة على يد الآنسة ماري ويتكار اليُسرى، والتي تُشبِه تلك التي وصفها المُحامي تريج في أقواله.

-حقًا؟ هل معنى ذلك أن الآنسة ماري ويتكار متورطة فيما حدث للسيد تريج؟ ولكن هل ترمي بأقوالك تلك إلى أنها تحاول الدفع بعيدًا بأي شخص يعرف أية معلومة تخص السيدة أجاثا داوسون؟ ولكن ألا تعتقد أنها مهمة فضفاضة بعض الشيء بالنسبة لفتاة واحدة كتلك؟ وإذا كان الأمر كذلك حقًا فلماذا لم تفكر ماري ويتكار إذن في القضاء على الدكتور كار؟ أو الممرضة فيلتر؟ أو الممرضة فوربس؟ وماذا عن الطبيب شابي أيضًا؟ وبقية سُكان مدينة ليمبتون إذا وصل الأمر إلى هذه الدرجة؟

-تلك القضية تشهد جانبًا مؤكدًا من التعقيد الذي لا يحتمل الشك على الإطلاق. أعتقد أنني أعرف السبب، فنحن أمام مشكلتين مختلفتين. أما الأولى فهي التي تتعلق بالمشكلة القانونية، وأما الثانية فهي الطبية، وهذا بدوره يشمل الدافع والوسائل التي أجبرت أحدهم على الإقدام على تلك الخطوة. وعليه يمكننا الإشارة بأصابع الاتهام إلى شخصين على وجه التحديد وهما الآنسة ماري ويتكار والممرضة فوربس. وما أظنه أنه لا علاقة للطرف الثاني المُمَثَل بالممرضة فوربس بتلك القضية، فلماذا ستقوم بقتل مريضتها المسكينة الطيبة من دون وجود دافع منطقي؟ وعلى هذا فإنه يجدر بنا استبعادها من ارتكاب تلك الجريمة. أما بالنسبة إلى المشكلة الطبية فلم يكن هناك أية دلائل على وجود شيء كهذا مما يجعلني أشعر بالحيرة والارتباك عند تأمُل حيثيات تلك القضية.

نظر اللورد بيتر ويمسي بعيونٍ غاضبة مُتأملًا أرجاء الغرفة ثم هتف بغتةً:
-أعرف أن تلك القضية معقدة وشائكة، لكني أعرف أن حلَّ لغزها لن يستغرق بدوره الكثير من الوقت، قالها بنبرةٍ واثقة ثم أضاف:
-أقسم لك بشرفي يا باركر إنني سأبذل قصارى جهدي من أجل حل تلك الأزمة في أقربِ وقت، فأنا أشعر فعلًا أنني أتلاعب بخيوطِ اللعبة من دون أن أدري، وسوف تنكشف المسألة من تلقاءِ ذاتها بسرعة. فما أحاول تحقيقه في الوقتِ الراهن هو أن أبدأ خوض رحلتي الخاصة في مُراقبة الآنسة ماري ويتكار والتي أظن أنها المتورط الأول في تلك القضية برمتها.
-ولكن ما سِر. تلك الثقة أيها المُحَقق بيتر؟ فربما لم تقم ماري ويتكار بأي شيء! ربما لم يكن هناك جريمة أصلًا، فما كشفته التحريات حتى الآن يؤكد أن السيدة أجاثا داوسون ماتت بطريقةٍ طبيعية بحتة تخلو من أية إشارة توحي بوجود جريمة قتل!
-هل هناك أية أخبار جديدة عن السيدة كروبر شقيقة بيرثا جوتوبيرد يا سيد باركر؟، سأله اللورد بيتر ويمسي مُتجاهلًا ما قاله للتو
-في الحقيقة لقد غادرت السيدة كروبر البلاد مُتجهةً إلى كندا حيث تقيم برفقة زوجها، كما أننا علمنا من مصادرنا أنها سافرت إلى هناك فجأة ومن دون أية مقدمات تُذكَر!
-أشعر أن ماري ويتكار وراء هذا السفر المُفاجىء بشكلٍ أو بآخر!، قالها المُحَقق بيتر ويمسي
-ولماذا قد تتدخل ماري ويتكار في تلك المسألة يا بيتر؟ أعتقد أنك تُبالغ قليلًا فأنت تضعها كعامل رئيسي تَسَبَب بدوره في تلك الجريمة. أريدك أن تتوخى الحذر يا عزيزي وتُعيد حساباتك جيدًا، فكما تعرف لا ينبغي لنا

كمُحققين العمل بتلك الآلية غير الموضوعية لأننا حينها سنفقد القدرة على إكتشاف سِر القضية. فربما سافرت الآنسة كروبر إلى بلدتها بعد أن أصابها السأم والضجر نتيجة التفاعُل مع كل تلك الأحداث التي وقعت مؤخرًا. فلا أعتقد أنه يجدر بنا أبدًا الانسياق وراء تلك الاستنتاجات هكذا من دون التأكُد مما تحمله بداخلها.

أمسك المُحَقق بيتر ويمسي بهذا الكتاب الموضوع على طاولة مدخل مكتب رفيقه المُحَقق تشارلز باركر، وبدأ يتصفحه ثم قال:

-حسنًا يا عزيزي باركر، احرص دائمًا على إبقائي مُطَلِعًا على الأحداث، قالها بحذرٍ بالغ مواصلًا تَصَفُح الكتاب الذي كان بين يديه، ومن ناحيته قال باركر:

-فيْ الواقع يا عزيزي بيتر لقد بدأت في فحص كافة الأدلة والبراهين التي عثرنا عليهاْ حتى الآن. ويمكنني القول إنني لا أجد أبدًا أي مُبَرر منطقي لقيام أحدهم بارتكاب تلك الجريمة من الأساس! فليس هناك أي حافز يضطر أحد الممرضين أو الأطباء المُشرِفين على الحالة إلى الإقدام على خطوة عجيبة كتلك! على النقيض فكل ما تمَّ اكتشافه يُفيد أنه ليس هناك ما يجعلنا نعتقد أن الحادث مُدبرٌ، فالدافع الخاص بالآنسة ماري ويتكار ضعيف جدًا وغير منطقي، وهذا بدوره يجعلنا نتساءل: ولماذا قد تُبادر المرأة الشابة بالقيام بذلك بينما لا تحتاج أصلًا إلى المُجازَفَة فهي الوريثة الشرعية الوحيدة للسيدة داوسون العجوز! فلماذا إذن قد تفعل ذلك؟!

-ربما لأنها هي مَن تُخَطط لإغلاق فم كل مَن يجرؤ على التَحَدُث في تلك القضية مثلًا! ربما لأنها تود جاهدةً إخفاء آثار جريمتها بهذه الطريقة؟، قالها اللورد بيتر ويمسي مُتَهكمًا

-يا سيد بيتر، أفهم جيدًا ما ترمي إليه بكلماتك تلك، لكن دعني أُخبرك أن مَن شاهدوا السيدة كروبر وهي تُغادر مُتجهةً إلى محطة القطار اليوم أكدوا أنها كانت بحالٍ جيدة، ولم يكن هناك أية علامة اضطرابٍ أو ارتباكٍ عليها، فمَن قال إذن إن الآنسة ماري ويتكار هي مَن تَسَببَت في رحيلها على نحوٍ مُباغت؟ أضِف إلى ذلك أننا لا نملك أي دليل يُفيد بأنها قد تورطت في ذلك.

-ومع هذا كله يا باركر فإن رحيلها سِرًا هكذا ــــ ومن دون لقائنا كما رتَّبنا معها في المرةِ الأخيرة ــــ خير دليل على أن أحدهم كان يضعها تحت المُراقبة! فلا يمكننا نفي تلك الحقيقة، فالسيدة كروبر شقيقة القتيلة بيرثا جوتوبيرد التزمت الصمت طيلة الفترة الماضية ولم تتحدث إلى أي أحد على الإطلاق بخصوص تلك الواقعة إلا عندما قمنا بالتحقيق معها، وبعدها بوقتٍ قصير تُسافر المرأة في ظروفٍ غامضة، ألا يعني ذلك أي شيء بالنسبة لك أيها المُحَقق؟!

-ولكن.... قالها تشارلز باركر ثم قاطعه بيتر قائلًا: •

-دعك من هذا كله يا باركر، ولا تنس أنه ما من أحد منا كان يعرف شكل الآنسة ماري ويتكار التي ربما كانت بيننا ونحن لا نعرف! فربما كان السبب في كل ذلك هذا الإعلان الذي قام ماربلز بنشره في الجريدة لخدمة غرض القضية الجنائية كما اتفقنا معه في السابق.

-وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا برأيك لم تحاول الآنسة ماري ويتكار التَخَلُص نهائيًا من ماربلز نفسه؟ أو لماذا لم تحاول قتلك شخصيًا لتقوم بإغلاق هذا الملف نهائيًا، فأنت مَن تُثير الضجة حولها مؤخرًا!

-يا عزيزي باركر من فضلك ضع في اعتبارك أن السيد ماربلز ــــ على

سبيل المثال ـــــــ رجل ذكي ماكر ذو خبرة، كما أنه يتوخى الحذر على الدوام كما تعرف، فهو لا يواعد نساء غريبات بالإضافة إلى أنه لا يقبل أية دعوات مجهولة المصدر.

-أوه!، في الواقع لم أكن أعرف أن ماربلز يتعامل مع المسألة بجديةٍ بالغة على هذا النحو!

-إنه كذلك يا عزيزي، فلقد تعلَّم السيد ماربلز جيدًا من واقع خبرته أن ينأى عن كل تلك الخدع والحيل التي من شأنها الإطاحة به. كما أنني أود أن ألفت نظرك إلى شيءٍ مهم جدًا ربما لم تنتبه إليه بَعد، ألم تُلاحظ أن تلك المُغامرة التي قد تعرَّض إليها السيد تريج في منزل المرأة الغامضة صاحبة الندبة كانت أقرب إلى تلك التجربة التي تعرضتُ إليها بدوري في تلك الليلة التي قضيتها برفقة السيدة فورست في منزلها الواقع بشارع أودلي؟

-أجل، ولكن ما وجه الشبه بين الواقعتين؟

-الأمر في غاية الوضوح يا عزيزي، فالموعد السِري وتناول الخمر الذي تمت إضافة المواد المُخَدِرَة إليه بمثابة ذلك الشيء المُشترك بين الواقعتين. فكما كشف تحليل الخمور أنَّ هناك خطباً ما، فالمسألة أقرب إلى مكيدة أو مؤامرة مُدَبرَة!

-هل تعتقد إذن يا بيتر أن السيدة فورست شريكة في تلك الجريمة؟، سأله تشارلز باركر

-لا أعرف ولكن لِمَ لا؟ فمن المؤكد أنَّ ثمة مصلحة مُشتركة تجمع بين السيدتين، ربما كل ما ستحصل عليه السيدة فورست من خلال تلك التجربة هو المال مثلاً! لا تنس يا عزيزي أيضًا أن تلك الفاتورة التي عثرنا عليها بدورنا إلى جوار جثة الآنسة بيرثا جوتوبيرد خير دليل على تورطها في تلك

الحكاية. كما أن هذه القصة التي قامت بسردها على مسامعنا تبدو مُفبركة بالنسبة لي، فهي لم تُقنعني بالمرة. أتعرف؟ أنا واثق أن هذه المرأة لا تملك حبيبًا أصلًا وأن ما أخبرتنا به مجرد كذبة. كما أني أشك أيضًا في مصداقية حكايتها مع زوجها! هناك شيء آخر تُحاول السيدة فورست إخفاءه بعيدًا عن الأنظار قدر الإمكان.

صمت المُحَقق باركر لبعضِ الوقت وكأنه يُحاول جاهدًا استيعاب ما يقوله صديقه المُحَقق بيتر ويمسي ثم أضاف الأخير:

-يمكنني الحكم على القضية برمتها من واقع تأمُّل كافة الآثار الناجمة عن ارتكاب الجرائم ومُتابعة مُلابساتها، فإنني أؤمن تمام الإيمان أن كل هذه القضايا قد اشتركت في عددٍ من الأمور. فمثلًا دائمًا ما يكون هناك يَد خفية أو شريك في الجريمة والذي يغيب بدوره عن المشهدِ ككل ويُمكنك الكشف عن هويته. ففي القضايا التي تولَّيتها خلال الفترة الماضية مثل قضية جورج جوزيف سميث ونيل كاريم والسيد أرمسترونج، فكل تلك القضايا الجنائية اشتركت في نفس السمات العامة، فما تعلَّمته من خلالها هو أنه كلما كان هناك شريك في الجريمة كلما بدت الجريمة أكثر اكتمالًا. أعتقد أيضًا أننا قد أحرزنا تقدمًا مُدهشًا في تلك النقطة لأن المُشتَبه بهم لن يعرفوا أبدًا أننا قد تعرفنا على سبب اتصالهم معًا.

-حسنًا يا عزيزي، ولكن اسمح لي أن أقول لك مُجددًا إننا لا نمتلك أي دليل مادي حتى هذه اللحظة يوحي بارتكاب أي جريمة على الإطلاق، فلم يترك المجرمون أي أثر وراءهم كما تقول!

-يسعدني أنك تفضلت بإثارة هذا الموضوع يا صديقي العزيز، أتعرف السبب؟ حسنًا سأكشفه لك. فعندما تتبع الأشخاص المُشتَبه بهم بشكلٍ

مُنفصل سوف تتوصل بدورك إلى إيجاد تفسير لكل ما قلته، فالضحية الأولى مثلًا وهي السيدة أجاثا داوسون كانت امرأة عاجزة ومريضة، وأما الضحية الثانية وهي الآنسة بيرثا جوتوبيرد فقد أنهكتها وجبة ثقيلة وزجاجة نبيذ مجهولة المصدر، كما أن المحامي تريج قد تناول جرعة من المواد المُخدرة التي أجبرته على النوم! أضِف إلى ذلك أنني أيضًا تعرضت إلى نفس تجربة التخدير تلك خلال تلك الليلة التي قضيتها في منزل السيدة فورست، فهل يمكننا الآن تجاهل كل هذا الكم من الأحداث لنعتبرها مجرد مُصادَفَة ليس أكثر؟

-أوافقك الرأي أن المزيد من الأحداث قد وقعت لتوها خلال فترة قصيرة، مما جعل المسألة تدور في إطارٍ من الغموض. لكني أريد أن أسألك إن كنتَ ترمي إلى أن الجرائم المُرتكبة كلها قد استهدفتْ بدورها شخصًا عاجزًا غير واعٍ؟

-بالطبع يا عزيزي باركر فهذا ما أقصده بالضبط، فقد تمَّ ارتكابها بطريقةٍ أقرب إلى الحَقن تحت الجلد، فهو شيء يخلو من أية آثارٍ جانبية، فلا يمكن لأحد أن يعرف مثلًا أن ثمة مريضاً ما تمَّ حقنه أسفل الجلد! فالمسألة أشبَه بالمعجزة لأنه من المستحيل التَعَرُف عليها! فهي أقرب كذلك إلى إحدى عمليات حقن أحدهم بمادة الكلور فورم التي تجعله يختنق على الفور من دون أن يعرف أحدهم أنه قد تمَّ حقنه بها!

-ومع هذا كله يا عزيزي بيتر، فنحن ما زلنا أمام لغز واضح لا يُتيح لنا الحق في أن نقول شيئًا أبعد من ذلك، قالها باركر غاضبًا

-وما رأيك في هذا السيناريو الذي يقول إنه ربما قامت الآنسة ماري ويتكار باعتبارها ممرضة سابقة مُتمرسَة بتخدير عمتها الكبرى السيدة أجاثا داوسون؟

-ومَن قال إنه بمقدور المُمرضة القيام بأمرٍ كهذا يا بيتر؟ على أية حال فهي مجرد ممرضة عادية وليست طبيبة! أعتقد وحدهم الأطباء يتمكنون من تخدير المرضى.

-يتعيَّن علينا إذن أن نتأكد من تلك المعلومة عن طريق الطبيب كار.

-لا أعرف إن كان بمقدورنا التواصل معه الآن، أم أنه من الأفضل أن نتصل بالطبيب لوبوك المُشرِف على معمل التحليل الجنائي! فمن المفترض أنه يعرف المعلومة الأكيدة التي تخص إن كانت المُمرضة العادية تمتلك القدرة على تخدير أحد المرضى أم أن الأمر قاصر على الطبيب فقط؟

-حسنًا يا عزيزي سوف أتواصل معه غدًا، قالها باركر

-وهل سننتظر كل هذه الفترة حتى تقع جريمة قتل أخرى إضافية خلال فترة انتظارنا تلك؟

-يجدر بنا ذلك أيها المُحَقق، فربما نعثر على أية معلومة من خلال لقائنا بالأطباء أو بالممرضات.

-تلك الجريمة في غايةِ البشاعَة حقًا يا عزيزي المُحَقق. إنني أشم رائحة دماء السيدة جوتوبيرد حتى الآن! فهناك أصابع خفية قد تورطت في الواقعة. أعتقد أن ما ينبغي علينا فعله الآن هو أن نبدأ في استدعاء المُحامي السيد تريج والتحقيق معه فيما يخص المواصفات الشكلية لتلك المرأة التي قامت بتخديره أثناء وجوده في منزلها. نحن بحاجة لأن نعرف عنها ما هو أكثر من إصابتها بتلك الندبة. فمن الطبيعي أنه تأمَّل ملامح وجهها جيدًا خلال تلك الفترة بما أنه التقاها مرات كثيرة في عدة مناسبات، فسوف يساعدنا ذلك على كشف حقيقة هوية الآنسة ماري ويتكار. فحينها سنعرف حقًا إن كانت هي مَن خططت لكل ذلك أم لا؟

-بالطبع يا عزيزي، أعتقد بالفعل أن السيد تريج سوف يزودنا بالمزيد من التفاصيل فيما يتعلق بتلك النقطة. كما أنه بإمكاننا أيضًا استدعاء سائق التاكسي للإدلاء بأقواله التي من المحتمل أن تشتمل على الكثير من المعلومات المطلوبة.

دخَّن باركر سيجارته لبضع دقائق.

-أعتقد أن الأمر يستحق العناء، فمن المفترض أن نضع تلك التفاصيل بين يدي السلطات الرسمية لكنه لا يتعيَّن علينا الإسراع إذا أردنا أن نصل إلى نتائج سليمة مُزَودَة بالبراهين والأدلة. فالحكاية كلها بحاجة إلى البحث الدؤوب المُستمر وراء كواليس الجريمة وأبرز الأسباب التي دفعت بها إلى تلك المنطقة تحديدًا.

استمر الحال على هذا المنوال لفترةٍ طويلة جدًا قضى خلالها السيد باركر ساعاته في التحقيقات خلال شهر يونيو، وفي تلك الفترة الحرجة تحدثت الصحافة كثيرًا عن عددٍ من الجرائم التي تخص المرأة، والتي كشفت أبرز الصحف لاحقًا أن مَن قام بها نساء، مما جعل الجميع ينتبهون إلى تلك القوة الماكرة التي تُحرِك معظم النساء في المجتمع وتدفع بهنَّ إلى ارتكاب الجريمة.

جدير بالذكر أن المُحقق بيتر ويمسي كان يُتابع تلك القراءات بكل اهتمامٍ وشغف، فلقد اتَّضح لاحقًا أن دوافعَ ومُبررات ارتكاب تلك الحوادث كانت تجمعها صفات مُشتركة، وحينها أصرَّ اللورد بيتر على تدوين كافة ملاحظاته على الورق حتى يتسنى له التَعَرُف على آليات ارتكاب الحوادث لمُحاولة حل شفرة هذا اللغز الذي يُشرِف عليه بدوره.

لقد وقعت الكثير من الجرائم التي كان للبطولة النسائية دورٌ قويٌّ لا يُستهان به فيها، فقد قرأ المُحقق عن حوادث دبَّرتها نساء ماكرات في اليونان ولندن

وموسكو وغيرها من الأماكن النائية المُنعزلة. وقد اندهشَ كذلك كيف يمكن لامرأةٍ عادية رقيقة الحِس التخطيط لحادثٍ بالغ الخطورة؟!

أصدرت جامعة أكسفورد بعدها بفترةٍ تقريرًا يُفيد بأن النساء خطيرات، تلك الكلمات القليلة الموجزة التي شكلت بدورها ثورة حقيقية في أذهان رجال التحقيق جعلتهم يعكفون على بحث أسباب المرأة لارتكاب الجريمة بشكلٍ عام. ومن هنا كانت نقطة الانطلاق الفعلية للمُضي قُدُمًا في هذا الميدان.

على الجانب الآخر واصلَ المُحَقق اللورد بيتر ويمسي جهوده الدؤوبة في تحليل تلك العينات من المواد المخدرة التي تمت إضافتها إلى زجاجاتِ النبيذ. وقد تبيَّن لاحقًا من خلال تلك الجولة البحثية التي قام بها خادم المُحَقق تشارلز باركر الذي يُدعى "بانتر" أن تلك المادة المخدرة هي التي تؤدي بدورها إلى ما يُسمى بالموتِ المُفاجىء. كما أن الأخير قد انضم إلى كتيبة من الباحثين والمُحَللين الذين قد أكدوا له تلك النتيجة بالفعل، فالمادة قوية جدًا إلى حد التأثير الفوري المؤدي إلى إنهاء حياة الإنسان في طرفةِ عين، وهذا ما أكده خبراء معامل التحليل الألمانية. من ناحيته واصلَ السير جيمس لوبوك رحلته الخاصة في طرح المزيد من الاستفسارات التقريرية التي تتعلق بقضية تشريح الجثة، حتى إنه أنهَك صاحبنا السيد بيتر ويمسي بطرح الأسئلة وبتسجيل الملاحظات المختلفة.

قال المُحَقق بيتر في غضبٍ واضح خلال مُحادثته مع رفيقه رجل الشرطة:

-أكاد أُجزم أن عملية القتل قد تمت بدورها من دون ترك أي أثر بشكلٍ مُتعمد. لكن من المفترض أن يبذل العلماء والباحثون المُشرفون على القضية الجنائية جهدًا أكبر حتى نتمكن من فك طلاسِم هذا اللغز، فمن المؤكد أن هناك آثارًا خفية إذا حاولنا إمعان النظر سندركها ونتعرف عليها بدورنا.

-في الواقع يا بيتر إن صعوبة الأمر كله تتمثل في نقطة تفصيلية مُحَددة، والتي تؤكد استحالة إخضاع بعض المواد المُخدرة للتحليل، فهناك الكثير من النتائج العملية التي أكدت صعوبة إخضاع مواد مثل الزرنيخ مثلًا أو مادة الإستريكن السامة للتحليل الجنائي في الوقتِ الراهن، وعلى هذا يتعذر على رجال البحث الجنائي والتحقيقات تأكيد أمرٍ كهذا على أية حال. وهذه هي الإشكالية الحقيقية التي نقف أمامها.

-في الواقع نحن نتوق شوقًا إلى معرفة نتيجة المعمل الجنائي، وربما يكون بمقدورنا البحث عن باحثين يُمكنهم العمل على تلك النقطة

-أنت لا تفهم طبيعة المشكلة عزيزي المُحَقق. فالأمر وما فيه أن هناك الكثير من السموم والمواد المخدرة التي لا تترك بدورها أية آثار يُمكن رؤيتها والتَعَرُف عليها من خلال تقارير تشريح الجسد الطبية. فهناك الكثير من القضايا التي اعتمدنا فيها على إجراء الاختبارات الدقيقة حتى نتيقَّن من إمكانية إخضاع بعض المواد المخدرة للفحص، لكننا لم نستطع بأي صورة التوصل إلى نتيجة فعلية أكيدة. فلم يكشف الاختبار عن أي شيء على الإطلاق، فبعض المجرمين يتعمدون استخدام أنواعٍ مُحَددة من السموم، والتي يستهدفون من خلالها قتل الضحية من دونً ترك أثر لجريمتهم النكراء. ومن أبرز تلك المواد السامة التي تُستخدم لهذا الغرض الزرنيخ، وغيرها من المواد التي لا يمكن إخضاعها بأي شكل إلى أي اختبار حقيقي.

-أعرف ذلك، قالها المُحقق بيتر ويمسي في استياءٍ ثم أضاف:

-ما أعرفه جيدًا الآن هو أنه يجدر بنا بذل كل ما في وسعنا لنُلقي نظرة على تاريخ الحالة بشكلٍ عام، لنتعرف على الأعراضِ العامة للقضية وأبرز خطوطها العريضة.

-هل أنت واثق من مسألة اختبارات السموم سابقة الذكر تلك؟
-بالطبع يا سيدي المُحَقق، فنحن نعتمد اعتمادًا أساسيًا على دراسة وفحص الأعراض الظاهرة للمُخدِر أو المادة السامة. فإذا غابت تلك الآثار تعذَّر علينا إثبات وجود مادة كتلك من الأساس، وبالتالي لا نتمكن من إخضاعها للاختباراتِ العملية. على أية حال لا تقلق يا رفيق سأذهب بدوري إلى ليمبتون وسآخذ معي تصريحاً رسمياً يساعدني على تقديم الاستفسار بغية الكشف عن لغز موت السيدة أجاثا داوسون وكذلك خادمتها سابقة الذكر الآنسة بيرثا جوتوبيرد، واختفاء عدد من أهم عناصر العمل الجنائي خلال تلك الفترة المُحَددة.
-ناهيك عن هذا الدور الهائل الذي تلعبه الصحافة هذه الأيام، والذي يتمثل في وجود مقالات الكاتب الصحفي جون هيتزن وكذلك تلك الأخبار والتقارير المنشورة في جريدة المساء. فمن الواضح أن الجميع يتشاركون في حل تلك القضايا بطريقتهم الخاصة، فكل مِنا يحاول بذل جهودٍ مُضاعَفَة للكشف عن جوانب اللغز الخفية.
-إنني أعتقد أن هذا الفِعل يَصُب في مصلحةِ التحقيقات في نهايةِ المطاف، فحينها سوف يسهل علينا الإشارة بالبَنان إلى كل تلك التفاصيل المُرشدة للجريمة ونمضي قُدُمًا، والآن يجدر بي الذهاب إلى القرية لبعضِ الوقت لإنجاز بعض المهام الخاطفة، هل تود القدوم معي؟
-أعتقد أن استنشاق كمياتٍ من الهواءِ العليل لن يضر بشيء، على النقيض ربما يساعدنا ذلك في العثور على طريقةٍ جيدة لاكتشاف كيف قام هؤلاء المجرمون بارتكاب حوادثهم على هذا النحوِ.
-أتفق معك يا عزيزي، ففي العُزلَة بعيدًا عن صَخَب المدينة يمكن للمرء

إيجاد نفسه، كما أن العزلة تدعم عملية تَصفية الذهن. أشعر وكأني أتحدث إليك الآن بلغةِ المُفكرين والشُعراء!

شعر المُحَقق تشارلز باركر بحالةٍ مُباغتة من نفادِ الصبر والاستياء ثم قال على الفور:

-أعتقد أنه يتعيَّن علينا الاستعداد للذهاب الآن فسيارة الشرطة على وشك الوصول في غضون ساعة على الأكثر.

-سأكون هناك، قالها اللورد ويمسي مُضيفًا:

-على الرغم من أني أكره جدًا أن يُقلني شخص آخر بسيارته، فكما تعرف حينها يبدو الوضع غير آمنٍ على الإطلاق، ومع ذلك سوف أتحلى بالشجاعة الكافية حتى ننتهي من تلك المهمة الشاقة! أتمنى يا عزيزي ألا تُزعجك ثرثرتي!، قالها ويمسي ضاحكًا متأملًا وجه رفيقه المُحقق باركر.

توجه المُحَقق اللورد بيتر ويمسي إلى السيارة برفقة السيد باركر ورجل آخر من قوات الشرطة، وخلال تلك الجولة البرية أخذ المُحقق بيتر يفكر مليًا في تلك الخطوات الجادة التي يتعيَّن عليهم اتخاذها بمجرد الوصول إلى منزل الآنسة ماري ويتكار ابنة شقيق السيدة أجاثا داوسون الراحلة. لقد ذكَّرته تلك المغامرة الجريئة برحلات المُحَققين التي كان يقرأ عنها دومًا في روايات الجريمة.

أسدلَ الليل ستاره شيئًا فشيئًا كاشفًا عن منزلٍ صغير يظهر من بعيد كنقطة نَبَتت في كَفِ الطريق، وواصلت السيارة طريقها مُترنحةً كما السكارى حتى اقتربت بشدة من المنزلِ الواقع في منطقة ويلنجتون.

ذهبَ باركر ناحية باب المنزل ثم قرع الجرس على الفور وفجأة وجد أمامه خادمة يافعة تبدو علامات الذُعر جليةً على وجهها.

-يا إلهي! هل حدث شيءٌ ما للآنسة ماري ويتكار يا سيدي؟

-هل الآنسة ماري ويتكار موجودة في المنزل؟، سألها المُحَقق تشارلز باركر

-كلا يا سيدي، لقد سافرت الآنسة ماري يوم الإثنين برفقةِ الآنسة فيرا فيندلاتر منذ أربعةِ أيام يا سيدي ولم تعد إلى المنزل مرة أخرى. أخشى أن يكون هناك شيء ما قد حدث لهما! في الواقع عندما رأيتك يا سيدي اعتقدت أنك على وشك إبلاغي بهذا الخبر المشؤوم.

شعر المُحَقق تشارلز باركر بالحَنَق الشديد المُباغت لكنه حاول جاهدًا السيطرة على انفعالاته ومشاعره، وسأل الخادمة بنبرة توحي بالهدوء المُفتَعَل:

-هل تعرفين إلى أين ذهبت الآنسة ماري برفقة صديقتها فيرا؟

-ذهبتا إلى شاطىء كرو حسب ما قالت الآنسة ويتكار يا سيدي

قالتها الخادمة ثم أردفت:

-على بُعد خمسين ميلًا تقريبًا

-ربما قررتا البقاء هناك لبضعة أيام مثلًا؟، طرحها رجل الشرطة الموجود معهما في فضول

-وربما ذهبتا في الاتجاه المُعاكس، قالها باركر

-في الواقع يا سيدي أخشى ألا يكون ذلك ما حدث لهما، فقد أكدتا على عودتهما اليوم من أجل تناول وجبة الغذاء في المنزل.

-متى غادرتا البلدة؟

-في الصباح الباكر، فلقد حرصتا على ألا تُغامرا بالسفر ليلًا

-ألم تكتب الآنسة ويتكار خطابًا لكِ خلال تلك الفترة؟، سأل المُحَقق الخادمة التي بدا عليها الارتباك ولجأت إلى الصمت، وحينها تدخَّل رجل الشرطة قائلًا:

-حسنًا لا بأس، أعتقد أنه ما من مشكلة على الإطلاق.
-يؤسفني القول إن الأمر بالغ السوء أيها الشرطي، فلقد جئنا هنا خصيصًا من أجل اللقاء مع الآنسة ماري ويتكار لإجراء حوار معها، وها نحن الآن نقف في أماكننا مُكبلي الأيدي من دون أن نقوم بشيء.
-هذا صحيح يا سيدي المُحَقق، ولكن قُل لي: ما الذي يتعيَّن علينا فعله الآن إذن؟
-لا شيء. على أية حال سأقوم بإجراء البحث الخاص بي بسرعة، وحينها سأعرف بدوري إن كان هناك حادثٌ قد وقع أم لا؟
نظر السيد باركر كذلك إلى الخادمة وقال:
-لا تخشي شيئًا يا عزيزتي، سوف نعود إليكِ مُجَددًا لنُخبركِ بما حدث معنا. لا تجزعي، حسنًا؟
قالها المُحَقق ناظرًا إلى وجه الفتاة الباكية الواقفة أمامه بألم، بينما بدا الارتباك على زميله المُحقق اللورد بيتر ويمسي الذي شعر بالضيق الشديد عندما علم بخبر اختفاء السيدة ماري ويتكار ورفيقتها الآنسة فيندلاتر. ثم وقف في سكونٍ للحظاتٍ بعد أن غادروا المنزل وسأل المُحقق تشارلز باركر قائلًا:
-في الواقع تزداد شكوكي بشدة يا تشارلز؛ فلماذا يا تُرى أصرت الآنسة ماري ويتكار على اصطحاب رفيقتها الآنسة فيندلاتر معها خلال تلك الجولة؟ هل تعتقد أنها كانت تُخَطط لشيءٍ ما؟
-أعتقد أنه يتعيَّن علينا أن نتوجه إلى منزل عائلة الآنسة فيندلاتر لنطرح عليهم تلك الأسئلة بأنفسنا، فمن المؤكد أنهم يعرفون بعض المعلومات عن قريبتهم.
وصلوا إلى المنزل بعد أن قطعوا مسافة طويلة خلال المشي لكنهم وجدوه

فارغًا. فقد كان سُكانه في الجهة الأخرى المُطِلَة على البحر.

حرصَ السادة رجال التحقيق على أن يقوموا بطرح أسئلتهم الخاصة بالآنسة فيندلاتر ورفيقتها ماري ويتكار من دون أن يتسببوا في إثارة القلق أو التوتر. ثم تركوا رسالة هادئة مُهذبة تساعدهم على الاهتداء للجوابِ اليقين وسط تلك المتاهة التي لا تنتهي من الألغاز.

-أعتقد أننا لا نملك أي شيء للقيام به الآن سوى الذهاب للبحث عن السيدتين ماري وفيندلاتر، كما أنه يجدر بنا فحص تلك الطرقات والزوايا الجانبية جيدًا إذ ربما مرت إحداهما منها. كما أنه يُفترض بنا البحث عنهما في كل الموانىء بالطبع تحديدًا منذ أربعة أيام بالتزامُن مع تاريخ الاختفاء، فربما تكونان في أي مكانٍ الآن.

-كم أتمنى حقًا لو أننا شرعنا في البحث عنهما في وقتٍ أبكر، ربما كان من المفترض أن نتعرف أولًا على شكل الآنسة فيندلاتر حتى نعرف كيف كانت تبدو جيدًا على سبيلِ المثال؟

-أظن أنه باستطاعتنا الآن العودة إلى الديارِ والحصول على صور الآنسة ويتكار، كما أني أُطالبك بالاتصال بالسيدة كليمبسون مرشدتنا لنعرف إن كان لديها أية معلومات إضافية، ويمكنك أيضًا أن تطلب من قسم الشرطة إرسال حارس أمن لحراسة منزل السيدة فورست ولإبقائها تحت المُراقبَة. فعندما يتعرض المُجرم لأي حادث يتسم بالحساسية فمن المفترض حينها مُراقبة الشريك جيدًا.

نظر إليه رجل الشرطة العجوز المُصاحِب لهما ثم قال:

-أعتقد أنك مُخطىء بعض الشيء يا سيد بيتر، فأنا لا أظن أبدًا أن الآنسة ماري ويتكار مُجرمة، كما أني لا أعتقد بدوري على الإطلاق أن السيدة

فورست شريكتها في الجريمة، فالأمر لا يبدو منطقيًا. فمن خلال خبرتي الطويلة كرجل يعمل في مجال التحقيقات الجنائية يمكنني الحكم على هذا الموقف بكل سهولة. فالآنسة ماري ويتكار التي أعرفها جيدًا هي فتاة لطيفة جدًا وطيبة يُحِب المرء لقاءها والتَحَدُث إليها فهي ليست من هذا النوع من النساء الذي يهابه الآخرون ويركضون بعيدًا عنه. ولكن مما لا شك فيه أن ثمة حادثة ما قد وقعت لهما والتي يتوجب علينا التحقيق فيها بشكلٍ كامل. سوف أتوجه بدوري إلى شاطىء كرو على الفور لأعرف أوصاف السيارة بشكل دقيق.

-إنها ماركة أوستين سيفين ورقمها xx9917، قالها المُحقق تشارلز باركر وحينها اندهش اللورد بيتر ويمسي وقال:

-وربما لن نعثر بدورنا على تلك السيارة في شاطىء كرو، ولكن على أي حال يُمكننا إيجادها في مكانٍ قريب.

-حسنًا يتعيَّن علينا المُضي قُدُمًا الآن، فمن الأفضل أن ننفصل عن بعضنا بعضاً ونعود لتناول الغذاء معًا في منزل صديقنا جورج بعد ساعة، اتفقنا؟

لم يكن اللورد بيتر ويمسي محظوظًا بما فيه الكفاية حيث إنه لم يعثر على السيدة كليمبسون في منزلها حتى يتمكن من طرح بعض الأسئلة عليها فيما يتعلق بجولة الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها فيرا فيندلاتر. فما حدث أنها قد تناولت إفطارها ثم توجهت للقيام بجولة بين الحدائق والتي أقنعت نفسها أنها ربما ستعود بالنَفع عليها.

عندما ذهب المحقق اللورد بيتر ويمسي إلى هناك التقى بدوره السيدة بادج مالكة منزل السيدة كليمبسون، والتي بدا الارتباك والقلق واضحًا على وجهها منذ أمس البارحة وقالت له:

-في الواقع يا سيد بيتر أنا غاضبة من السيدة كليمبسون بعض الشيء، فتصرفاتها عمومًا لا تعكس حالة تَدَيُن واضحة. فعلى الرغم من أننا ننتمي إلى طوائف ومذاهب مختلفة إلا أنني أحترمها كجارة طيبة وسيدة لطيفة جدًا كريمة الروح. المسألة وما فيها يا سيد بيتر أنني أُلقي باللوم عليها لأنها لا تذهب إلى الصلاة يوم الأحد كما يفعل كل أبناء الحي، وهذا لا يجعلها امرأة مسيحية صالحة. أشعر بالاستياء الشديد لكوني أتفوه بهذا الحديث الآن لكن دعني أُفصِح عما أود التعبير عنه لفترةٍ طويلة: فهي امرأة طيبة حقًا لكنني أخشى أن تسقط أسيرة لمنهجها الكاثوليكي الضال!

صمتت المرأة الثرثارة لفترةٍ من الوقت ثم أضافت:

-أتمنى أن تلتمس لي العُذر يا سيدي لأنني قد تحدثت على هذا النحو المُربِك في الكثيرِ من الموضوعات التي تخص انتماءات السيدة كليمبسون الدينية، فلا يُفترض بي التَدَخُل في شؤون الآخرين لكني....

قالتها السيدة المُسِنَة الثرثارة، ثم قاطعها المُحقق تشارلز قائلًا:

-هل يمكنكِ إخباري أين بمقدوري إيجادها؟

تلعثمت السيدة بادج مالكة المنزل قليلًا ثم أضافت:

-أجل، أعتقد أنه بمقدورك إيجادها عند ساحة الكنيسة العامة يا سيدي، فهي تقف هناك تُراقب المُصلين من بعيد فحسب! هل بإمكانك تَخيُل ذلك؟! يا إلهي! تلك الكاثوليكية الضالة المسكينة!

شعر اللورد بيتر بالاكتفاء الشديد من حديث تلك المرأة، وأراد بشدة أن يتوقف الآن ويذهب من أجل البحث عن السيدة كليمبسون أمام ساحة الكنيسة.

مضى المُحَقق قُدُمًا متوجهًا نحو أبواب الكنيسة المفتوحة على مصراعيها

مُعلنةً التَرحيب بالجميع، ثم انطلق كما السهم إلى الداخل ليبحث عن السيدة كليمبسون بنفسه. وسرعان ما اقترب من نوافذ الكنيسة البراقَة المُضاءَة بالألوانِ الحمراءِ الخافتة التي تُحيط بدورها بالمبنى القاتم الضخم. اقترب الرجل شيئًا فشيئًا فإذا به يجد شخصًا يركع أمام المصباح.

لقد ظن لوهلة أن تلك المرأة التي تنحني إلى الأمام هي السيدة كليمبسون لكن سرعان ما داهمه الإحباط عندما وقعت عينه عليها ووجدها راهبة ترتدي ثيابًا سوداء وتجلس أمام القِس في خشوع، والذي كان مُنشغلًا بتأدية المزيدِ من المشاهد الدينية التمثيلية على مسرح المذبح العالي، كان ذلك بالتزامن مع عيد القديس جون. تذكَّر اللورد بيتر ويمسي ذلك ثم صعد أعلى الممشى آملًا أن يعثر على مرشدته السِرية السيدة كليمبسون في إحدى تلك الزوايا الغامضة المُظلمة.

اصطك حذاؤه مُصدرًا صوتًا مُزعجًا جعله يتسمر في مكانه بغتةً، لقد خشي أن يظن القِس أنه يمضي على هذا النحو لأنه أحد أولئك الأشخاص غير الصالحين الذين تسكنهم روحٌ شريرة! لذا خفف من سرعته قليلًا وفكر في المسألة من منظورٍ آخر. وبينما كان يقف جامدًا في مكانه من دون حِراك لَفتَ الرجل انتباه القِس العجوز الذي سارع نحوه بخُطى ثابتة ظنَّ على إثرها السيد بيتر أنه سيوبخه على مُقاطعته طقوس الصلاة والسير هكذا من دون هُدى.

اقترب منه القِس إلى حد الالتصاق به وسأله في فضول:

-هل تبحث عن شيءٍ ما يا سيدي؟

باغته هذا السؤال، ثم اضطرب بدوره قليلًا وأجابه:

-في الواقع أبحث عن السيدة كليمبسون يا سيدي القِس، هل رأيتها اليوم؟

-أجل، أعتقد أن السيدة كليمبسون قد غادرت الكنيسة منذ قليل فقد كانت بحاجةٍ ماسة للقيام بشيءٍ ما ومضت على عجل، قالها القِس ضاحكًا

-ولكن كيف لها أن تُغادر بسرعة هكذا على الرغم من أنها أخبرتني إننا سنلتقي هنا معًا؟، قالها المُحَقق بيتر في انزعاجٍ واضح. أتساءل إن كان قد حدث لها شيءٌ مُفاجئ!

-هل الأمر طارئٌ يا سيدي؟ هل هناك رسالة هامة معينة ترغب في أن أقوم بإخبارها بها بدوري؟، سأله القِس

-كلا يا سيدي القِس أشكرك. كما أنني أعتذر بشدة لأني تسببت في إزعاجك على هذا النحو فليس من الجيد أن يتردد الناس على الكنائس بهذه الطريقة الفوضوية المُربكة، لكن المسألة كانت في غاية الأهمية حقًا. سوف أترك لها رسالة في المنزل. قالها اللورد بيتر وحينها كان القس على وشك أن يستدير عائدًا إلى الكنيسة لكنه توقف فجأة بعد أن سأله بيتر:

-هل يمكنني أن أتحدث معك لبعض الوقت يا سيدي القِس في أمرٍ ما؟

-بالطبع ولكن أخبرني ما الذي يشغلك على وجه التحديد؟ هل ترغب في الحصول على استشارة دينية أو أخلاقية؟ ما هي طبيعة المسألة التي تُحيرك إلى هذا الحَد؟

-المسألة وما فيها لا تتعلق أبدًا بالقضايا الدينية أو الأخلاقية إنما الأمر وما فيه هو أني أعمل على قضيةٍ جنائية انتهت بموت سيدة عجوز، كما أن هناك شُبهة أن يكون أحدهم قد قام بوضع السم لها من خلال حقنها بمادة المورفين على اعتبار أن المرأة العجوز كانت مريضة جدًا وعلى وشك الموت في أي لحظة.

-ما الذي جعلك تراها جريمة قتل؟، سأله القِس بدهشةٍ بالغة

-في الواقع إن وجهة النظر القانونية تراها بتلك الصورة، أجاب اللورد بيتر ويمسي

-حسنًا، هل لديكم أدلة كافية تدعم موقفكم القانوني؟

-كلا ليس بَعد فنحن حاليًا في مرحلة تكثيف جهودنا من أجل العمل على إيجاد أدلة

-إذن فكل ما تقوله الآن يا سيدي هو مجرد افتراضاتٍ عابرة فحسب، أليس كذلك؟

-أظن ذلك ولكن يا سيدي نحن نرغب....

قالها المُحَقق بيتر ويمسي، لكن القِس أوقفه في الحال:

-يا سيدي المُحَقق أنت الآن تتحدث عن أمرٍ شائك بالغ الخطورة. فعندما تتهم أحدهم أنه قام بجريمة قتل لغرضٍ مجهول بالنسبة لك فأنت بهذا ترتكب إثمًا هائلًا بدورك! تذكَّر أنك لا تملك أي دليل ورغم ذلك تُواصل الإشارة بأصابع الاتهام إلى شخصٍ بريء!، قالها القِس بنبرة غاضبة حيث إنه كان يُناقش الأمر كله من منظورِ رجل الدين الذي ينشد تحقيق الصلاح لأبناءِ مجتمعه.

واصل القس خطبته الوعظية قائلًا:

-فإذا افترضنا بالفعل يا سيدي المُحَقق وجود جريمة قتل بعينها، فإنه يجدر بنا إذن التأكد من مدى صدق تلك الفرضية من خلال بحث الظروف المحيطة والجوانب المختلفة للحادثة ككل، فهل من الممكن أن أسألك يا سيدي المُحَقق مَن هو الشخص المُستفيد من تنفيذ تلك الجريمة على أي حال؟

-هناك الكثير من الأطرافِ المتورطة التي ربما من مصلحتها قتل تلك السيدة العجوز يا سيدي القِس. نحن لا نبني أحكامنا على أوهام لكننا نحاول بشتى الطرق تحري الدقة.

واصلَ رجل الدين عناده قائلًا:

-إنني أؤمن أنَّ ثمة فارقاً هائلاً بين القانون الإنساني والقانون الإلهي، فذلك الأخير لا يعرف ما أُسميه "وحل الظنون" كما أن الأول يجعلنا دائمًا نتسابق على الإيقاع ببعضنا بعضاً داخل مصائدِ ومكائدِ عِدَة. فمن الخطأ حقًا أن يفكر رجال القانون الإنساني بهذه الصورة! لماذا لا يتقبلون تلك الحقيقة الواضحة التي لا تقبل الشك ويواصلون تحركهم بعيدًا عن عوالم اليقين.

-في الواقع يا سيدي القس نحن نرى المسألة بشكلٍ مختلف، فنحن نعتقد أنه ربما قادت الجريمة الأولى والتي تخص مقتل السيدة أجاثا داوسون إلى القضية الثانية والمتمثلة في مقتل الآنسة بيرثا جوتوبيرد

-حقًا؟ ولماذا إذن لم تتوصلوا إلى أية نتائج بَعد؟

-إن الأمر بالغ التعقيد يا سيدي القِس، فالمسألة تبدو وكأن هناك شخصاً مجهولاً يعبث بنا ويحاول تضليلنا قدر الإمكان، فكلما توصلنا إلى شيءٍ ما قام بهدمه حتى يتمكن من إخفاء آثار جريمته مُثيرًا الجدل والصَخب حول شيءٍ آخر، فهذه أيضًا هي القاعدة الأساسية التي اعتمدت عليها كل الجرائم منذ بداية التاريخ.

-نصيحتي لك يا سيدي المُحَقق أن تحاول أن تتحرى الحقيقة جيدًا كما هي وأن تتحمل أعباء الخوف، فتلك الأخيرة هي التي ستقودك بدورها إلى النتائج التالية.

-أتفق معك يا سيدي القِس، قالها اللورد بيتر ويمسي

-كل ما يجدر بكم فعله يا سيد بيتر أن تشرعوا في إعداد وتجهيز تلك الأدلة التي من شأنها أن تدعم موقفكم ككل، فجهود رجال التحقيق مُقَدَرَة بدورها على كل المستوياتِ والأصعدة فيما يتعلق بهذا الجانب. أطلب منكم

النظر إلى الظروف العامة المُحيطة بالحدث أولًا. يتعيَّن عليكم دراسة حالة القتيلة السيدة أجاثا داوسون جيدًا حتى يتسنى لكم الحكم إن كانت وفاتها قد وقعت بشكلٍ طبيعي أم أن ذلك قد حدث بشكلٍ مُدَبَر مُتَعمَد! كما أنه ينبغي عليكم الاهتمام الشديد بمسألةِ النظرِ إلى أطرافِ النزاع المُشتَبه بهم مثل الآنسة ماري ويتكار، والسيدة فورست التي تظنون بدوركم أنها شريكتها فيما حدث. فلا يمكن أبدًا أن يتمكن رجال التحقيق من إصابة أهدافهم من خلال الرقص على جُثَث ضحاياهم. ما أعنيه أن المطلوب منكم الآن هو التأكد فعلًا إن كنتم تسيرون بخُطى مُحَددة في طريق العدالة أم لا؟

-أجل بالطبع، أتفهَّم ما تقوله، التمس لي العُذر يا سيدي فيتوجب عليّ الرحيل الآن وأشكرك جدًا لتحدثك إليّ خلال تلك الفترة، فينبغي عليّ الآن الرحيل من أجل اللقاء بصديق لي. قالها اللورد بيتر ويمسي بينما التزم القس بمراقبته يمضي في صمتٍ مُتجولًا بين المقابر حتى توجَّه إلى الخارج.

قبيل أن يغيب السيد بيتر ويمسي عن ناظره تمامًا ظل القس يُتَمتم بعددٍ من الكلماتِ الغامضة غير المفهومة، وكأنه يتحسر على حال أولئك المُحققين الذين لا يتحرون الدقة الكافية هذه الأيام ويتسببون بدورهم في الإيقاع بأشخاصٍ أبرياء لا علاقة لهم بالأمر، من دون النظر إلى دوافعهم الخاصة ومحاولة مَنْطَقَتها.

الفصل العشرون

شعر المُحَقق تشارلز باركر أيضًا بالاستياء الشديد كما أنه قضى نصف ساعة من الزمن يبحث في أغراض الآنسة ماري ويتكار الخاصة. وعلى الرغم من أنها كانت قد تركت بعض متعلقاتها في الأدراجِ والخزائن إلا أنها أيضًا لم تكن تفضل الاحتفاظ بالصورِ الفوتوغرافية الشخصية، ناهيك عن أنها قامت بحرق عددٍ من الصور الموجودة بالفعل! لقد قامت بتلك الخطوة بعد موت السيدة أجاثا داوسون مُباشرةً. فكَّر المُحَقق باركر أنه بإمكانه العثور على صورة شخصية للآنسة ماري ويتكار من أقارب الآنسة فيندلاتر صديقتها مثلًا أو ربما من بعض الأصدقاء أو الجيران، لكنه لم يكن مُستعدًا لإصاخَة السَمع إلى مزيدٍ من النحيب والعويل، وعليه فكَّر في الذهاب إلى السيدة كليمبسون ليطرح عليها ذلك السؤال ربما يمكنه أن يحصل على إجابةٍ ما من دون الحاجة إلى إثارة الفوضى في البلدة وبشكلٍ سِري. ففي نهاية المطاف الآنسة كليمبسون هي مرشدة الشرطة الخاصة ومَن تولت مهمة مُراقبة الوضع العام للآنسة ماري ويتكار والمُحيطين بها لفكّ لغز جريمة السيدة أجاثا داوسون. توجَّه السيد باركر إلى شارع نيلسون وتحدث إلى السيدة بادج مالكة المنزل وأوهمها أنه ابن عم السيدة كليمسبون وقد جاء لزيارتها بشكلٍ خاطِف. توهجت عين السيدة بادج العجوز بالفضول لكنها استجابت لطلب السيد باركر وأحضرت له مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي طلبها والتي كانت تخص الآنسة ماري ويتكار أثناء وجودها في عددٍ من الحفلاتِ والجولات بمشاركة أُناس آخرين. تَعَرَف السيد باركر على ملامح السيدة ماري ويتكار وكذلك اطلع على صور أخرى تخص السيدة فيرا

فيندلاتر جارتها. بدت الآنسة ماري كسيدة جميلة يافعة ذات بشرة فاتحة كما أن وجهها يحمل نظرة رومانسية شاعرية. أدلى الجيران بشهادتهم أيضًا فيما يخص مواصفات آخر فستان ارتدته الفتاة المُختفية.

احتشد رجال الشرطة حول الناس المُتجمهرين بين الأزقة والطرقات وشرعَ هؤلاء في الثرثرة والغمغمة من دون توقف. وبينما واصلَ رجال الصحافة دورهم في التقاط الصور الفوتوغرافية وجمع المعلومات المهمة التي تخص اختفاء الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها في ظروفٍ غامضة فربما يكون هذا هو خبر الموسم!

قام المُحَقق باركر بالاتصال بعددٍ متنوع من محطاتِ الشرطة الريفية وحينها عرف أنه قد تم العثور على تلك السيارة صاحبة المواصفات سابقة الذكر يوم الإثنين بمحاذاةِ شاطىء كرو. اتَّفق اللورد بيتر على الذهاب برفقة باركر إلى موقع الحدث بنفسيهما لمُعاينة الأمر على أرضِ الواقع.

احتلت العناوين الصاخبة المُثيرة صحف الأخبار الأكثر شهرة في البلاد. لم تخلُ أية مجلة من موضوع أو اثنين عن اختفاء المزيد من الفتيات وسط الغابات والمناطق المُنعزلة. ارتعبَ أهالي البلدة وازداد قلقهم فلم يكن لديهم أية معلومة عما يحدث خلف الكواليس، فلا أحد يعرف مَن الذي يقوم باختطاف الفتيات؟ مَن السبب وراء كل ذلك؟ كان جميع سُكان البلدة يتساءلون في جنون. انتشرت حالة من الذُعر بينهم حتى إنهم خشوا على فتياتهم الشابات، وباتت بعض المناطق المُحَددة بمثابة أماكن تُنذر بالخطر فلم يكن مسموحًا لأي فتاة منهن أن تمضي في طريقها فيها بمفردها حتى لا تُعَرِض نفسها للأخطارِ المُحَققة.

خلت الصحف من كل شيء سوى تلك العبارات المكتوبة باللونِ الأحمرِ

القاني والتي تقول:
"اختفاء فتيات من البلدة في ظروفٍ غامضة"
استمرت حالة الفوضى على هذا النحو ولم يكن هناك سبيل لأي حل آخر للكشف عن أسرار تلك الحوادث. لم يعرف أحد شيئًا عن الآنسة ماري ويتكار أو رفيقتها الآنسة فيندلاتر أو حتى سيارتهما رقم xx9917، كما أنه لم يقم أي فندق في البلدة بأسرها باستقبالهما معًا خلال تلك الأيام المُنقضية. ولم يتم العثور على سيارتهما في أي مرأب سيارات على الإطلاق، ولم يلمحهما أي رجل شرطة.
أقرت قوات الشرطة أنَّ ثمة حادثاً غامضاً وراء تلك الأحداث وعليه بدأت بإرسال فرقها البحثية للتفتيش في كل مكان عن سيدتين بمثل تلك المواصفات السابقة. انتقلت جهات التحقيق بدورها إلى دوفر ونيوكاسيل وشيفيلد وينكستر وروجبي وغيرها من المدن الإنجليزية الأخرى. شهد نادل في أحد المطاعم أنه قد رأى يوم الإثنين سيدتين في منتصف العمر تقريبًا كانتا تتناولان الشاي في أحد الأماكن المجاورة للمطعم في دورشستر في ساعةٍ متأخرة من الليل، وقدَّم الشاب أوصاف السيدتين حسب ما تذكَّر، فقال إن إحداهما ذات شعر أسود داكن والتي كانت تظهر عليها علامات التوتر والارتباك عندما ذهبت لتسأل النادل عن الطريق إلى هازلمير.
اطلع السيد تشارلز باركر على كل تلك التقارير واختار من بينها التقرير الخاص بشهادة هذا النادل اليافع الذي يُفيد بما رآه بنفسه يوم الإثنين الماضي، كما أنه أكَّد على رؤيته لسيارة إنجليزية الطراز في تلك البقعة تحديدًا وقال إنها كانت تحمل رقمًا مُحَددًا غير أنه لا يتذكره الآن على الإطلاق.
كان الطريق إلى شاطىء كرو شاقًا مليئًا بالصعاب موحشًا. توجَّه رجال

التحقيق إلى هناك حتى اقتربوا جدًا من المنطقة المائية المحظورة سابقة الذكر. هناك حيث اندفعوا ناحية المنحدرات طباشيرية اللون الزَلِقة الضيقة تلك التي يُحيط بها من كل اتجاه الشاطىء الرملي العريض وتغطيها الأعشاب بشكلٍ فوضوي من ناحية الزوايا. ثم ظهر بغتةً طريقٌ مائلٌ من العدم والذي تتبَّعوه حتى قادهم إلى أرض تُغطيها الأوساخ والقذارة. تغوص أقدامهم في أعماقِ الرمال ولا يقدرون على رفعها بسهولة للمُضي قُدُمًا. تلك الأجواء الربيعية الخانقة التي تُحكِم قبضتها عليهم فتجعلهم لا ينعمون برحلتهم تلك.

ها هم يمضون معًا في ثباتٍ إلى جهة آثار السيارات المتروكة بصماتها على قارعة الطريق. تبدو المادة الطباشيرية جافة وصلبة، كما أن التجاويف تتخللها بطريقةٍ مُربكة تكاد تُجبر المارة على التَعثُر. تُرى أين اختفت تلك السيارة الصغيرة التي عُثِر عليها هنا ليلة يوم الإثنين؟ لم يكن هناك أي آثار على وجود نُزهة في هذا المكان.

انتقل رجال التحقيق معًا إلى المكان المراد الإبلاغ عنه وبدؤوا رحلتهم الخاصة.

تقدمهم المُحَقق اللورد بيتر ويمسي الذي مضى قُدُمًا حتى اقترب من حافةِ الطريق. كان هناك شيءٌ ما يلمع وسط الحشائش المُتزاحمة قد جذب عينيه بسرعةٍ بالغةٍ. تساءل اللورد بيتر بينه وبين نفسه عن طبيعة هذا الشيء، ذلك الذي بدا مُحَددًا دقيقًا كما لو كان قدم أحدهم! شعر المُحَقق بالقليل من الدوارِ المُباغِت فهو لا يعرف حقًا إن كان في طريقه لاكتشاف شيء غامض قد يُغير بدوره من مسارِ القضية بأسرها! ها هو يركض بخطواتٍ واسعة مُتباعدة ويكاد أن يتعثر بين الشجيرات. يشعر المُحَقق بيتر بالارتباك الشديد، تتسارع

نبضات قلبه ويكاد يسقط بين الشجيراتِ المُتشابكة، ثم يتدحرج مُباشرةً مُتجهًا إلى الأسفل. ها هو يسعل في قبضة يده باضطرابٍ غير مَسبوق.

ثمة شخص ما ينام بغرابَة شديدة في تلك البقعة المُنعزلة على وجهِ التحديد. يقترب المُحَقق شيئًا فشيئًا ليجده مُمددًا في وضعيةِ جمود بينما تجتمع حوله الحشرات في إصرارٍ لا يرحم. ها هو المُحَقق بيتر يُلَوِح بيديه في الهواء في دهشة ثم يمضي بخُطى وئيدة نحو الجثة الماكثة على الأرض، تلك التي التصقت بها أوراق إحدى الصحف الإعلانية التي تخص طرق التَخَلُص من الحشرات بآلياتٍ أكثر فاعلية، فقد كانت تحمل عنوانًا عريضًا يقول: "يُمكنك التخلص من حشراتِ منزلك بطرقٍ أكثر أمانًا من السابق"

لم يكن المُحَقق قادرًا على تأمُل المشهد جيدًا من مكانه الحالي، وعلى هذا فقد تقدَّم بضع خطوات إضافية ناحية الأمام وحينها بدأت الحشرات تتفرق مُتباعدةً مُحدثةً سحابة صغيرة.

عندما وصل اللورد بيتر ويمسي إلى مكان الجثة وجدها جثة امرأة! يا إلهي! يبدو أنها قد تعرضت إلى ضربةٍ قوية جدًا كادت أن تُحَطِم مؤخرة جمجمتها.

اقتربَ منها المُحَقق ليقوم بمُعاينتها، وحينها اكتشف أنها امرأة شقراء ترتدي ثيابًا مكشوفة. وعندما قام بقلب الجثة على ظهرها تأكد أنها الآنسة فيرا فيندلاتر! بالطبع ما كان له أن يعرف أمرًا كهذا من دون وجود الصور الفوتوغرافية سابقة الذكر.

استغرق الأمر أكثر من حوالي ثلاثين دقيقة من أجل فحص تلك البُقعة المُحددة بشكلٍ دقيق. تَعثَر المُحقق أثناء توجهه مرة أخرى ناحية المُنحدر ثم صرخ هاتفًا في بهوِ الفضاء حتى يتحلق الجميع حوله، وبالفعل ظهر شخص أسود البشرة بغتةً من العدم واقترب من المُحَقق وبدأ بالتقاط الصور

الفوتوغرافية للجثة وتسجيل الملاحظات، وما إن تأمَّل وجه المرأة المقتولة حتى صرخ هاتفًا كما المُحَقق ثم لوح بذراعيه مُتسائلًا عن سبب تلك الحادثة الغريبة الغامضة. انضم إليهما مجموعة إضافية من رجالِ الشرطة الذين قد شرعوا بدورهم في تدوين كافة الملاحظات التي تخص مواصفات جثة تلك المرأة التي تم العثور عليها متسائلين كيف قضت نحبها على هذا النحو!

هتف أحد رجال الشرطة فجأة أيضًا عندما وقعت عينه على الجثة البشعة وكأنه غير قادر على مُتابعة تنفيذ الأمر. لاحظ اللورد بيتر ويمسي أن جثة المرأة مُلَطخة بالمزيدِ من الأوساخ والقذارة، كما أنها تشتمل على بصماتٍ وعلامات غريبة مُتفرقة في كافة أنحاء الجسد. لم يكن رجال التحقيق قادرين على فهم الموقف حيث وقفوا جامدين في أماكنهم في حالةٍ من الذهول وقد وجد اللورد بيتر نفسه يطرح مزيدًا من الأسئلة على زملائه من رجالِ الشرطة بهدف الاستفادة من خبراتهم قدر الإمكان. التقط المُحَقق باركر أنفاسه بصعوبةٍ بالغة ثم ركض بسرعة نحو صديقه المُحَقق اللورد بيتر الذي بدا عليه الإرهاق الشديد نتيجة إنجاز تلك المهمة، ثم هتف تشارلز باركر قائلًا:

-تعالَ إلى هنا وانظر من فضلك يا بيتر!

نهض المُحَقق بيتر من مكانه بكل حذر ثم توجه أسفل المُنحدر. كان رجل الشرطة يُمسِك بحقيبةٍ ما في يده والتي أخذها من أسفل الجثة مُباشرةً وها هو الآن يحاول إفراغها من كل محتوياتها تدريجيًا. جدير بالذكر أنَّ ثمة مفتاحَ براغٍ مُجاور لرأسِ الفتاة الميتة، كما أن هناك الكثير من خُصلات الشعر الشقراء العالقة به. لم ينتبه اللورد بيتر ويمسي إلى هذا كله لكنه استدار فقط ناحية قبعة رجل قرمزية اللون وسأل ضابط الشرطة في فضول:

-أين عثرتم عليها على وجه التحديد؟

-لقد وجدناها هناك عند قمةِ المُنحدر، قالها تشارلز باركر
-هل تمَّ العثور عليها في الأعلى بالقرب من تلك الشجيرات المُتشابكة؟
-أجل تحديدًا بالقرب من رأس الجُثَة.
-هل تحمل أي آثار أقدام؟
-ليس بالضبط، ولكنْ هناك مكان يخص تلك الشجيرات التي تَكَسَرَت وتحطمت عليها، يبدو المشهد وكأنَّ هناك نوعًا من المُعاناة.
-في الواقع نحن لم نقم بلمس مفتاح البراغي الضخم هذا يا سيدي فربما يحمل سطحه بصمات الأصابع. ربما يكون هذا مجرد هجوم نظمه بعض أفراد العصابات.
-أخبرني أيها الشرطي، هل عثرتم على أي مبالغ مالية داخل حقيبة يد تلك القتيلة؟
-لم نحصل إلا على عشرة قروش فقط وبعض السِنتات.
-حسنًا على الرغم من أن تلك المرأة كانت ثرية وميسورة الحال، فكيف ينتهي بها المطاف بهذا المبلغ الزهيد فحسب!
انحنى باركر إلى الأمام ووضع مفتاح البراغي داخل منديل حريري ثم طاف به مُتنقلًا بين زوايا المنطقة وأرجائها.
-أعتقد أنه يتوجب علينا الآن البحث عن السيارة على الفور فمن الأفضل أن نجدها، ربما تشتمل على بضعة أدلة أخرى، يمكننا البحث في تلك البُقعة مثلًا...
قالها اللورد بيتر ويمسي وأمسك بمفتاح البراغي بكل حذر حتى يظل مُحتفظًا ببصمات أصابع الشخص الذي أمسك به.
-أعتقد أنه يجدر بك أيها المُحَقق الذهاب الآن سريعًا إلى شاطىء كرو لتتفقد

الوضع جيدًا وتخبرنا بما حدث في المحطة، إن كان أحدهم قد عثر على تلك السيارة المُشتبَه بها. ومن الأفضل أن تصطحب معك مُصَورًا مُحترفًا وكذلك يتعيَّن عليك أخذ تلك القطعة معك لإخضاعها لاختبارات المعمل الجنائي

-من فضلك أحضرْ لنا أيضًا بعض الطعام والشراب حتى يمكننا التركيز على ما نقوم به من جهودٍ فمنذ فترةٍ طويلة لم أتناول شيئًا على الإطلاق، وبدأت حقًا أُصاب بالهذيان والضعف، هل معك ما يكفي من المال؟

-أجل بالطبع، شكرًا لك يا سيدي، قالها رجل الشرطة ثم رحل بعد فترةٍ من التوتر كان يفكر خلالها إن كان يتعيَّن عليه البقاء لفترةٍ أطول ليعرف ما ستؤول إليه الأحداث، أم أنه يجدر به الرحيل على الفور من أجل تأدية دوره المطلوب. وجَّه له باركر عبارات الشكر والامتنان باعتباره أحد أعضاء الفريق الذين يقدمون بدورهم مساعدة حقيقية ملموسة.

عاد المُحَقق للنظرِ من جديد إلى رجل الشرطة الذي تقدَّم جولتهم تلك وقال:

-من الواضح أن السيدتين ذهبتا في هذا الاتجاه، هل يمكننا أن نتقدم قليلًا ناحية اليسار حتى ندخل إلى طريقِ الأشجار عبر تلك النهاية المُقبلة؟ وهل يمكنك يا بيتر أن تمضي ناحية اليمين حتى تتفقدها أنت أيضًا وعلى هذا نكون قد قمنا بفحص الطريق من كل الاتجاهات؟، سأله رفيقه المُحَقق تشارلز باركر ثم تدخَّل رجل الشرطة كذلك وقال:

-وأنا يمكنني الذهاب إلى تلك المنطقة الوسطية لاستكشاف الوضع على أرضِ الواقع.

أطاع الجميع تلك الأوامر ومضوا في طريقهم، مع أن أجسادهم جميعًا كانت ترتعد بلا توقف من هَول منظرِ جُثَة تلك الفتاة التي رأوها للتو!

أمسك اللورد بيتر ويمسي بذراع رفيقه باركر.

نظر المُحَقق بيتر بلؤمٍ واضح إلى رفيقه ثم سأله:

-هل ألقيت نظرة على الجروح المُنتشرة في أنحاء جثة الفتاة؟ أعتقد أن الأمر مُثير للدهشة حقًا يا باركر! هل لك أن تمدني برأيك الخاص في تلك المسألة؟

-في الواقع أنا لا أفكر في أي شيء على الإطلاق حتى هذه اللحظة، قالها باركر عابسًا ثم أضاف:

-أعتقد أنه سوف يتعيَّن علينا الانتظار لحين إلقاء نظرة على تقرير الطبيب. والآن يتوجب عليك أن تترك كل هذا خلف ظهرك! فما نحاول التركيز على فعله في الوقت الراهن أن نشرع في التنقيب عن تلك السيارة.

-حسنًا يا رفيق ولكن ماذا عن تلك القبعة التي تم العثور عليها إلى جوار الجثة؟

-أظن أنَّ ثمة رجلاً نبيلاً يسكن في ستيفني قد قام ببيعها! كما أنها تبدو جديدة جدًا وتفوح برائحةِ خشخاش كاليفورنيا، أو برائحة نوع من الحشائش القروية المُعتادة كما أظن

-أعتقد أنه ينبغي علينا فحصها جيدًا عزيزي المُحقق وعرضها على المعمل الجنائي لنرى إن كانت تحمل أية بصمات أو آثار بإمكانها مساعدتنا في شيءٍ بعينه.

-بالطبع فمن المؤكد أنها ستقودنا إلى نتيجة أخرى ذات أثر ملموس في القضية.

لم تكشف عملية البحث عن أي شيء فِعلي، فعندما وصل رجال التحقيق إلى البقعة المُحَددة هناك أسفل الأشجار لم يكن هناك أي شيء سوى مساحة فارغة تمامًا تجري فيها بحيرة صغيرة ضئيلة. بدت المنطقة شبه منعزلة تقريبًا فلم يكن هناك آثار على وجود أحدهم سوى تلك الأشجار التي وقفت معًا

في صفٍ واحد وكأنها تتطلع إلى الأمام في عنادٍ ظاهِر مُخرجةً لسانها للعالم أجمع. لم يكن هناك أي دليل على وجود أحدهم هنا على الإطلاق، فالمكان اشتمل فقط على هذا الشاطىء الرملي.

مضى المُحَقق اللورد بيتر ويمسي في الاتجاه الآخر المُقابل وحينها داهمه شعور مُباغت بأنَّ هناك شيئاً غير مُريح في الداخل. اقترب عندما وقعت عينه على سيارة صغيرة ذات غطاء مرفوع وحينها تأكد أنها فارغة من الداخل. شرع اللورد بيتر في تجربة المُحَرِك لكنه كان خامدًا أضِف إلى ذلك أن مقاعد السيارة الداخلية كانت مُغطاة بالأقمشة الكتانية التي تخلو من أي علامة بارزة أو أحرف مُحَددة.

امتعض تشارلز باركر قليلًا وتذمَّر بسبب تشابُه كواليس الجرائم وكافة تلك التفاصيل الغريبة المُحيطَة بها والتي تنصبّ حول إخفاء آثارها من جانب المُجرمين وشركائهم. عندما انتقل باركر من الأرضِ الطينية عثر بدوره على آثار أقدام فجأة، وعندما اقترب أكثر وبدأ في فحصها تيقن بدوره أنها تحمل آثار أقدام رجلين وامرأة. يبدو أن المرأة قد خرجت من السيارة أولًا، وقد استدل المُحَقق على ذلك بعد أن عثر على آثار كعب حذائها الأيسر غارقة بعُمق في الأرض عندما خرجت من المقعد الأمامي للسيارة ببطء مُتقدمةً الرجلين المُرافقين لها. ثم تتبَّع الآثار وكأنه يرى المشهد مُتجسدًا أمامه حيث استدل على مكانٍ آخر قد تعثرت فيه المرأة قليلًا حتى إنها كادت أن تقع ثم تمالكت نفسها واستجمعت شتاتها وتأهبت للركض. تأمل المُحَقق تشارلز باركر كذلك آثار قدمها اليُمنى جيدًا في تلك الأثناء. يبدو أن أحد هذيْن الرجلين الغريبين قد حاول الإمساك بها أثناء ركضها بسرعةٍ بالغةٍ. تَبين من خلال تتبُع آثار الأقدام أن هذا الشخص حاول بدوره الركض خلف

السراخس المُنتشرة في تلك المنطقة المُنعزلة الخالية من الناس بأحذية مصنوعة من المطاط. جدير بالذكر أنه كان هناك بعض العلامات الأخرى الإضافية التي أثبتت أنه حاول أن يتمسك بها لكنها سارعت هاربةً منه بعد بضع دقائق. لقد كشفت آثار الأقدام أيضًا وجود الرجل الآخر في المشهد، والذي تبيَّن أنه يمتلك أقدامًا أصغر حجمًا حيث حاول اللحاق بتلك المرأة أثناء مُلاحقته لها منتعلاً أحذية ذات كعوب عالية كعادةِ أبناء المدن الصاخبين من رابطة مُحبي الموضة العصرية.

بدت آثار أقدامه واضحة جدًا على الأرضِ، تلك التي كشفت عن تتبعه للمرأة المُرافقة له ومحاولتها المُستميتة للهروب بعيدةً عنه قدر الإمكان. توصَّل المُحقق باركر خلال رحلته تلك إلى مُلاحظة تُفيد بأنه ثمة سيارة أخرى أكبر حجمًا من تلك السيارة سابقة الذكر والتي ظهرت بغتةً من العدم ووقفت بدورها وسط الغابة لبعضِ الوقت، ربما لأن الوقود قد نفذ منها، ثم تحركت لاحقًا بعد مرور بضع دقائق متوجهةً نحو طريق الأشجار المُتراصَة. حاول رجال التحقيق تتبُع آثار السيارة المُنطَبعة على الطريق عبر مسافة قريبة حتى ضاع السبيل إليها نهائيًا وسط أكوام الإبر المُتساقطة من أشجارِ الصنوبر. لم يكن هناك طريقٌ آخر في تلك المنطقة حتى تتمكن السيارة من التَقَدُم نحوه كبديل. وعندما تفقد المُحَقق تشارلز باركر الوضع اكتشف أن تلك السيارة الضخمة قد شقت طريقها إلى مُنتصف الغابات. في تلك اللحظة أمسك اللورد بيتر ويمسي بغطاء للرأس قد عثر عليه فجأة وهتف قائلًا:

-أعتقد أنه يتعيَّن علينا ضَم ذلك الغطاء إلى الأحذية الأخرى ذات الكعب المُدَبب العصرية وكذلك إلى تلك القبعة الصفراء.

-أنا واثق أن آثار الأقدام تلك تخص الآنسة ماري ويتكار. إنني على يقين من ذلك

-أظن ذلك أيضًا يا صديقي، لكني لا أعرف إن كانت تلك الفتاة الأخرى التي عثرنا على آثار أقدامها في الخارج عند تلك الأرض الطينية هي ذاتها الآنسة فيرا فيندلاتر!

-أنا واثق بشدة يا عزيزي أنها ليست الآنسة فيرا فيندلاتر، فحذاؤها يخلو تمامًا من البُقَع الطينية العالقة به.

-أوه يبدو أنك تَنتبه إلى تدوين الملاحظات الهامة الآن يا عزيزي باركر! لقد ظننت أنك خارج نطاق التغطية لتوك!، قالها اللورد بيتر ويمسي مازحًا

ضحك تشارلز باركر مُجيبًا:

-في الواقع لقد كنت كذلك يا عزيزي، لكني لم أكن قادرًا على تجاوز مسألة الانتباه إلى تلك الملاحظات، قالها ثم هتف صائحًا في دهشة:

-يا إلهي، ما هذا!

مَدَّ يده بخفة أسفل وسائد السيارة المُبطنة وسحب مجلة أمريكية شهرية تشتمل على مجموعة من أبرز قصص الغموض والخيال العلمي والتي نُشِرَت تحت اسم "القناع الأسود"

-أعتقد أنه ربما يكون ذلك الرجل الغامض الذي عثرنا على آثار أقدامه على الطريق هو مَن قام بشراء تلك المجلة!، قالها باركر

-أي رجل تقصد؟

-صاحب الأحذية ذات الكعب المُدَبب والقبعة الصفراء الفاقعة. قالها رجل الشرطة المُرافق لهما خلال تلك الجولة الاستكشافية.

-لكني أختلف معكما يا رفيقيَّ! أعتقد أن المجلة تخص الآنسة فيرا فيندلاتر!

تبدو أكثر مُلائمةً لذوقها الخاص. قالها المُحَقق بيتر ويمسي ثم قاطعه رفيقه المُحَقق:

-لا أعتقد أن هذا النوع من المجلات يُناسِب تلك المرأة، فما أعرفه أن شخصيتها الخاصة كانت نسخة مُصَغَرَة من شخصية صديقتها وجارتها الآنسة ماري ويتكار والتي لم تكن تميل بطبيعتها إلى أي مادة خيالية حالِمَة، حتى إنها كانت تكره الزهور!

-ولكن ربما كانت الآنسة فيرا فيندلاتر تفعل كل ذلك على مضض بينما كانت تمتلك اهتمامات أخرى مُغايرة تمامًا عن اهتمامات صديقتها تلك. قالها بيتر.

-تَمَهَل قليلًا! انظر إلى تلك العلامات! أعتقد أن أحدهم قد قام بكتابتها هناك أعلى تلك القبعة!، قالها بيتر ويمسي مُمسكًا بالغلاف مُتفقدًا إياه.

يبدو أن أحدهم قد رسم بعض الأحرف على غلاف تلك المجلة، ربما أراد أن ينقل رسالة ما!

-أجل! ربما حاولت تلك المرأة المُختطفة صاحبة آثار القدم المُنطبعة على الأرضِ الطينية أن تكشف عن رسالةٍ ما قبل أن يقوم الرجال المُرافقون لها بنقلها إلى السيارة الأخرى.

-هذا جيد ولكن تُرى ما الذي تعنيه تلك الإشارة؟ كما أن لون الخط الداكن لا يُشير إلى شيءٍ مُحَدد، فيبدو وكأن الأمر برمته محض هراء!

-ربما قامت الفتاة باستخدام اللون الأسود الداكن في الكتابة كإشارة إلى أن ذلك الشخص صاحب الحذاء ذي الكعب المُدَبب والقبعة الصفراء كان ينتمي إلى أصحاب البشرة السوداء، وربما كان من الهندوسيين أو المجوس.

-يا إلهي! لا يمكنني حقًا تصور هذا المشهد المُريع!

-حسنًا نتمنى حقًا ألا يكون الأمر كذلك وألا يكون قد وصل بدوره إلى

تلك النقطة، والآن أخبرني: هل يتعيَّن علينا اتباع هذا الطريق؟ أم ننتظر الطبيب حتى يصل؟

-من الأفضل أن نعود مجددًا إلى موقع الجُثَة، فلقد شرع فريق البحث الجنائي بفحص المتعلقات وكافة الأشياء المادية المُحيطة بالحادث، وعلى هذا فإني أرى أن وجودنا هناك الآن لن يؤخرنا إلا نصف ساعة فقط من أجل إنجاز مهمتنا على أكملِ وجه.

انتقل رجال التحقيق من تلك المنطقة العُشبية الخضراء الناعمة إلى الغابة الضيقة مُتجهين نحو الأسفل ناحية الجنوب الغربي، ثم عبروا الحاجز المؤدي إلى مجرى النهر.

-يبدو أن ما قلته كان صحيحًا للغاية يا تشارلز!، قالها اللورد بيتر ويمسي مُحَدقًا في المياه. أعتقد أنه يتعيَّن علينا أن نقوم الآن باتخاذ خطوة أكثر جُرأة.

الفصل الحادي والعشرون

"للموتِ أبوابٌ متعددة تُجبرك على مُغادرة تلك الحياة سواء شئتَ أم أبيت."

جاء طبيب القرية فجأة والذي بدا كشخص بدين عريض المنكبين يتحدث بنبرةٍ توحي بنفاذِ الصبر، ثم اقترب من جثة المرأة ودار حول رأسها الهامدة عدة مرات بشكلٍ لافِت مُثير للريبة، ثم صمتَ لبعض الوقت وقال:

-أعتقد أن الفتاة قد تعرضت إلى نوبة الحصبة الشائعة وقد تكون أيضًا قضت نحبها مُتأثرةً بأعراضِ مرض النقرس أو التهاب المفاصِل. يا لها من ضربة قوية! ولكن كيف وقع كل ذلك؟ كيف واجهت الفتاة المسكينة هذا المصير الغامض المُباغِت على هذا النحو؟

-إنني أُشفق جدًا على أسرة الآنسة فيرا فيندلاتر وشقيقاتها وجيرانها وأقاربها حقًا، فالفتاة كانت طيبة وودودة جدًا ولم تتسبب في مُضايقة أحدهم يومًا! فكيف لها أن تلقى ذلك المصير؟!

-هل أنت واثق إذن أن تلك الفتاة الميتة هي نفسها الآنسة فيرا فيندلاتر وليست شخصًا آخر؟، سأله المُحقق تشارلز باركر

-أجل يا سيدي فلقد تعرفت عليها منذ البداية، فأنا أعرفها جيدًا وكذلك ربطتني بأسرتها علاقة جيدة، قالها الطبيب مُتأثرًا

-امنحني لحظة واحدة أيها الطبيب من فضلك، فنحن نريد أن يقوم المصور الفوتوغرافي بتوثيق تلك اللحظة الراهنة. فمن المفترض أن يقوم بالتقاط الصور لكل وضعيات الجثة من جميع الاتجاهات قبل أن يُحرِك أي شيء من مكانه. قالها اللورد بيتر ويمسي، ثم نظر إلىِ المصور الفوتوغرافي وقال:

-هل أنت جاهز الآن يا أندرو؟ هل قمت بتصوير مشاهد كتلك من قبل؟ كلا؟ حسنًا أتمنى ألا يُزعجك ما ستراه فالمشهد ليس جيدًا على أية حال. من فضلك التقط صورة من تلك الوضعية اليُمنى للجثة وصورة أخرى من أعلى ضفة النهر لتأتي بالمشهدِ ككل. واحرص أيضًا على التقاط صورة أخرى إضافية للجروح المُنتشرة في أنحاءِ جسد الفتاة. اقترب أكثر. أجل! رائع يا أندرو. شكرًا لك على هذه اللقطاتِ المُدهشة، والآن أيها الطبيب هل بمقدورك تحريك الجثة قليلًا من فضلك؟ أنا آسف جدًا يا سيد أندرو، أعرف أنك تشعر بالسوءِ البالغ الآن ولكن ينبغي لنا إتمام تلك الأشياء في الوقتِ الراهن. انظر كيف امتدت ذراعها على نحوٍ مُخيف؟ يبدو وكأنها قد خاضت معركةً قبل أن تسقط ميتة هكذا. فإذا تأملنا وضعية رسغها الأيمن ومرفقها الأيسر لاتَّضحَ لنا وكأن أحدهم كان يحاول الإمساك بها. من المفترض أن تلتقط الصور لتلك البصمات التي تنطبع بدورها على جسدها يا سيد أندرو فربما تفيدنا في خط سير القضية، أخبرني أيها الطبيب ما رأيك في تلك العلامات الظاهرة على الوجه؟

نظر إليه الطبيب بدهشةٍ واضحة وكأنه كان يفضل ألا يُقدِّم تفسيرًا لشيءٍ ما يخص تلك الإصابات التي تفترش وجه الفتاة المُمَددَة أرضًا.

-هناك بضعة حروق وكدمات تحيط بالجبهة وأرنبة الأنف والشفاه والرقبة، ربما يمكننا إرجاع الحادث برمته مثلًا إلى إصابتها بضربة شمس.

-وماذا عن حروق مادة الكلورفورم؟، سأله تشارلز باركر

-في الواقع...

قالها الطبيب بينما ظهرت علامات التردد على وجهه جليةً وكأنه لم يكن يفكر في تلك المسألة أصلًا ثم أضاف:

-في الواقع أتمنى أن تتحلوا بالهدوء قليلًا أيها السادة، فأنا أعرف أن رجال الشرطة دائمًا يميلون إلى التسرع بشأن اتخاذ قرار ما أو الوصول إلى استنتاج مُحَدد بشكلٍ عاجل جدًا وسريع، ولو أنك يا سيد بيتر كنت انتظرتني قليلًا لكي أُكمِل حديثي لعلمتَ حينها أني كنت على وشك الإشارة إلى احتمالية حدوث ما قلته للتو. فربما تكون مادة الكلوروفورم بالفعل هي ما تسببت بدورها في إحداث تلك الحروق. ولكن ليس بمقدورنا الجزم بشيءٍ كهذا من دون التَحَقُق من المسألة على الصعيد العملي، لكنه يبقى احتمالًا آخر في نهاية المطاف.

-وإذا صحَّ القول يا سيدي الطبيب، فهل من الممكن أن تكون الفتاة قد قضت نحبها بسبب الآثار الجانبية لتلك المادة؟ هل قد يؤدي ذلك إلى الوفاة؟ فماذا لو كانت مثلًا تعاني حالة من الضعف العام أو أنها كانت تعاني من مرض القلب؟

-يا سيدي الفاضل يتعيَّن عليك أولًا أن تنظر إلى تلك الجروح أعلى رأسها والتي تُشير بدورها إلى السبب المُباشر لتلك الوفاة، فمن الواضح أن الفتاة قد تلقت ضربة من أحدهم، فإذا كانت بالفعل قد ماتت بسبب الآثار الجانبية لمادة الكلوروفورم فما ضرورة إصابتها في منطقة الرأس أصلًا؟

-هذا تحديدًا ما أقصده، قالها اللورد بيتر ويمسي

-هل تقصد التقليل من خبرتي العلمية أيها المُحَقق؟، سأله الطبيب الشرعي بلهجةٍ غاضبة

-بالطبع لا، ولكن من غير الحكمة أن نصدر حكمًا بعينه من دون أن نتبين منه وأن نلجأ مثلًا إلى المعمل الجنائي. وهذه ليست المهمة التي يجدر بنا تنفيذها على الإطلاق الآن.

قاطعهما المُحَقق تشارلز باركر قائلًا:

-أعتقد أننا قد أنهينا بالفعل مهمتنا هنا أيها السادة، وينبغي علينا الآن إعادة الجثة إلى مستودع الجُثث، ألا يمكننا ذلك أيها الطبيب؟، قالها ثم أضاف ناظرًا إلى وجه المُصور:

-سأكون مُمتنًا لك يا سيد أندرو إذا رافقتنا إلى وسط الغابة من أجل التقاط بعض الصور لبصمات وآثار الأقدام المُنطَبعة هناك. أعرف أن الإضاءة سيئة جدًا هناك لكن يتعيَّن علينا بذل قصارى جهدنا.

أمسك تشارلز بذراع الطبيب وهمس في أذنه مازحًا:

-أرجوك لا تكترث لما قاله رفيقي المُحَقق بيتر فنحن نعلم جيدًا مدى خبرتك في هذا الميدان الطبي، لكن المسألة وما فيها تخص فضوله فيما يتعلق بتقديم شروح وتفسيرات لكل ألغاز الجريمة من أجل فك شفراتها الخاصة.

-هل لديك تفسير معين لتلك القضية؟، سأله الطبيب باهتمامٍ وحذر

فأجابه المُحَقق تشارلز باركر قائلًا:

-إنني أعتقد أن الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها فيرا فيندلاتر تعرضتا إلى هجومٍ شرس من قبل أحد أولئك البربريين المتوحشين هنا وسط الغابات المنعزلة البعيدة. وبينما كانتا تتأملان في صمت طاردَ أفراد تلك العصابة الآنسة فيرا المسكينة وقاموا بقتلها ثم حاولوا التفاوض مع الآنسة ماري ويتكار التي ربما دفعت لهم فدية مالية من أجل إطلاق سراحها. أعتقد يا سيدي الطبيب أن تلك الجروح والصدمات والكدمات كانت بسبب مقاومة فيرا فيندلاتر لهؤلاء القتلة المأجورين، على الرغم من أني شديد الاقتناع بهذا السيناريو إلا أنه لا يمكنني الجزم أيضًا أن هذا ما حدث. ففي نهاية المطاف ليس بإمكاننا التوصل إلى أمرٍ كهذا من دون البحث عن تفسيرٍ علمي دقيق.

عاد الفريق إلى الغابة مرةً أخرى هناك حيث تمكَّن المُصور من التقاط مجموعة من الصور الفوتوغرافية لآثار الأقدام المُنتشرة في أرجاءِ المكان.
واصلَ الطبيب القيام بكافة الإجراءات الرسمية اللازمة لعرض تقريره على المعمل الجنائي
وقف الجميع في حالة من السكون التام حول جثة الآنسة فيرا فيندلاتر، ثم دَوى صوت أبواق السيارات بغتةً وتزاحمت مجموعات من الأشخاص وكأنهم قد جاؤوا لتوِّهم من العدم!
-يا إلهي! لعنة الله على هؤلاء الصحافيين!، قالها المُحَقق تشارلز باركر في غضب بعد أن لمح سيارات الصحافة تقترب بدورها من وجهتهم.
احتشد رجال الصحافة حول جثة الآنسة فيرا المسكينة وبدؤوا بطرح أسئلتهم غير المنظمة على المُحَققين مُخلفين حالة واضحة من الصَخَب والفوضى.
سرد لهم المحقق باركر تفاصيل الواقعة، وحينها سألوه عن سيناريو ارتكاب الجريمة الأكثر احتمالًا، وعلى هذا فقد أجابهم أن رجال التحقيق يظنون أنَّ ثمة رجلين غريبي الأطوار مجهولي الهوية قد قاما بإغراء الفتاتين بالقدوم إلى هنا ثم شرعا في الاعتداء عليهما وقتل واحدة بينما ربما هربت الأخرى أو دفعت فدية بغية إطلاق سراحها.
صدقت الصحافة نظرية اختطاف الفتاتين تلك. وسأل أحدهم عن المواصفات الشكلية لهذين الرجلين المُشتبَه بهما، وحينها أجابه المُحَقق باركر بأن أحد الرجلين كان يرتدي ثيابًا شديدة الأناقة وينتعل حذاءً ذا كعب مُدَبب كعادة أبناء المدن ويضع قبعة صفراء باهظة الثمن.
-في الواقع يبدو أن أحد الرجلين شخصٌ ثريٌّ بالفعل. قالها باركر بعد فترةٍ من الصمت

-كما أن الملاحظة التي وجدناها مُدونةً على غلافِ المجلة المُجاورة للجثة كانت توحي أنه ربما ينتمي أحد الشخصين إلى أصحاب البشرةِ السوداء، وربما قامت إحدى السيدتين بتدوين أول حرفين باللونِ الداكن لهذا السبب. كذلك كان الرجل الآخر ينتعل حذاءً مطاطيًا.

استطرد المُحَقق باركر قائلًا موجهًا كلامه إلى الصحافة:

-فكما ترون فها نحن جميعًا نحاول تأدية واجبنا على أكمل وجه، أنا والمُحقق بيتر ويمسي نقف هنا من أجل تسجيل أبرز الملاحظات التي تخص عالم التحقيق. وكذلك ها هو المُصور يقوم بالتقاط صور الجثة والبصمات من كافة الزوايا والاتجاهات، والطبيب الشرعي يواصل كتابة تقريره الخاص لعرضه على المعمل الجنائي، فالجميع هنا يقومون بأدوارهم على أكمل وجه حتى نتمكن من إنجاز مهمتنا بكل السُبل.

-والآن وبعد أن حصلت على كافة تلك المعلومات التي كنت تريدها، من فضلك اذهب وأخبر زملاءك من السادة الصحافيين أنك قد حصلت على كل ما تُريده للتو. أسمحُ لك أن تُشارك معهم كافة التفاصيل المهمة التي تتعلق بكواليس الحادث وما يتعلق باحتمالاتنا الخاصة. فإني أؤمن بشدة بحق الصحافة في الاطلاع على المشهد كما هو والمُشاركة في إيجاد حلول له، فلطالما ساعدنا رجال الصحافة على فك رموز الجرائم التي أشرفنا عليها، فنحن لا نتمكن من إنجاز مهمتنا من دون الحصول على مساعدتكم الثمينة أيضًا.

-ولكن أخبرني إذن أيها الطبيب عن رؤيتك الخاصة لهذا الحادث؟، سأله المُحَقق بيتر ويمسي

-في الواقع يا عزيزي إنني أعتقد أن الآنسة فيرا فيندلاتر قد ماتت بسبب تعرضها إلى ضربة شمس، لكنني لا أظن أنَّ ثمة عصابة متوحشة قد قامت

بقتلها وكذلك بتهديد صديقتها بدفع فدية!

-ولكن ما تبريرك أيها الطبيب لبصماتِ آثار الأقدام الخاصة بالرجليْن التي عثرنا عليها في الغابة؟

شعر الطبيب الشرعي حينها بالإهانة الشديدة لكون المُحقق باركر يطرح عليه هذا السؤال بنبرةٍ ساخرة وحينها قال له:

-في الواقع لا أراها دليلًا على أي شيء على الإطلاق!

عاد فريق البحث كاملًا إلى القرية من أجل تناول العشاء معًا في مطعم سوهو، وأثناء وجودهم جميعًا في تلك المنطقة تمكنوا من جمع الكثير من المعلومات حول تلك المسألة وعرفوا أيضًا أن غالبية سُكان البلدة باتوا على علم بحادثة مقتل الآنسة فيرا فيندلاتر بعد أن قامت الجريدة المسائية بنشر تفاصيل الحادث.

في صباح اليوم التالي احتشد أهالي البلدة حول الطاولة المُمتدة وشرعوا في الاطلاع على أخبار الصحيفة التي كانت تمتلىء بالمعلومات والصور وكافة الأخبار الدقيقة والخيالية أيضًا، فهناك الكثير من المحررين الذين قاموا بتناول الخبر من منظورهم الخاص فأصبح ذا طابع شخصي، وتخلى بدوره عن الموضوعية التي تفترضها موضوعات الصحافة. تحدَّث جميعهم عن تلك الجريمة البشعة التي استهدفت الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها المسكينة فيرا فيندلاتر والتي وقعت ضحية للحادث. بينما كتبت الصحف أن الأخرى قد تم اختطافها لطلب فدية من ذويها، وأن مَن قام بذلك كان رجلًا من أصحابِ البشرةِ السوداء. لقد أثار الحادث الذُعر في نفوسِ الناس كما أن المراسلين الصحفيين قد تدفقوا إلى شاطىء كرو وقضوا نهاراتهم وأمسياتهم هناك على أقدامهم من أجل تدوين كل جديد يخص تلك القضية، فظلوا في

حالة دائمة من البحث عن المعلومات.
انتقل المُحقق بيتر ويمسي برفقة صديقه المُحقق تشارلز باركر إلى فندق جرين ليون حيث استقرَّ الصديقان هناك في إحدى الغرف لمُتابعة مسيرتهما الخاصة لإنجاز هذا الملف الجنائي الحرج. حرصا على استقبال الرسائل الهاتفية والخطابات والمحادثات المُباشرة مع الأشخاص الذين يمتلكون شهادات يرغبون في الإدلاء بها، ورغم كل هذا الاندماج والتفاعل مع الجمهور الخارجي فقد طلب منهم رئيس قسم شرطة سكوتلاند يارد منع دخول أي أشخاص متطفلين أثناء الاستجواب حتى لا يؤثر ذلك على القضية.
واصل المُحَقق بيتر ويمسي جهده في العمل كما أنه لم يكف للحظة عن تدخين السجائر فقد كان يدخّن الواحدة إثر الأخرى دون تلكؤ.
-أخبرني يا صديقي، ما جديد السيدة فورست؟، سأله بيتر
-لقد أبلغنا بواب العمارة التي تسكن فيها أنها خرجت ليلة الإثنين وسيعلمنا عند عودتها كل شيء لنتأكد أن السيدة فورست قد عادت إلى منزلها بأمان، فكما ترى كافة الشركاء أو المُشتَبه بهم يقعون في فخ الاختفاء الغامض أو الموت غير المُبرر! على أية حال سنبقى على اتصالٍ به.
-هل غادرت ليلة الإثنين فعلًا؟، سأله
-أجل ورغم ذلك فهي ليست معلومة مؤكدة بالنسبة لنا، ولا تُشير أيضًا إلى أي شيء فالكثير من سُكان القرى يقومون برحلات إلى المدينة خلال العطلات الأسبوعية. أضِف إلى ذلك يا عزيزي أنني لا أرغب في أن نذهب إلى السيدة فورست بعد عودتها لنقوم باستجوابها حتى لا يُصيبها الذُعر وتظن أننا نراها الفاعلة أو شريكة في الجريمة. يجب علينا توخي الحذر البالغ مع تلك المرأة يا بيتر، لقد اتصل بي أحد زملائنا في قسم الشرطة اليوم

وأبلغني أنه قد تواصل بدوره مع المحامي المسؤول عن كافة الجوانب المالية التي تخص الآنسة ماري ويتكار والذي أكد له بالمستندات أن الآنسة ماري تسحب مبالغ طائلة من حسابها منذ ديسمبر الماضي، والمُثير للريبة أن نفس تلك المبالغ وفي نفس المواعيد المُحَددة سابقة الذكر تصل إلى حساب السيدة فورست! أظن أنَّ هناك سرًا ما يا عزيزي بيتر! فتلك المرأة أشبَه بالداهية ومن الواضح أن لديها سلطة كبيرة تمارسها على الآنسة ماري ويتكار ما دامت تُنفذ أوامرها على هذا النحو غير المُبَرر. ينبغي لنا أن نتعامل مع تلك السيدة بحرصٍ بالغ يا بيتر فهي شديدة المكر والذكاء، وإذا اكتشفت أننا نضعها في دائرة المُشتبَه بهم ستمحو كل أدلتها! انتبه إلى ذلك الأمر جيدًا! فليس هناك أسوأ من امرأة شريرة معدومة الضمير في هذا العالم بأسره

-أتفقُ معك أيها المُحقق باركر، لكن يتعيَّن عليك إذن أن تضم كافة النساء إليها في تلك النقطة؛ فهنَّ يمتلكن مكراً غير طبيعي ولؤماً لافِتاً، كما أنهن يواصلن خداعهن بطرق ملتوية للإيقاع بنا نحن الرجال ثم يتهموننا في نهاية المطاف بأننا أشخاص غير عاطفيين!! فكيف يستوي الأمر؟

رنَّ جرس الهاتف بغتةً، وحينها ردَّ المُحَقق تشارلز باركر على الفور:

-مرحبًا؟

كان المُتَصِل أحد ضباط قسم الشرطة والذي رد على السيد باركر وأفاده بأنَّ هناك أمرًا جديدًا قد طرأ على القضية، وحينها واصل المُحقق أسئلته قائلًا:

-ما الأمر يا سيدي؟ تَكَلَم فأنا أسمعك جيدًا

-في الواقع يا سيد باركر لقد قمنا بدورنا بفحص كل الصور والمستندات والأوراق، وكذلك أيضًا قمنا برفع البصمات والآثار عن السندات المالية وغيرها وفي تلك الأثناء أخبرنا أحد مصادرنا أن القس داوسون قد توجه

بدوره إلى البنك اليوم ليصرف شيكاً مُرسَلاً إليه من قبل الآنسة ماري ويتكار بقيمة 10 آلاف دولار!

-حقًا؟

-أجل! هل تصدق ذلك؟! فالأمر في غاية الغرابة تحديدًا لأن القس داوسون كان قد أخبرنا من قبل أنه لا يتلقى أي مساعدات مالية من الآنسة ماري ويتكار، وأنه حتى لم يعد يحصل على تلك المنحة الشهرية البسيطة التي اعتادت السيدة أجاثا داوسون إرسالها إليه بصفة منتظمة.

-أتفق معك يا عزيزي وهذا ما أثار الريبة في نفوس زملائنا في قسم الشرطة وقاموا بإلقاء القبض على القس داوسون واتهامه بالتخطيط لجريمة القتل تلك.

-حقًا؟ ولكن يا تشارلز! أنا وأنت نعرف جيدًا أن هذا الرجل العجوز المسكين البائس لا قدرة لديه على قتل حشرة حتى، فكيف له أن يُخطط لقتل أحدهم وسرقته! رغم غرابة المشهد إلا أن هذا الاتهام بالنسبة لي يبدو غير منطقي.

-لكني أشعر بقوة يا بيتر أن هذا الرجل العجوز الغامض هو مَن يقف وراء تلك الجريمة منذ البداية! فمن الأفضل لنا جميعًا الآن أن ينكشف كل شيء حتى نتمكن من تسجيل ملاحظاتنا الخاصة لحل اللُغز

في تلك اللحظة على وجه التحديد دق باب المكتب، وحينها هتف اللورد بيتر ويمسي قائلًا:

-مَن الطارق؟

-أنا الطبيب توستر، قالها الرجل بصوته الأجش، وحينها انفتح الباب على آخره ودخل رجل ضخم عريض المنكبين توجَّه بدوره نحوهم مُباشرةً

وابتسم ثم قال:

-سعدت كثيرًا بلقائكم أيها السادة، أنا الطبيب توستر

-أهلًا بك أيها الطبيب، قالها اللورد بيتر كما أومأ المُحقق باركر برأسه مُلقيًا التحية

كان الطبيب توستر شخصًا مختلفًا تمامًا عن الطبيب الشرعي الآخر الذي كان يقوم بحملة البحث الجنائي تلك في الغابة برفقتهم بعد العثور على الجُثَة، فلم يُعجب اللورد بيتر ويمسي بالطبيب الأول الذي وجده رجلًا فظًا مُتشبثًا برأيه، وكذلك لا يحاول التفكير في افتراضاتِ الآخرين واحتمالاتهم الخاصة. وقد أزعجه حقًا وجود ذلك الطبيب خلال المساء السابق، بينما كان السيد توستر نقيض تلك الشخصية حيث إنه كان رجلًا عاقلًا هادئًا يعرف جيدًا كيف يرسم تلك الابتسامة العريضة على وجهه.

-في الواقع يا سادة لقد توصلت إلى استنتاجي الخاص الذي قادني إلى كتابة تقريري الطبي بخصوص تلك الحالة الماثلة أمامنا. فالآنسة فيرا لم تقضِ نحبها بسبب تلك الضربة التي تلقتها في الرأس فهي لم تنزف أصلًا. كما أن الجروح الظاهرة في أجزاء جسدها بشكلٍ مُتفرق ظهرت بعد الموت، ربما بالفعل يكون هناك احتمالية مهاجمة إحدى العصابات لها وكذلك لصديقتها الآنسة ماري ويتكار!

ضحك اللورد بيتر في حماس، ثم هتف قائلًا:

-ولكن زميلك الطبيب كان له رأيٌ مخالفٌ!

-إنه مجرد شخص أحمق يا سيد بيتر، فهو يظن أن المرأة ماتت بسبب نوبة الحصبة أو ضربة شمس! الأمر غير مُقنع على الإطلاق بالنسبة لي!

-هل من الممكن أن تكون الوفاة بسبب مادة الكلورفورم؟

-ربما! على أية حال لقد قمت بصفتي طبيبًا شرعيًا بتشريح الجثة ولم أجد فيها أي شيء يوحي بذلك على الإطلاق. كما أننا أخضعنا أجهزة الجسد للاختبار وتابعت المسألة مع عدد من الأطباء الزملاء والعاملين في معامل التحليل ولم تكشف أي جهة عن وجود آثار أو علامات تشير إلى وجود تلك المادة السامة.

-ورغم ذلك فإن ما توصلت إليه من خلال عمليات الفحص يُخبرني أن سبب الوفاة لم يكن طبيعيًا، فلم تكن الفتاة تُعاني من ضعف في عضلة القلب. وكذلك لم تكن تعاني من أي مرض آخر. فقد كانت صحتها قوية جدًا كما أنها كانت شابة مفعمة بالحيوية والنشاط، ولكن ربما حقنها أحدهم بمادة مخدرة سامة لا تترك أثرًا في الجسد للاستدلال عليها بعد ذلك.

-وماذا عن تلك الحروق المُنتشرة حول العين وأرنبة الأنف والوجنتين أيها الطبيب؟، سأله المُحَقق اللورد بيتر

-أعتقد أنها ربما تكون ضمن الآثار الجانبية الناجمة عن تلك المادة السامة فحسب، فعادةً ما تحدث أمور كتلك في غاية البساطة! كما أن تقرير تشريح الجثة يُفيد بذلك.

-هل من الممكن أن تقتل تلك المادة المُخدرة شخصًا ما وتُنهي حياته بهذه البساطة؟

-أجل، بالطبع من الممكن أن يحدث ذلك خلال ثوانٍ فقط إذا تنفَّسها أحدهم! فهيَ تُدخل الشخص في غيبوبة فورية ولا يتمكن من التعامل معها أو الإفاقة منها بسهولة. أعتقد أن الآنسة فيرا كانت تغفو قليلًا في إحدى الحدائق لبعض الوقت بينما كانت صديقتها المقربة ماري ويتكار تتجول في مكانٍ آخر ثم اختطفها شخص ما وعاد مُجددًا للتخلص من الآنسة فيرا فيندلاتر.

-في الواقع لست مُقتنعًا جدًا بوجهة النظر تلك، فلماذا قد يعود إذن إليها مرةً أخرى؟

-إذن هل تظن يا سيد بيتر أن السيدتين كانتا نائمتين معًا وتم تخديرهما بمادة الكلورفورم السامة في وقتٍ واحد؟

-لا يبدو ذلك السيناريو منطقيًا بالنسبة لي أيضًا

سرد اللورد بيتر ويمسي التاريخ المُثير للريبة الذي يخص الآنسة ماري ويتكار على أسماع الطبيب الشرعي، وحينها أصغى إليه الأخير بحالةٍ من الذُعر المُمتزجة بالدهشة.

-ما الذي تعتقد أن الآنسة ماري ويتكار قد فعلته بدورك؟، سأله الطبيب

-في الواقع أعتقد أنها قررت التخلص من الآنسة فيرا فيندلاتر، تلك الفتاة المسكينة التي كرست حياتها بأسرها لخدمتها. فقد نظمت جولة برفقتها إلى إحدى تلك الغابات البعيدة المنعزلة، وهناك قررت أن تقوم بقتلها إما عن طريق حقنها بتلك المادة السامة المخدرة أثناء نومها أو بأي طريقة أخرى، ربما مثلًا قامت بضرب رأسها بالحائط الصلب وربما دفعت بها عبر الشجيرات المُتزاحمة المتراصة. لقد قمت كذلك بفحص البصمات المطبوعة على قبعة الرجل الصفراء ولديّ شعور أنها ربما لم تكن تخص رجلًا من الأساس، إنما تخص امرأة فربما كانت الآنسة ماري ويتكار تعتمرها.

-ولكن ماذا عن آثار الأقدام المُنطبعة في الغاباتِ؟

-في الواقع كنت سأتحدث لتوي عن ذلك الأمر، فأنا أعتقد أنها ربما تعود إلى أسبابٍ غريبة بعض الشيء، فإذا كانت تلك الآثار تخص أحد أفراد رجال العصابات السِرية فلماذا إذن تعيَّن عليهم الخروج من تلك الأرض الطينية الرطبة على بُعد عشرين ميلاً من البلدة تاركين آثارهم هناك؟ بينما كان

يمكنهم اتباع أي مسارٍ آخر لا يترك بدوره أي دليل على مرورهم من هنا، فالأمر في غاية السهولة وأظن أن رجال العصابات المُحترفين أكثر لؤمًا من الوقوع في خطأ تافه كهذا!

-هذا تحليل جيد، كما أني أُضيف إليه مسألة تركهم لتلك القبعة الصفراء التي تخص أحدهم. فلو كانوا تذكروا فعلًا شيئًا كهذا فلماذا لم يعد أحدهم إلى مكانه لإزالتها؟

-بالضبط يا عزيزي المُحَقق، كما أن آثار الأحذية المطبوعة على الأرض الطينية كانت خالية تمامًا من أية علامات للاستدلال على أصحابها، فهي مجرد أشكال عشوائية مُبهمة.

-ولكن انتبه يا بيتر، إن آثار الحذاء المطاطي سالف الذكر يشير إلى أنه حذاءٌ جديدٌ اشتراه صاحبه للتو!

-هل بإمكان أحدهم إحضار المُصَور إلى هنا الآن حتى نتمكن من الاطلاع على كافة الصور الخاصة بالواقعة، وسوف نرى إن كان هناك شيء مجدٍ.

-أعرف بالطبع أنه ليس هناك أية غرابة في أن ينتعل أحدهم حذاءً جديدًا، لكن ما أود قوله هو أن الأمر ليس شائعًا وهذا يستوجب بعض التأمُل والدراسة.

-معك حق يا سيد بيتر، ولكن عليك أيضًا الانتباه إلى تلك المعلومة التي توصَّل إليها المعمل الجنائي والتي تقول إنَّ أحد ذيْنكَ الرجلين كان يملك قدمًا أكبر من الأخرى.. هذا أمر نادر في حد ذاته! وهذا يجعلنا نميل إلى تصَوُّر شكل الرجل بأنه كان أكبر حجمًا وضخامة بالإضافة إلى خطواته السريعة العريضة، وهذا يجعلنا نظن أنه بإمكاننا التأكد من تلك النقطة عند قياس آثار الأقدام، ولكن ما توصلنا إليه كان مفاجأة كبرى أيها المُحَقق!

فالرجل الكبير والمرأة وكذلك الرجل الآخر الضئيل كان لهم نفس مقاس القدم سواء من حيث الحجم أو الطول. كما أنَّ كعوب أحذيتهم انغمست في نفس العُمق تقريبًا. أضِف إلى ذلك أنها كانت تحمل بدورها نفس الوزن.

-يا إلهي! أعتقد أنها مسألة في غايةِ الغرابة فعلًا! هل كان هذا كله من قبيل الصدفة مثلًا؟!

فكر الطبيب الشرعي لفترةٍ من الزمن ثم قال:

-أعتقد أن ما أقوله الآن يخدم بدوره وجهة نظرك الأولى يا سيد بيتر. فالمسألة وما فيها تتعلق بإمكانية قيام الآنسة ماري ويتكار بارتكاب تلك الجريمة بمفردها واستخدامها بعض الوسائل والخدع حتى تقوم بقلب الحقائق رأسًا على عقب.

-هل تقصد أن الآنسة ماري ويتكار هي مَن قتلت صديقتها المُقربة وجارتها المخلصة الآنسة فيرا فيندلاتر؟ ولكن ماذا عن آثار الأقدام المطبوعة في الغابة والتي تُشير إلى وجود ثلاثة أشخاص وليس شخصاً واحداً؟

-أظن أن الآنسة ماري ويتكار هي مَن قامت بتضليلنا. فقد استخدمت أحذية أخرى لأشخاصٍ آخر وطبعت آثارها على الأرضِ الطينية حتى تجعلنا نعتقد بوجود ثلاثة أشخاص بدلًا من شخص واحد!

-أوه! يا لها من خطة مُحكمة حقًا!، قالها المُحَقق بيتر ويمسي ثم قاطعه الطبيب الشرعي مُضيفًا:

-أجل، لكنني بذلت قصارى جهدي ألا أُخبر أحد رجال الصحافة بتلك المعلومة أبدًا حتى نحافظ بدورنا على سِرية المعلومات ورسميَّتها، ومنعًا من أن تصل تلك الأنباء إلى الآنسة ماري ويتكار فتشرع في اتخاذ حذرها خلال الفترة القادمة.

-هل توصلت بدورك إلى استنتاجٍ آخر أيها الطبيب؟
-أجل، أعتقد أن السيدة فورست هي شريكة الآنسة ماري ويتكار في الجريمة. حيث إنها قد أحضرت سيارتها إلى هناك وانتظرتها في منتصف تلك المنطقة المنعزلة حتى تُنهي بدورها ما تقوم به، فلقد كانت تقود تلك السيارة الضخمة، تنتظر حتى تنتهي الآنسة ماري ويتكار من الاعتداء على صديقتها وقتلها بطريقةٍ وحشية. كما أنه من المُحتمل أن تكون شاركتها في محو آثار الأقدام الحقيقية ووضع بصمات أحذية أخرى لإبعاد التهمة عنهما بكل السُبل.
-وماذا بعد؟
-وعندما أتَمت ماري ويتكار مهمتها الخاصة وأنجزت عملها وضعت منديلها إلى جوار مجلة "القناع الأسود" التي تنشر قصصاً من الخيال العلمي، ثم انطلقت إلى سيارة السيدة فورست وتوجّهتا معًا إلى منزلِ الأخيرة.
-هل لديكم أوصاف تلك السيارة؟
-أجل لقد تأكدنا أن السيارة كانت ماركة رينو، كما أن حجمها كان ضخمًا ورقمها x04247 كما أننا علمنا من مصادرنا أن السيارة قد عادت إلى مرآب السيدة فورست ليلة الإثنين حيث كان سالفة الذكر تقودها بنفسها حسب أقوال شهود العيان.
-وماذا عن الآنسة ماري ويتكار؟ ألم تكن برفقتها داخل السيارة في تلك الليلة؟ ألم يرها أحد؟
-كلا. لم يرها أحد برفقة السيدة فورست، لكنها على الأرجح مختفية في مكانٍ ما لا أحد يعلم عنه شيئاً. كل ما يتعيَّن علينا فعله الآن هو أن نجدها فلن تتمكن من سحب أي مبلغ مالي من حسابها البنكي خلال الفترة الحالية،

لأننا قمنا بفرض حظر على أموالها. وإذا حاولت السيدة فورست القيام بذلك الدور نيابةً عن شريكتها فلن تتمكن من المُضي قُدمًا لأننا قمنا بوضعها تحت المُراقبَة. على أية حال كلما ساءت أوضاع القضية أكثر فأكثر كلما صبَّ هذا في صالحنا.

-أريدك أن تضع في الاعتبار أيضًا يا سيدي تلك المعلومة الجديدة التي وصلتنا للتو من قسم الشرطة والتي تُفيد بأنه قد تم إلقاء القبض على القس داوسون العجوز بعد أن تم الإمساك به وبحوزته سند يرغب في صرفه من البنك، والذي كان يحمل اسم الآنسة ماري ويتكار! ألا تذكر ما قاله ذلك الرجل الأسود في السابق عن تلك المرأة؟ لقد وصفها بأبشع الصفات وقال إنها امرأة عديمة الشفقة والرحمة لأنها منعته من الحصول على هذا المبلغ المالي الرمزي الذي كانت السيدة أجاثا داوسون ترسله إليه من آنٍ إلى آخر.

-وهل حققت معه قوات الشرطة بخصوص هذا الاتهام؟

-أجل وقد سرد على أسماعهم قصة ساذجة غير منطقية على الإطلاق لم يعتمد فيها على تقديم تفسيراتٍ عقلانية لتلك الأمور التي هي مَحَط فضول الجميع ودهشتهم، فلقد تذرَّع الرجل بحجة الغياب طيلة الوقت خلال حملته الدفاعية عن نفسه أمام القضاة ورجال الشرطة.

التقى المُحَقق اللورد بيتر ويمسي السيدة كليمبسون مرشدة الشرطة السِرية وقال لها:

-في الواقع يا سيدة كليمبسون لديّ الكثير من الأخبار الجديدة المُربكة بعض الشيء، فنحن نعتقد أن الآنسة ماري ويتكار قد ألحقت الأذى بصديقتها المُقربَة الآنسة فيرا فيندلاتر!

-وكيف ذلك يا سيد بيتر؟ لقد كانت الآنسة فيرا شديدة الإخلاص لها!

فأنا بنفسي تحدثت معها مرارًا وتكرارًا، وأكدتْ لي أنه لا يمكنها العيش من دون الآنسة ماري، فهي تعتبرها الصديقة الأقرب إلى قلبها كما أنها فضلت ألا تتزوج بأحدهم وتظل ماكثة إلى جوارها إلى الأبد، لقد ناقشتُها بنفسي في تلك النقطة بشكلٍ تفصيلي خلال آخر مرة!

-نحن نعتقد أن الآنسة ماري ويتكار كانت تمتلك الكثير والكثير من الأسرار التي رغبت في إخفائها عن الآخرين، كما أن الآنسة فيرا لم تكن على علم بذلك، فقد بذلت الآنسة ماري قصارى جهدها من أجل التخلص من الآنسة فيرا لأنها كانت بمثابة عقبة حقيقية في حياتها من دون أن تدري المسكينة بحقيقة الأمر!

-ولكن يا سيدي المُحَقق هل لك أن تخبرني بتلك الدوافع التي قد تجبرها على التصرف على هذا النحو؟

-هناك عدة شواهد تؤكد صدق ما أقوله لكِ للتو يا سيدة كليمبسون. فالآنسة ماري قامت بعدة أمور مُثيرة للريبة خلال أحداث تلك الواقعة، ومنها على سبيل المثال أنها قامت بسحب مبالغ مالية ضخمة خلال الفترة الأخيرة من حسابها البنكي من دون وجود سبب معلوم لقيامها بذلك، وأيضًا يتعيَّن علينا أن نضع في الاعتبار حكايتها مع القس داوسون، ذلك الرجل الزنجي الذي لم تكن تطيق وجوده في بداية المطاف ومنعته من الحصول على المنحة المالية الرمزية السنوية التي اعتادت عمتها الكبرى السيدة أجاثا داوسون على إرسالها له. يمكنني القول إننا أيضًا تعقبنا خط سيرها خلال الليالي الماضية التي سبقت مقتل الآنسة فيرا صديقتها المقربة، واكتشفنا بدورنا أنها كانت برفقة رجل غامض في لندن!

-رجل؟ الآنسة ماري ويتكار؟ أعتقد يا سيدي أنه ربما يكون هناك خطأ

ما! فلقد أكدت لي الآنسة فيرا فيندلاتر أن صديقتها المقربة لم تكن لتقيم أية علاقة بأحدهم كما أنها ترفض مسألة الزواج رفضًا قاطعًا، فكيف من الممكن أن يحدث شيء كهذا فجأة؟

-يمكننا القول إن هذا السؤال على وجه التحديد هو ما ننشد البحث عن إجابة له الآن، فنحن نبذل قصارى جهدنا لنكشف هوية ذلك الرجل المجهول، فمن المُحتمل أن يكون حبيبها!

-ماذا؟ ولماذا قد تخفي شيئًا كهذا عن الآنسة فيرا فيندلاتر؟

-قُلت لكِ يا آنسة كليمبسون إن صاحبتنا تُخفي الكثير من الأسرار التي لا تود أن يعلمها أي أحد تحديدًا تلك الفتاة التي كانت تلعب دور صديقتها المُقربة وشريكتها في العمل. وفي نهاية المطاف انظري لما حدث لها! نحن نعتقد أنها كانت تواعد أحد سُكان شارع أودلي الجنوبي.

-هل تعتقد يا سيد بيتر أن الآنسة ماري ويتكار قامت بقتل صديقتها بدافع الغيرة؟، سألته السيدة كليمبسون شاعرةً بالارتباكِ الشديد، فهي لم تظن للحظةٍ واحدة أنها قد تنتهي حياة الآنسة فيرا فيندلاتر على هذا النحوِ المؤسِف! لم تكن تعتقد أنها قد تؤذي صديقتها المسكينة تلك بهذه الصورة، فالمسألة وما فيها جعلتها تشعر فجأة بحالة من التَشَوش الذهني، فهي تتذكر جيدًا أن الآنسة فيرا لم تسرد لها حتى وقائع أي شجار قد حدث بينها وبين تلك المرأة التي أخلصت لها واعتبرتها صديقتها الأقرب، فكيف من الممكن أن تنشأ بينهما علاقة قائمة على الكراهية والغيرة؟ ففي آخر مرة تحدثت فيها مع الآنسة فيرا أكدت لها أنها لن تُغادر صديقتها ماري يومًا.

-ولكن كيف تكون الآنسة ماري ويتكار هي مَن خططت لكل ذلك يا سيد بيتر، وكما تعلم بدورك وحسب إفادة الآنسة فيرا أنها لم تتركها للحظة خلال

تلك الجولة الأخيرة التي ظنت خلالها شقيقة الآنسة بيرثا جوتوبيرد أنها قد رأتها للتو؟

-هناك عدة احتمالات يا سيدة كليمبسون، فما أعتقده أن ماري ويتكار قد خططت لكل شيء إما من خلال استعانتها بالسيدة فورست أو من خلال مُساعدة ذلك الرجل اللندني الغامض لها.

ذهبت السيدة كليمبسون لاحقًا إلى القرية لتجمع كافة الأخبار والشهادات التي تخص قصة اختفاء الآنسة ماري ويتكار ورفيقتها فيرا فيندلاتر، وحينها استمعت إلى تلك الأقاويل التي تؤكد وقوع الحادث لكنها تذكرت بدورها مدى صدق وإخلاص الآنسة فيرا التي لم تُحدثها يومًا عن صديقتها المُقربة بنبرة توحي بالغيرة أو الكراهية أو الحقد، فلماذا قد تفكر الأخيرة في شيءٍ كهذا إذن؟ لابد أن هناك سِراً ما قد حثَّها بدوره على ارتكاب فعلتها تلك.

أخذت المُخبرة السِرية تفكر في صمت حتى تتمكن من تدوين ملاحظاتها الخاصة تجاه القضية الجنائية لتبعث بها إلى السيد بيتر ويمسي على الفور.

-يجدر بي إخبار المُحَقق بيتر ويمسي بكل شيءٍ أعرفه، هكذا حدثت نفسها على استحياء.

استيقظت السيدة كليمبسون في صباح اليوم التالي شاعرةً بحالةٍ من الاضطراب الغريب، كان هذا اليوم يُوافق الجمعة وحينها شعرت بوخز الضمير وقفزت من موضعها على الفور لتخرج إلى الشارع وتبدأ في طرح المزيد من الأسئلة ضمن هذا الاستجواب الذي يخص قضية اختفاء السيدتين ماري وفيرا، وحينها أيقنت أن أهالي البلدة يعيشون حالة من الارتيابِ الظاهر، فقد أصابهم الذُعر بعد اختفاء الآنسة ماري ورفيقتها بغتةً، كما أن الجميع بدؤوا يخشون أن يتكرر ذلك الحادث مع فتيات البلدة.

شعرت السيدة كليمبسون بالارتباكِ الشديد فلم تكن تعرف حقًا كيف بإمكانها مواصلة طرح الأسئلة. فبمجرد ذكر أسماء السيدات المفقودات تُثار حالة واضحة من الهلع بين الجميع.

توجهت السيدة المُحَققة بدورها إلى منزل الآنسة فيندلاتر لتطرح بضعة أسئلة على أفراد أسرتها، وحينها أيضًا أكد لها طاقم العائلة ما كانت تعرفه بالفعل من قبل، وهو أن الآنسة فيرا كانت برفقة صديقتها الآنسة ماري ويتكار طيلة الوقت وأنهم لا يعرفون عنها أي شيء على الإطلاق. كما أن إحدى قريباتها قالت إن فيرا كانت تلتصق بالآنسة ماري تمامًا كما ظلها، وأنها لم تُغادرها للحظة إلا في تلك الأوقات التي كانت تذهب فيها بمفردها إلى ساحة الكنيسة من أجل الصلاة.

ذهبت السيدة كليمبسون بهدف التجول قليلًا في الخارج ربما يمكنها استنشاق بعض الهواء النقي ثم تعود مرةً أخرى بهدف التواصل مع السيد بيتر ويمسي المُحقق لتخبره بتلك المعلومات التي حصلت عليها من أهالي البلدة وكذلك من أسرة الآنسة فيرا فيندلاتر. لم تكن السيدة كليمبسون تُدرك بدورها أن تلك المعلومات التي حصلت عليها كانت بسيطة ومتواضعة جدًا مُقارنةً بهذا الكم الهائل من المعلومات التي يمتلكها السيد بيتر ورفيقه باركر! فعندما اتصلت بهما باغتها ما سمعته لتوها! فقد أخبرها المُحققان بما حدث شارحيْن لها كواليس وتفاصيل الجريمة، كما أنهما ذكرا مسألة تلك السيارة الضخمة التي كانت تنتظر وسط الغابة. فكرت السيدة كليمبسون حينها في الذهاب إلى شارع أودلي الجنوبي بغية التقاء اللورد بيتر هناك، فهي لم تكن على علم أنه قد توجه إلى شاطىء كرو. لقد تمنت بصدق أن تعثر عليه في المدينة وعلى هذا فقد شعرت برغبةٍ شديدة في الذهاب الفوري إلى شارع

أودلي من أجل البحث عنه. لم تكن تعرف ما الذي يتعيَّن عليها فعله تحديدًا بعد أن وصلت ولكن هذا ما حدث. ارتبكت السيدة كليمبسون المُحَققة السرية، فبعد أن وطأت قدماها شارع أودلي أحست بالحاجة إلى السفر إلى واترلو من أجل تفقد كافة تلك الأوراق والمستندات التي تخص قضية مقتل الآنسة فيرا، لكنها خشيت أن يقوم السيد بيتر ورفيقه باركر بالاتصال بها وقت سفرها عبر القطار. قبل أن تتوجه السيدة كليمبسون إلى هناك وجدت بانتر الخادم الخاص بالمُحَقق تشارلز باركر يقف أمامها مُباشرةً وكأنه قد ظهر فجأة من العدم! وحينها تيبست في مكانها وسألته عن سبب قدومه المُفاجىء، وحينها أخبرها أن سيده قد أرسله حتى يتسلم منها خطاباً تتناول فيه كافة تلك المعلومات التي قامت بجمعها من أبناء القرية. وبالفعل كتبت السيدة كليمبسون خطابها وأرسلته مع بانتر إلى اللورد بيتر ويمسي، ثم توجهت بدورها إلى شارع أودلي الجنوبي وأثناء سيرها أدركت أنها لا تعرف جيدًا ما تنوي فعله.

مضت السيدة كليمبسون المُحَققة السِرية في طريقها من دون أن يلمحها أحد على الإطلاق. كانت تتخيل بينها وبين نفسها لحظة لقائها بالآنسة ماري ويتكار ومواجهتها لها بما تعرفه. ربما تتمكن بدورها من اللقاء بها في إحدى الزوايا الضيقة المُظلمة. ربما باستطاعتها الحصول على معلومة حساسَة والإيقاع بتلك المرأة للإمساك بها. كانت تتصور هيئتها وطريقة سيرها في الشارع العام وأخذت تتساءل بعجبٍ واضح:

-تُرى هل من الممكن حقًا أن ألتقيها الآن؟ هل بمقدوري إلقاء القبض عليها بعد الإيقاع بها في فخ الاعترافات؟

توجهت السيدة إلى أحد محلات العطارة القريبة منها وهناك عثرت على

زجاجة صغيرة تحتوي على دواء مُضاد لحساسية الأنف. أمسكت به قليلًا واستنشقته ثم قالت للبائع:

-أوه! تبدو رائحته ذكية!

-أجل يا سيدتي، إنه يُستخدم كعلاج فعال في التخلص من حساسية الأنف، فلقد حصلت عليه إحدى زبوناتنا من مدة قريبة من أجل هذا الغرض، وأكدت لي أن مفعوله كان أشبَه بمفعولِ السِحر!

أخذ البائع يُحدِث السيدة كليمبسون عن قوة هذا الدواء واستطاعته التخفيف من التهاباتِ الأنف وآلامها، وواصل حديثه بشكلٍ عام عن أهم تلك المنتجات التي يبيعها في متجره المتواضع، ثم قامت السيدةُ كذلك بشراء فرشاة أسنان. في تلك الأثناء أخبرها البائع أيضًا أن هذا الدواء يُستخدم في علاج الحُمى مما يساهم بدوره في الحد من هذا النوع من الأمراض، كما أنه ضرب مثالاً بآنسة شابة جميلة كانت قد قامت بزيارة المكان واشترت تلك الوصفة التي قالت إنها بحاجة إليها بشدة. وبالفعل فقد امتدحتها لاحقًا وقالت لي إن نتيجتها كانت مُمتازة. قدَّم لها البائع أوصاف تلك المرأة وقد وجدتها السيدة كليمبسون مُطابقة تمامًا لأوصاف الآنسة ماري ويتكار.

لم يكن الرجل يملك أية معلومات أخرى بإمكانه منحها لها، فكل ما يعرفه جيدًا تلك المواصفات الشكلية التي سردها لها بشكلٍ تفصيلي. وحينها زادت حيرة السيدة كليمبسون فهي لا تعرف حقًا كيف بمقدورها التصرف الآن؟ إنها تشعر أنها باتت فجأة على غير طبيعتها وكأنها كانت تتصرف في السابق بروح أكثر جرأة والآن تشعر بأنها امرأة عجوز غير قادرة على التحلي بالمُغامرة، فكيف لها حقًا أن تستعيد نفسها؟ كيف لها أن تُحلِق بعيدًا في سمواتها الهائلة المفتوحة حتى تتمكن من فك رموز تلك القضية؟

فلطالما كانت السيدة كليمبسون امرأة خفيفة تتمشى برشاقةٍ على رصيفِ تلك الموضوعات الجنائية التي كانت تتولى زمام البَت فيها والتَنقيب بداخل ملفاتها. ها هي في تلك اللحظة تحس وكأنها قد فقدت كامل شغفها، فكيف لها أن تشعر بعكس ذلك بينما لا يمكنها الإمساك بخيوط تلك الجريمة؟ فهذه أول قضية تجعلها تقف أمامها في ذهولٍ على هذا النحو! فحتى تلك المرأة المُشَتَبه بها والتي تُدعى ماري ويتكار ليس هناك أي دليل يُقيدها حتى هذه اللحظة! فما الذي يتعيَّن عليها فعله إذن؟

ذهبت السيدة كليمبسون إلى مقهى صغير ينطبع بزاوية الطريق كما الشامة فوق جبين إحداهن، وجلست هناك تتناول كوبًا من القهوة لتخطط لما يمكنها القيام به في شارع أودلي الجنوبي. إنها تحتاج إلى جرعة هائلة من الحماس في اللحظةِ الراهنة تدفع بها إلى إيجاد ثغرةٍ ما في تلك القضية. ها هي تُفَتِش عن معلومةٍ لم ينتبه إليها السادة المُحَققون بعد. ها هي تُدير حوارًا صامتًا بينها وبين نفسها فقط من أجل التفتيش عن حيلةٍ جديدة لتَعَقُب إشارة ما تقودها إلى نتيجة مختلفة.

تنهض السيدة كليمبسون من مكانها بعد احتساء قهوتها وتتوجه ناحية الشارع العريض، هناك حيث تفتح ذراعيها بغية استنشاق هواء الحرية العليل. ها هي تفكر في طريقة جديدة للإيقاع بالآنسة ماري ويتكار المُجرمة المُشتبَه بها. لكن يتوجب عليها أولًا تحفيز نفسها أكثر بشراء معداتها المطلوبة لإنجاز المهمة على أكملِ وجه. ها هي تمضي بخُطى ثابتة ناحية متجر ملابس لتقوم بشراء ثوب جديد تشعر به أنها المرأة الحديدية، فالثياب الجميلة أيضًا تؤثر بشكلٍ أو بآخر على شخصية المرء فهي تجعله يشعر بكامل الثقة والقوة، وهذا ما حدث مع السيدة كليمبسون التي طارت على الفور إلى متجر آخر يبيع

النظارات، وحصلت بدورها على نظارة شمسية تُخفي احمرار عينيها حتى لا تبدو كامرأة مُسِنَة مجنونة مُحبطة. كما أنها التقت الآنسة ماري ويتكار من قبل فهي تعرف جيدًا أن تلك السيدة سابقة الذكر شديدة التأنُق لذا كان عليها أن تتأنق بدورها هي الأخرى حتى لا تبدو أقل شأنًا ولتملك كافة السيطرة على الموقف، فالحصانة المعنوية في تلك الحالاتِ هي ما تُشَكِل فارقًا حقيقيًا، وهذا ما يعرفه أيضًا رجالُ الشرطة، والمُحَققون، والمُخبرون السريون.

وصلت السيدة كليمبسون إلى شقتها متأهبةً لتلك المغامرة القادمة، فقد شحنت طاقتها بكل هذا الحماس اللازم ثم التقت مالكة منزلها عند الطابق الأرضي وحينها ألقت عليها المرأة التحية بكل حفاوة ثم سألتها بذهول:

-هل قرأتِ عن هذا الحادث المُريع يا سيدة كليمبسون؟، سألتها صاحبة المنزل بينما يبدو التأُثر جليًا على ملامح وجهها، ثم أجابتها الأخيرة:

-أي حادث يا سيدتي؟

أشارت إليها مالكة المنزل بإصبعها نحو الجريدة، تلك التي سرعان ما شرعت السيدة كليمبسون في مُطالعتها، وحينها وجدت تلك الحادثة التي تخص مقتل الآنسة فيرا فيندلاتر وتحكي وصفًا تفصيليًا لطريقة وقوع الجريمة. كتبت الجريدة المسائية المزيد من الوقائع المُثيرة للريبة، فقد قالت إنه حادث اختطاف وقتل وأن الضحية كانت الآنسة فيرا فيندلاتر، وأن رفيقتها الآنسة ماري ويتكار قد اختفت نهائيًا من المشهد بعد وقوع الحادث.

في الواقع كل تلك التفاصيل قادتها إلى التفكير العاجل أن الآنسة ماري ويتكار هي المُجرمة الحقيقية بالفعل، على الأقل فيما يخص حادثة مقتل الآنسة فيرا فيندلاتر. ربما ليس لها علاقة بقضية عمتها الكُبرى أجاثا داوسون، ربما لم تُخَطط لقتلها أو ربما لم تُقتَل السيدة أجاثا داوسون أصلًا وماتت فقط بطريقةٍ طبيعية.

على أية حال لقد باغتتها المفاجأة! فلم يُطلعها السيد بيتر ويمسي وكذلك رفيقه تشارلز باركر على الأمر، فكل ما سرداه لها بضع قشور لا تُغني ولا تُسمِن من جوع، وبناءً على ذلك لم تتمكن من بناء حُججها بشكلٍ منطقي صحيح، لذا فقد شعرت بالحاجةِ المُلِحَة إلى قراءة المزيد من التفاصيل والاستفسار عنها من جانب رجال التحقيق.

جدير بالذكر أن ما قرأته للتو شَكَّل صورة مُخيفَة أرعبتها كثيرًا فيما يتعلق بشارع أودلي الجنوبي. لقد رأته في ذهنها أقرب إلى موقع مُخَصص للمذابح والمعارك المُميتَة الغامضة الوحشية. أخذت تفكر: هل بإمكانها المُجازفة من أجل الذهاب إلى هناك بمفردها في تلك المنطقة المُنعزلة المُخيفة؟

في الواقع لم تكن السيدة كليمبسون من هذا النوع الذي قد يخشى خوض غمارِ التجربة، فهي امرأة قوية عنيدة تجد لذَّتها في الانطلاقِ نحو ساحاتِ المعارك، فحتى وإن كانت تعلم جيدًا أن هناك وحشاً كاسِراً ينتظرها خلف أحد الأبواب لا تتردد لحظة في الركض نحو هذا الاتجاه المُحَدد ما دام سيعود عليها بالنَفع في نهاية المطاف.

قامت المُحَققة السِرية بكتابة خطاب آخر طويل وأرسلته إلى السيد بيتر ويمسي حتى تكشف له عن خططها القادمة في حل تلك القضية الجنائية، بينما كان المُحقق برفقة صديقه تشارلز باركر وكذلك قوات الشرطة في شاطىء كرو. لم يكن هناك بالطبع أي مكتب بريدي في تلك القرية، على أية حال تأهبت السيدة كليمبسون للقيام بمهمتها الخاصة على أكملِ وجه وارتدت ملابسها ونظارتها الشمسية ثم توجهت إلى شارع أودلي الجنوبي بكاملِ أناقتها. مضت المرأة قُدُمًا للتفتيش في كافة الشقق السكنية في تلك المنطقة المحدودة، فقد حرصت كل الحرص على لقاء سُكان تلك المباني إذ

ربما تجد السيدة ماري ويتكار بينهم! لقد كانت تتخيلها تقف وراء أحد تلك الأبواب راسمةً ابتسامتها العريضة على وجهها ولكن من المؤكد أنها ستكون ابتسامة عصبية غير حقيقية، فحينها ستتحول مسألة إيجادها على هذا النحو بغتةً إلى دليل مادي يُشير بدوره إلى قيامها بارتكاب تلك الجريمة. فحينها لن تصبح مجرد طرفٍ مشتبهٍ بهِ أو شريكة مُحتملة في جريمة قتل، لكنها ستكون الطرف الأساسي الذي خَطط ونَفذ جريمته بكل احتراف ومهارة.

واصلت السيدة كليمسبون رحلتها البحثية بكل دأب من دون التَوقف ولو لفترةٍ قليلةٍ من الوقت، على الرغم من أن كل ذلك ضاع من دون جدوى، فلم تلمس المُحققة السِرية ثمار تجربتها تلك، فجميع السُكان لا يعرفون شيئًا على الإطلاق فيما يخص الواقعة سابقة الذكر، كذلك لم تعثر عليها السيدة كليمبسون تتخفى في إحدى تلك الشقق المتعددة.

ها هي تقف في مكانها على بُعد مائة ياردة وتنظر متأملةً اتجاهها الأمامي، وإذا بها تجد امرأة ما تتقدم نحوها بثقةٍ بالغة. على الرغم من أنه من الممكن أن يُخطىء المرء التَعرُف على أحدهم عبر تلك المسافة، إلا أن السيدة كليمبسون صاحبة النظر الثاقب قد استطاعت التَعَرُف الفوري على المرأة المُقابلة لها.

-يا إلهي! إنها الآنسة ماري ويتكار! أهذا معقول!، حدثت السيدة كليمبسون نفسها على هذا النحو في ذهول، وكأنها لا تُصدق ما تراه الآن!

تابعت سيرها خلف تلك المرأة التي بدأت تقترب من نافذة محل عطارة قديم وتقف إلى الجوار متأملةً محتوياته من الداخل. لم تتردد السيدة كليمبسون في الاقتراب أكثر. فها هي تقف الآن أمام ذلك المتجر الذي كانت تزوره منذ دقائق معدودة قبل أن تتوجه بدورها إلى مقهى البلدة لاحتساء قهوتها.

في الواقع بدت الآنسة ماري ويتكار بتلك الضخامة التي لا يُعقَل معها أن

تستسلم امرأة بتلك البنية الجسدية لمجموعة من الخاطفين. لقد كانت قوية حقًا فكيف ستتنازل بهذه السهولة إذن إذا لم تكن شريكةً رئيسيةً في الجريمة؟ ها هي السيدة كليمبسون تقف جامدةً في مكانها شاعرةً بحيرة بالغة. تتصرف وكأنها تُشارك في لعبة الانتظار. تمضي الآنسة ماري ويتكار إلى المتجر حيث يلتقيها البائع بكل ود مُلقيًا عليها التحية بينما تحاول السيدة كليمبسون استخدام إحدى حيلها بغية العودة إلى محلِ العطارة من أجل استرجاع فرشاة الأسنان والحصول على واحدة أخرى حتى تتمكن من اختلاس النظر. بالفعل ذهبت إلى هناك في الحال وطلبت من البائع ما تريد بينما توجهت الآنسة ماري إلى الخارج مُجَددًا. أرادت السيدة كليمبسون إطالة فترة وجودها هناك، لهذا قدمت المزيد من الاعتذارات والحجج للبائع حتى يسمح لها بالبقاءِ لفترةٍ أطول، فهي تريد أن تبدو الأمور أكثر منطقية. عادت الآنسة ماري مرة أخرى إلى الداخل فقد كانت تُلقي نظرة على تلك الصناديق الزجاجية الموجودة أمام المتجر والتي تشتمل على وصفات علاجية قام بصناعتها الرجل بيديه. ثم ركضت نحو البائع وبدأت بطرح بعض الأسئلة بصوتٍ أقرب إلى الهمس، وكانت تُراقبها السيدة كليمبسون من آنٍ إلى آخر ثم توجهت إلى الخارج حيث الشارع الرئيسي مرةً أخرى، هناك حيث كان يقف رجلٌ متواضع الهيئة يجر عربَة بسيطة بسرعة خاطفة وقد اقتربت منه الآنسة ماري جدًا بشكلٍ لافِت. من جانبها وقفت السيدة كليمبسون في إحدى الزوايا لتُراقب المشهد جيدًا من دون أن تُثير الظنون، وتظاهرت بأنها تقوم بربط حذائها مُتجنبةً النظر إليهما وجهًا لوجه.

من الواضح أن المرأة قد نسيت شراء سجائرها وعلى هذا فقد عادت إلى بائع التبغ صاحب العربَة المُتنقلة ثم تحركت بعد دقيقة أو دقيقتين على الأرجح

ومرت بجوار السيدة كليمبسون مُجَددًا بينما كانت الأخيرة تتظاهر بعدم اهتمامها بالأمر وبانشغالها الكُلي بربط حذائها. قامت ماري بإسقاط حقيبتها أرضًا عن طريق الخطأ ثم حملتها مُجَددًا بعد أن قامت بترتيب محتوياتها. مرت كذلك إلى جوار السيدة كليمبسون مرة إضافية من دون أن تُلقي نظرة عليها. توردت وجنتا السيدة المُحَققة السرية بغتةً، ثم واصلت المُضي في طريقها مرةً أخرى حيث إن الآنسة ماري وصلت إلى مدخل إحدى الشقق المجاورة، وبينما كانت السيدة كليمبسون تُعاني حقًا من أجل اتباعها فقد كانت تنتعل حذاءً ذا كعب عالٍ مما منعها من التقدم السريع على هذا النحو، فقد خشيت بصدق أن تفقد أثر الآنسة ماري ويتكار، (إذا كانت تلك المرأة هي الآنسة ماري حقًا فقد تكون شبيهتها فحسب). ذهبت الآنسة ماري مباشرةً إلى الردهة ثم اتجهت ناحية اليسار في انتظار لحظة هبوط المصعد، ثم تقدمت بضع خطوات وصعدت إلى مكانٍ مجهول. أخذت السيدة كليمبسون تحملق في المرأة أثناء صعودها إلى الأعلى عبر هذا الباب الزجاجي للمصعد، ثم انطلقت هي الأخرى لتتبعها وفي تلك اللحظة باغتها بواب العمارة واقترب منها ثم سألها:

-هل يمكنني مساعدتك بشيءٍ ما يا سيدتي؟

لقد طرح عليها هذا السؤال لأنه وجدها شخصًا غريبًا لا ينتمي إلى هذا المكان. ردت عليه السيدة المُحَققة في الحال أنها قد جاءت إلى هنا بحثًا عن شقةِ السيدة فورست فهي ترغب في زيارتها. هذا كل ما فكرت فيه السيدة كليمبسون. فقد خطر على بالها اسم فورست فجأة ثم أكدت للبواب أنها تبحث عنها. جاءها بواب العمارة مُحملًا بالحقائب ثم قادها إلى المصعد. جدير بالذكر أن السيدة كليمبسون قد قامت بانتقاء اسمٍ عشوائيٍّ. ´من بين

أسماء المُقيمين في المبنى السكني امرأة تعرفت عليها عندما وصلت إلى المدخل الرئيس اليوم. عندما سألت السيدة كليمبسون عن شقة السيدة فورست قال البواب:

-إنها تسكن الطابق الرابع، ولهذا طلب منها الانتظار قليلًا إلى حين نزول المصعد. هرولَ البواب إلى الممر وفي تلك اللحظة التي هبط فيها المصعد لاحظت السيدة كليمبسون عودة الرجل بائع التبغ صاحب العربَة المتجولة مرة أخرى. لم تُطِل السيدة المُحَققة النظر إليه، وتوجهت على الفور إلى شقة السيدة فورست ثم رَنت جرس الباب بطريقةٍ آلية.

لقد ظنت في بداية المطاف أن الشقة فارغة، ولكن بعد أن رنت الجرس للمرةِ الثانية سمعت لتوها صوت خطوات أحدهم.

فُتِح الباب ثم ظهرت امرأة ترتدي ثيابًا باهظة الثمن، كما أن وجهها يبدو مُتصلبًا كثيرًا.

نظرت إليها السيدة كليمبسون ثم قالت:

-مرحبًا، لقد جئت..

قاطعتها السيدة صاحبة الشقة ثم قالت:

-المعذرة، فأنا لا أنتظر أحدًا الآن

واصلت السيدة كليمبسون حديثها قائلةً:

-ولكن أنا....

حاولت مالكة المنزل إغلاق الباب بقوة، بينما قاومت ذلك السيدة كليمبسون راغبةً في توضيح المزيد

وفجأة وقعت عين المُحققة السِرية على وجه الآنسة ماري ويتكار داخل الشقة، تلك الأخيرة التي هرعت نحوها بسرعةٍ بالغة، ثم هتفت بصوتٍ مُحتَقِن:

-أنتِ؟!

-أوه؟ يا إلهي؟ هل أنتِ الآنسة ماري ويتكار؟، سألتها السيدة كليمبسون ثم أضافت:

-في الواقع لم أعرفكِ! لقد تغير شكلكِ كثيرًا هذه المرة!

-يا إلهي! هل أنتِ السيدة كليمبسون؟ ولكن ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟ هل هناك خطب ما؟، قالتها الآنسة ماري ويتكار ثم سمحت لها بالدخول على استحياء.

توجهنَ إلى الداخل حيث استرحن على تلك الأرائك المُبطنة بالوسائد الأرجوانية الحريرية.

-أعرف أنكِ شخصية متطفلة! كيف جئتِ إلى هنا؟ هل معكِ أحد؟

-أنا... الأمر فقط...، قالتها السيدة كليمبسون في ترددٍ واضح، فقد كان هناك فكرة واحدة تُسيطر على عقلها طيلة الوقت، ثم قالت على الفور بنبرةٍ عدائية:

-كيف تمكنتِ من الهرب؟ ما الذي حدث؟ مَن قتل فيرا فيندلاتر؟

كانت تعرف جيدًا أن أسئلتها تلك تبدو خشنة وغبية في آنٍ واحد، لكنها لم تتوقف لوهلة وواصلت حديثها:

-لماذا تتخفين بهذه الطريقة؟

-مَن الذي أرسلكِ إلى هنا؟، سألتها الآنسة ماري ويتكار بغضب بالغ

تجاهلت كليمبسون سؤالها وردت بسؤالٍ آخر:

-مَن كان هذا الرجل الذي برفقتكِ؟ هل هو هنا الآن؟ هل هو مَن قام بارتكاب جريمة القتل؟

-عن أي رجل تتحدثين؟

-أتحدث عن الرجل الذي شاهدتهُ فيرا يُغادر شقتك! هل هو...
-الأمر هكذا إذن. فيرا مَن أخبرتك؟ تلك الكاذبة. لقد طفح الكيل

لقد نجحت السيدة كليمبسون المُحَققة السرية في التعبير عن مشاعرها وانفعالاتها المكتومة بغتةً، تلك التي كانت تُخفيها لأسابيع، كذلك كان الحال مع تعبيرات وجه الآنسة ماري ويتكار.

في اليوم التالي التقت السيدة كليمبسون رجلًا غريب الأطوار ذا طلة عجيبة في أحد الفنادق الفخمة في البلدة، والذي كان يُنفق الكثير من المال ويمضي عددًا لا نهائيًا من الأوراقِ والسندات المالية أثناء جلوسه في حالة فوضى حول طاولته الضخمة مُمسكًا بحقيبة مُلفتة للنظر. كما أنه كان يجلس بمفرده حيث ما من أحدٍ ليُحيط به. ها هي تتأمله بعُمق. تعتقد السيدة كليمبسون أنها رأت ذلك الوجه من قبل. لقد كان يحمل بدوره تلك النظرة الإجرامية التي تعرفها هي وكذلك المُحَقق بيتر ويمسي. لم تتمكن السيدة كليمبسون من التقاط أنفاسها على النحوِ الصحيح ثم سألتها قائلة:

-مَن كان هذا الرجل؟

-الرجل. قالتها ماري ويتكار بعد أن غرقت في موجةٍ من الضحك فجأة
-من المُضحك حقًا أن تعتبري ذلك الرجل الذي يُدعى تيمبيلتون صديقًا شخصيًا لي! إنه ليس صديقي بالمرة يا عزيزتي، فلو كان كذلك لفكرت في قتله على الفور فأنا لا أُطيق مُصادقة أمثاله على أي حال.

-ولكن أين هو؟ وما الذي تفعلينه هنا في هذه البلدة في الوقتِ الراهن؟ ألا تعرفين أن الجميع يبحثون عنكِ؟! ولماذا لم... قالتها السيدة كليمبسون بنبرةٍ مُترددة بينما كانت الآنسة ماري ويتكار تواصل تصفحها لعدد من أعداد مجلة الأخبار المسائية أثناء استرخائها على الأريكة المخملية، وحينها أخذت

المُحَققة السِرية تُحدِق في أبرز عناوين الأخبار التي تتصدر الصحيفة والتي تمت كتابتها بالألوانِ الفاقعة اللافتة لجذب أعين القراء.

"اقرأ عن أحدث تطورات جريمة شاطىء كرو/ جروح الجسد العميقة التي أدت إلى الموت!/ آثار الأقدام المُزيفة.. مَن حاول التَحايُل على ضباط الشرطة؟

راقبتها السيدة كليمبسون عن قُرب، وثَبتت عينيها على وجهها جيدًا ثم هتفت صائحة:

-يا إلهي! إن هذا غير معقول حقًا!، قالتها ثم تراجعت بضع خطواتٍ إلى الخلف.. تحديدًا في تلك اللحظة التي اقتربت فيها ماري منها إلى حد التلاصُق، تلك التي وضعت يدها على كتفها لتقفز الأولى مذعورة بعد أن تحسست اقتراب يد ماري البيضاء الناعمة من عُنقها.



الفصل الثاني والعشرون

انقطعت الاتصالات بين المُحَقق اللورد بيتر ويمسي والسيدة كليمبسون مُخبرته السِرية في تلك الفترة التي عكف خلالها على تكثيف تلك التحقيقات التي تخص ملف القضية الجنائية. وعلى الرغم من أنه كان يتوق بشدة إلى معرفة المزيد من الأخبار من جانب السيدة كليمبسون ليتحقق من تلك المعلومات التي استطاعت جمعها، إلا أنه لم يفكر في العودة إلى مدينة ليمبتون التي كانت تسكن فيها، وواصلَ جهوده الحثيثة فقط في مُتابعة خط سير القضية، حيث أرسلت شرطة سكوتلاند يارد عددًا لا بأس به من رجالها لمراقبة عدة مناطق إنجليزية على أمل العثور على أحد أفراد العصابة يتسكعون هناك.

عندما تحدث اللورد بيتر ويمسي بلهجةٍ عصبيةٍ قَلِقَة حول غياب السيدة كليمبسون وانقطاع الاتصالات بينه وبينها حاول المُحَقق تشارلز باركر رفيقه طمأنته بكل السُبل وحينها قال له:

-لا تقلق يا عزيزي، دعنا نقول إن السيدة كليمبسون بأمانٍ الآن كما أنها ستنهي مهمتها بنجاح لتعود إلينا في القريبِ العاجل، فاللعبة بأسرها أشبَه بلعبة القط والفأر كما تعودنا أيها الرجل العجوز!

كان بيتر يشعر بالحَنَقِ الواضح، فقد أراد إجراء تحليلٍ للجسدِ ليتأكد من فحص كل هذه النتائج التي تشغله حتى يصبح واثقًا منها.

-لقد أرسلنا قوات من الشرطة لحراسة شقة السيدة فورست، وإبقائها تحت المُراقبة خلال أطول فترة زمنية مُمكنة. ولكن لا يتعيَّن علينا في نفس الوقت التسرع في إلقاء القبض على السيدة من دون العثور على أدلة قاطعة تُدينها، فعلى الأقل نحن الآن أمام أكثر من جريمةِ قتل وليس واحدة!

-هل الأمر كذلك؟
-أجل، ألا يستفزُّك هذا الوضع يا عزيزي؟ إنني أشعر بغليانِ الدماء في عروقي فقط لأننا لا نملك القدرة على اتخاذ أي قرار بخصوص تلك السيدة، مع أن أصابع الاتهام تُشير إليها بقوة إلا أننا نتجاهل كل ذلك وكأننا لا نراه أصلًا.
-أعتقد أنه لا يجدر بك قول ذلك يا بيتر، فأنت تعلَم أننا مُقيدون بالأدلة وفقط، فتلك هي الضوابط المُحكمَة التي نعمل وفقًا لها في مهنتنا تلك، وبالحديث عن الغليان فأنا أيضًا مثلك أحس بذلك الشعور، فلماذا إذن يتعيَّن علينا القلق الآن؟ فنحن نعمل بدورنا على واحدة من أصعب الجرائم، تلك التي لا تترك أثرًا وراءها، فكل ما يفترض بنا فعله في الوقتِ الراهن أن نكون مُغرمين بها، أتفهمني أيها الرفيق؟ فالجريمة المُثيرة الغامضة تطلب يد المُحَقق للرقص حتى يشرع الأخير في الكشف عن معالمِ حُبها على طريقته الخاصة.
-أوافقك الرأي يا عزيزي، لكني لا أرى الأمر يستقيم مثلًا على جريمة مقتل السيدة أجاثا داوسون، فأنا لا أراها جريمة مثالية على الإطلاق، فقط لو كانت الآنسة ماري ويتكار قد توقفت عند ارتكابها ولم تُحاول أن تقوم بإخفاء آثارها، لما كانت تصدَّرت المشهد على أنها "جريمة مثالية مُكتملة الأركان"
-كما تعرف يا عزيزي المُحقق ليس هناك جريمة كاملة على الإطلاق، كما أن حوادث الوفيات باتت أكثر عُنفًا وصخبًا الآن خلال تلك المرحلة، من المؤكد أننا على أعتاب مرحلة حرجة حساسَة يفكر فيها المُجرم بشكلٍ مختلف.
رنَّ الهاتف مرةً أخرى، وحينها رد المُحقق تشارلز باركر قائلًا:
-أجل، حسنًا أيها الضابط، هل هذا كل شيء؟
لقد قاموا بدورهم بإخضاع القبعة والحذاء وغيرها من الأشياء التي تمَّ

العثور عليها إلى جوار الجثة للتحرّي، والتي كشفت أنه قد تمَّ الحصول عليها من مدينة ستيفني من أحد المتاجر هناك. كما أننا علمنا من مصادرنا لاحقًا أنه قد تمَّ إرسالها إلى القِس داوسون في بلومزري وكان معها بطاقة بريدية مُدَوَن فيها "يُمنَح الطرد إلى حامله"، الأمر الذي تمَّ الكشف عنه في اليوم التالي من خلال موظف البريد الذي التزم بدوره بتنفيذ التعليمات، ثم أخذ الطرد وسلَّمه إلى سيدة ترتدي زي الممرضة. وعندما طُلِب منه وصف السيدة قال إنها طويلة وكانت تضع نظارات زرقاء وتلبس عباءة مُناسبات وغطاءً للرأس.

-وكيف تمَّ دفع ثمن الطرد؟

-من خلال حوالة مالية أُرسلت في المكتب الغربي المركزي.

-ومتى حدث كل ذلك على وجه التحديد؟

-يعتبر هذا الجزء هو الأكثر تشويقًا في الحكاية بأكملها، فقد حدث ذلك قبل أن تعود الآنسة ماري ويتكار وفيرا فيندلاتر من كينت بفترةٍ قصيرة. يبدو هذا كإشارة إلى نظريةِ المؤامرة، وكأنه دليلٌ على وجود جريمة ما.

-أعتقد أيضًا أن تلك المؤامرة قد تكون مُدَبَرَة من جانب القس داوسون. يجدر بنا إذن أن نتعقب الخطابات والآلة الكاتبة التي تمَّ الاعتماد عليها في الكتابة بغية استجواب كل هؤلاء الناس.

نهض اللورد بيتر ويمسون من مكانه بغتةً وذهب من أجل مُهاتفة الطبيب الشرعي ليطرح عليه بدوره بعض الأسئلة الخاصة بالقضية والتي شغلت باله مؤخرًا. ها هو يُمسِك بسماعةِ الهاتف قائلًا:

-مرحبًا أيها الطبيب، هل أنت معي الآن؟ أعتذر جدًا على إزعاجك ولكن. لقد أخذت أفكر في مسألة ما تخص القضية الجنائية بينما كنت أستلقي

مُمددًا على الفراش، وحينها واتتني فكرة مُدهشة على إثرها رغبت بشدة في التواصل معك، فتلك الضربة التي تعرَّض لها رأس الآنسة بيرثا جوتوبيرد وكذلك العلامات التي تركت أثرها على الذراعين كما تعرف تبدو وكأنها تخدم غرضين معًا، هل تعتقد ذلك؟ ما أقصده أنه ربما يكون المُجرِم قد تَعمَّد ترك تلك الآثار في هذه الأماكن المتفرقة من الجسد حتى تعتقد قوات الشرطة أن الضحية تعرضت بدورها إلى هجوم من جانب إحدى العصابات، وربما كانت تلك الجروح والعلامات تخفي شيئًا آخر، ربما علامة أصغر من حيث الحجم؟ كأن تُخفي آثار مادة سامة تم حَقن الفتاة بها، وقد يُغطي الجرح الأول علامات وقطوع كثيرة من تلك التي تظهر عقب الموت.

-كم أتمنى حقًا أيها المُحقق لو كانت فكرتك تلك صحيحة، فهي الأقرب إلى المنطق إذا قمنا بقياس الوضع من الناحية العقلانية. ولكن المشكلة الأبرز الآن هي أننا أمام مجموعة حوادث قد أثبتت تقارير الطب الشرعي أنها تخلو تمامًا من الاشتباه بجريمةٍ تخص الحقن بالموادِ السامة المُخدرة. لم يكن هناك أي تحليل أو إشارة تُفيد بذلك، ليس هناك أي علامة تُثبت ذلك فما أوضحته التقارير لاحقًا أن الوفاة كانت طبيعية، وقد كشف الأطباء عن هذا بشكلٍ تفصيلي أكثر. لم يكن هناك أي شُبهة في وجود جريمة قتل بأي سبيلٍ من السُبُل.

-وهل تعتقد ذلك شخصيًا أيها الطبيب؟ هل تظن فعلًا من جانبك أن الوفاة حدثت بشكلٍ طبيعي؟ ألا تشتبه في وجود سبب آخر وراء هذا الحادث؟

-في الواقع لا أعرف، ليس لديّ معلومة مؤكدة بشأن ذلك

قاطعه المُحَقق تشارلز باركر ثم قال:

-أعتقد أنه ربما استغرقتْ تلك الحكاية حوالي شهرين من أجل تدبيرها على هذا النحو.

-ولكن ماذا عن الطريقة؟ الطريقة أيها السادة؟ فها نحن مجموعة من أهم الباحثين والمُحققين والخبراء نقف الآن نُحدق في تلك القضية بأعينٍ مفتوحة من دون أن نعرف جيدًا أي معلومة تخص تفاصيل الجريمة! فلقد استطاعت مجرد فتاة بسيطة متواضعة الحال كانت تعمل ممرضة في إحدى المستشفيات الحكومية أن تهزمنا جميعًا بكل سهولة!! فما يشغلني الآن كيف حدث كل ذلك؟ فهناك مسألة غامضة وغريبة لم نختبرها من قبل خلال فترة عملنا في مجال التحقيقات

وافقه تشارلز باركر على ذلك، ثم قال له: كل ما نحن بحاجته الآن هو أن نتأكد بالفعل من فرضية ارتكاب تلك الجريمة. يتعيَّن علينا أن نعود بدورنا إلى ما درسناه في القانون الجنائي، أتذكر ذلك الولد الذي التقينا به خلال جولتنا عبر الغابات الفسيحة؟

-الولد الذي ظل عالقًا وسط الأمطار بسبب عُطل دراجته النارية التي قمت بدورك بإصلاحها له؟

-أجل يا عزيزي، في الواقع يعتريني الشعور بأن هذا الولد قد تعمَّد الجلوس في تلك المنطقة المُنعزلة من أجل لقائنا. فلم يكن الأمر أبدًا من قبيل الصدفة. فربما يعمل هذا الشخص لحساب المُجرم الحقيقي الذي كلفه بإنجاز تلك المهمة ومُراقبتنا حتى يستطيع التنبؤ بكل تحركاتنا خلال العمل على هذه القضية، فالرب وحده يعلم سبب تلك المؤامرة! لكنني أشم رائحة مُنَفِّرة في تلك القضية أيها السادة! فلو أن المُجرم بالفعل قام بإرسال هذا الفتى ليقطع طريقنا في تلك الجولة التفتيشية لدَل ذلك على شيءٍ مُحَدد، ألا وهو أن القاتل مُتَمكن إلى هذا الحد الذي يجعله يمتلك القدرة على مراقبة رجال التحقيق أنفسهم! هذا يعني أنَّ له عيناً سِرية، أو أنه قريب من الاطلاع على خط سير

القضية وأحداثها!

-أجل يا بيتر، فالمسألة في غايةِ الخطورة. أعتقد أنه يتعيَّن علينا الآن أن نشرع في مواصلةِ البحث في اتجاهاتٍ أخرى تبتعد قليلًا عن خط تقارير الطب الشرعي ونتائجها التقليدية. فما نريده بشدة في الوقتِ الراهن هو أن نخرج عن المألوف ونبدأ في البحث عن سُبل جديدة لحل شفرة تلك القضية المُحيرة.

-ما يُثير دهشتي الآن يا عزيزي بيتر هو سِر تلك الجولة الغامضة التي قامت بها الآنسة ماري ويتكار مع رفيقتها. لا أحد يعرف لماذا بادرتا بتلك الخطوة؟ وإلى أين اتجهتا؟ وما الذي خططتا له؟

-أشعر أن هناك سيناريو آخر قد تمَّ، وفي حقيقة الأمر يراودني الشعور أن الآنسة ماري ويتكار هي مَن قامت بحَقن صديقتها المُقربَة بمادةٍ سامة. ولكن يبقى هنا سؤال وحيد: تُرى هل كانت تعرف أن تلك المادة قوية إلى هذا الحَد الذي من الممكن أن يؤدي إلى الوفاة بشكلٍ طبيعي وسريع هكذا؟

-من المؤكد يا بيتر؛ فالآنسة ماري ويتكار كانت كما تعرف تعمل ممرضة في إحدى المستشفيات الحكومية في السابق، وبالتالي فهي تملك الخبرة اللازمة فيما يتعلق بميدان العمل والتي تؤهلها لاختبار طبيعة ونوعية المواد السامة ومدى قوة تأثيرها.

-هل تعتقد ذلك أيها الطبيب؟ هل يعرف المُمَرِض الكثير من المعلومات عن كيفية حقن المرضى بالمواد السامة المُخدرة؟ هل يمتلك الممرضون القدرة على تحديد واختبار قوة تلك المواد والتفرقة بينها؟ أم أنه لا يمكنهم ذلك؟

-في الواقع أيها المُحَقق بيتر ما يمكنني قوله لك إن خبرة المُمرض تمامًا كما خبرة الطبيب، فهو يعرف الكثير والكثير من تلك المعلومات الطبية الحساسة الهامة التي تؤثر بدورها على صحةِ المريض، وأنا أتفق معك على أن ما تعرفه

الآنسة ماري ويتكار ليس بالأمرِ الهيّن؛ فهي على دراية كاملة بخطورة تلك المواد السامة وقوة تأثيرها. وعليكم الانتباه إلى نقطة هامة فإذا تناولَ المريض كمية عادية من نوع معين من المهدئات لا يتعرض إلى شيء، ولكن إذا حصل بدوره على جرعة أخرى أكثر قليلًا يلقى بدوره حتفه لأن المهدئات تؤثر على عضلة القلب وتعمل على إضعافها تدريجيًا، ثم تؤدي إلى تَوقفها فجأة.

-وما الذي قد يؤدي إلى ذلك أيها الطبيب؟ ما الخطأ الذي قد تقوم به ممرضة ما ويؤدي بدوره إلى تحقيق تلك النهاية المأساوية؟

-يعرف المُمرضون جيدًا أن مسألة تعبئة الحقنة المُخدرة تتطلب مزيدًا من الحذر، كما أنه يتوجب عليهم ألا يتجاوزوا نسبة معينة لأن زيادتها تؤدي إلى مخاطر جسيمة؛ فقد ينتهي المطاف بموت المريض مثلًا بشكلٍ مُباغِت.

قالها الطبيب الشرعي، ثم صمت لبعض الوقت وأضاف:

-ربما لهذا السبب على وجه الخصوص يفترض بهم تحري الدقة وتوخي الحذر حتى لا تتسبب رفع نسبة المُخدر في نشر العدوى، ففي هذه الحالة يصل الضرر إلى حد إتلاف الدم وتلويثه، وكذلك يعمل على إلحاق الأذى بالقلب، الأمر الذي يصل بنا في نهاية المطاف إلى مُصافحة شبح الموت يدًا بيَد.

-هل معنى ذلك أن نسبة الوفاة عن طريق الحَقن بالموادِ المُخدرة نسبة أكيدة؟

-أجل، قالها الطبيب الشرعي بنبرةٍ واثقة

-وما هي الأعراض المُصاحبة لذلك أيها الطبيب؟

-بعض اللهاث وعدم القدرة على التقاط الأنفاس بشكلٍ صحيح، أضِف إلى ذلك هذا الجهد الميئوس منه من أجل مواصلة عمل الكلى، تلك التي تتوقف لاحقًا ثم يعقبها تَوَقُف عمل القلب، بالتأكيد هذا ما يحدث.

-وكيف يمكن الاستدلال على ذلك من خلال تقارير الطب الشرعي؟

-يمكن ذلك من خلال العلامات والآثار التي يُخَلفها تَوَقُف القلب، بالإضافة إلى أثر إبرة الحقن الصغيرة والتي ربما يمكننا الانتباه إليها إذا أمعنا النظر جيدًا.

-هل هذا كل شيء أيها الطبيب؟ أليس هناك أية دلائل أو إشارات أخرى؟، قالها المُحَقق تشارلز باركر

-أجل كما قلت لك يا عزيزي المُحَقق، فالقضية في غاية البساطة.

-وكيف يمكنك إثبات ذلك؟ فمن ناحيتي أرى أن القضية أشد صعوبة، ولكن علينا أن نحاول. هل يمكنك أيها الطبيب أن تذهب إلى المشرحة بنفسك لتتفقد جثة القتيلة لترى إن كان هناك علامات يحملها جسدها توحي بذلك؟

رنَّ جرس الهاتف فجأة، وإذ بالخادم بانتر يهتف مُناديًا على سيده المُحَقق تشارلز باركر. ها هو الأخير يتقدم نحو الهاتف ويرفع السماعة مُجيبًا:

-مرحبًا، ما الأمر؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ يا إلهي!

-مَن يُهاتفك يا باركر؟، سأله اللورد بيتر ويمسي

-إنه أحد رجالنا في شرطة سكوتلاند يارد، لقد أخبرني بخط سير الآنسة ماري ويتكار. لقد أفلتت من المراقبة ولا أحد يعرف عنها شيئًا الآن. جدير بالذكر أن الأمر قد حدث بالتزامن مع تلك اللحظة التي نشرت فيها المجلة المسائية تحقيقًا مُفَصلًا عن آخر تطورات قضية مقتل الآنسة فيرا فيندلاتر والعثور على جثتها وسط الغابات.

قالها تشارلز باركر ثم عاد متقدمًا نحو الهاتف مُجددًا ورفع السماعة وقال:

-يتعيَّن عليكم الآن التفتيش عن الآنسة ماري ويتكار في كل مكان، كما

أنه يجدر بكم إلقاء نظرة على المحطات وخطوط السكك الحديدية والأزقة ومتاجر الثياب ومحلات العطارة في بلومزري. فهي تعرف تلك المنطقة جيدًا ومن المؤكد أنها إذا حاولت الفرار سوف تتوجه على الفور إلى هناك من دون أي تأخير أو تَرَدُد. وبدوري سأتقدم نحو المدينة الآن. انتظروني.
قالها المُحَقق باركر، ثم أغلق الهاتف.
-هل أنت ذاهب إلى المدينة يا باركر؟، سأله اللورد بيتر ويمسي
-أجل، أعتقد أنه يجدر بنا الذهاب إلى هناك بأقصى سرعة حتى نتمكن من اللحاق بتلك المرأة المُشتَبه بها التي ربما تقوم بشيءٍ ما في الخفاء من شأنه تحريك خيوط الجريمة لصالحها كما هي العادة. فبعد أن كتبت الصحف المزيد من الأخبار والتفاصيل حول الحادثة نخشى أن تتخذ ماري ويتكار حذرها.
-حسنًا، ينبغي علينا الآن صعود السيارة والتوجه إلى المدينة، وألا نضيع المزيدَ من الوقت فالوضع خطير وما نحن بحاجته الآن أن نتنفس الصعداء حتى نواصل سعينا
جاء الخادم بانتر بغتةً في تلك اللحظة التي تأهَّب فيها المُحققان للمغادرة وهمسَ في أذن سيده قائلًا:
-أرسلَ أحدهم خطاباً من أجلك يا سيدي.
أمسك المُحقق تشارلز باركر بالخطاب بين يديه وتأمله جيدًا، فوجده عبارة عن سند مالي. من الواضح أن هذا هو السند المصرفي الذي أرسلته الآنسة ماري ويتكار إلى القس داوسون بشكل غامض مُريب ليس له تفسير منطقي حتى تلك اللحظة. فلماذا قد ترسل تلك المرأة تبرعًا ماديًا لرجل مُسِن قد تنكرت له في بدايةِ المطاف عندما ماتت السيدة أجاثا داوسون العجوز على

الرغم من أن الأخيرة كانت قد أوصتها قبل موتها بضرورة إرسال مبلغٍ ماليٍّ ثابتٍ إلى ذلك الرجل العجوز، لكن الآنسة ماري ويتكار تجاهلت تلك المسألة تمامًا. فحسب شهادة القس داوسون السابقة قد أكد أنه أرسل إليها مرارًا للاستفسار عن هذا المبلغ لكنها لم ترد عليه يومًا حتى احتلَّ اليأس قلبه وزَهد في الأمر. أيعقل هذا كله؟ هل من الممكن حقًّا أن تكون هناك مؤامرة بين الشخصين؟ هل خططت الآنسة ماري لأشياء أخرى وحرصت على إرسال المال للقس داوسون لأنه شريكها الأصلي في الجريمة؟

واصل المُحَقق بيتر رفع بصمات الأصابع عن السندِ المالي المُرفَق بداخِل الطرد. كانت هناك آثار لليدِ اليُسرى للشخص الذي أمسك بالسَند، وكذلك حمل الطرد بصمات أصابع عدد من الأشخاص المختلفين الذين أمسكوا به بدءًا من المرسل (الآنسة ماري ويتكار) والمُستَلِم (القس داوسون) ورجل البريد.

اقترب المُصور من المُحَقق وطلب منه أن يحصل على نسخة من الصور، وبالفعل سمح له المُحَقق بيتر بالحصول على نسخة.

شكره المصور وتمنى لهم رحلة استكشافية موفقة. مضى اللورد بيتر ويمسي برفقة صديقه تشارلز باركر وحينها أضاف الطبيب الشرعي الذي كان برفقتهما أن تلك الجريمة تكاد تنكشف كُليًا أمام الجميع، ولكن في حالة واحدة والتي تتمثل في التزام السِرية التامة وعدم نشر أية أخبار تتعلق بالحادث في الصحف حتى لا تعرف الآنسة ماري ويتكار شيئًا عن الحادث.

خلال رحلة عودتهم المُرهقة إلى شرطة سكوتلاند يارد التقوا الخادم بانتر في الطريق والذي قام بتوصيل بعض الرسائل إليهم حتى يعود بسرعة بالغة إلى المنزل. قابلهم رئيس شرطة سكوتلاند يارد بغتةً أثناء توجههم إلى هناك، وأخبرهم بمدى ضيقه وانزعاجه بسبب سماح المُحَقق تشارلز باركر

للصحافة بالنشر عن الحادث بتلك الطريقة التي أضرت بخطِ سير القضية. فقد بات الجميع يعرفون الكثير من التفاصيل عن المُشتَبه بهم رغم غياب وجود الأدلة والبراهين أصلًا، وهذا في حد ذاته يخلق نوعًا من الجدل الذي يضر بمسألة حل اللغز الجنائي، فمن الممكن مثلًا أن تفكر الآنسة ماري ويتكار في الهرب إما يوم الإثنين القادم أو الثلاثاء، ولن يعود الأمر بالنفع على أي طرف كان.

-أتفق معك يا سيدي، فلقد بات الوضع أكثر سوءًا الآن فنحن أمام ثلاثة أطراف مُشتبَه بها وهي: الآنسة ماري ويتكار، والقس داوسون، والسيدة فورست، أما عن القس داوسون فقد تمَّ احتجازه في مقر الشرطة وتم وضعه تحت المراقبة بعد أن تمَّ إلقاء القبض عليه مُمسكًا بالسند المالي المُرسَل من جانب ماري ويتكار، وبالنسبة إلى الأخيرة يتوجب علينا إبقاء أعيننا مفتوحة عليها قدر الإمكان لأنه من المتوقع أن تعود أدراجها مرة أخرى وتظهر في منطقةِ الشاطىء خلال توجهها إلى هناك من أجل جمع حقائبها ومتعلقاتها الخاصة، فمن المؤكد أنها ستفكر في السفرِ إلى الخارج.

-أعتقد أنك مُحِق يا سيدي، من المُحتَمَل أن يحدث ذلك فعلًا، ولكن أخبرني: ماذا عن السيدة فورست؟ هل هي تحت المُراقبة أيضًا؟

-أجل، فقد تم وضع السيدة فورست تحت المراقبة خلال الأيام الماضية واتضح أن السيدة تتصرف بشكلٍ طبيعي لا غموض فيه يخلو من أية غرابَة، كما أنها أيضًا لم تتورط في الوجود مع أحد على الإطلاق. فلدينا الكثير من رجالنا الذين يقفون كضباط حراسة أمام أسوار منزلها وكذلك يتتبعون خطواتها في كل مكان.

-وبماذا أفادت تقارير رجالنا؟

-لقد أكدوا لنا أن السيدة فورست كانت تذهب إلى التسوق والمنتزهات كما أنها عكفت على زيارة الأماكن السياحية، لكنها كانت تُصِر على تناول غذائها في المنزل. لم تلتقِ أحداً على الإطلاق خلال تلك الفترة. لم يذهب إلى منزلها أي شخص غريب. لم تُقرض أحدهم المال.

تقدم الخادم بانتر ناحية سيده تشارلز باركر ثم قال له:

-إليك هذه الصور الفوتوغرافية يا سيدي، لقد عثرنا عليها لتوِّنا

تأمل اللورد بيتر ويمسي ورفيقه باركر الصور وحينها قال بيتر:

-أجل، الصورة الأولى تشتمل على بصمات الأصابع التي حصلنا عليها بالفعل وقمنا بإرسالها إلى المعمل الجنائي، بينما ليس لدي أية فكرة عن الصورة الأخرى.

-في الواقع تبدو الصورتان مُتشابهتين بالنسبة لي يا سيدي، قالها بانتر

-حسنًا من الأفضل أن ترسلها إلى السيد رئيس قسم الشرطة حتى يتمكن من رفع كافة البصمات بنفسه من دون أي تردد لنصبح على بينةٍ من الأمر.

-ولكن هناك إشارة مكتوبة مُدونة أسفل إحدى الصور، والتي تحمل اسم السيدة فورست! هل من الممكن أن تكون تلك هي بصمات أصابع الآنسة فورست؟ هذا غير معقول!

-كما أنه من المحتمل أن يكون لها يد في مسألة السند المالي المُرسَل إلى السيد داوسون القِس!

-ربما هناك أطراف أخرى خلاف تلك التي نضعها في دائرة الاشتباه، فمن المحتمل أن تكون مثلًا السيدة فورست هي التي دبرت لقتل الآنسة فيرا فيندلاتر، وأن تكون هي ذاتها التي خططت لمقتل بيرثا جوتوبيرد

-وما لا تعلمه أيضًا أيها المُحقق أن تلك المرأة تضع شعرًا مُستعارًا!

-حقًا؟

-أجل فهي امرأة صلعاء! وقد اعتادت التخفي وراء شعر مُستعار أشقر. فأنا ما زلت أتذكر تلك الليلة التي قضيتها معها في منزلها عندما انقضت عليّ دفعةً واحدة مُلتصقةً بجسدي لتُقبلني من دون مقدمات، حينها فقط أصابني الذعر والارتباك تحديدًا عندما عدت إلى الوراء متأملًا قسمات وجهها فإذا بي ألمح شبحاً. كانت التجاعيد تملأ وجهها كما أني تأكدت في تلك اللحظة أن خصلات شعرها الصفراء تلك ليست حقيقية. أضف إلى ذلك ما فعلته بي عندما خدَّرتني! لقد سقطتُّ أسيرًا للنعاس في الحال، ولو أن سائق السيارة لم يعدْ إليّ ليأخذني لكنت ضحيتها الجديدة. أتعرف لماذا فكرت السيدة فورست في إلقاء القبض عليّ وتخديري؟

-لأنها رأتني برفقة شقيقة الآنسة بيرثا جوتوبيرد أثناء استجوابي لها، وعلى هذا فكانت تُخطط بكل السُبل لتصنع مني ضحيتها الجديدة. كانت تود أن تقتلني في شقتها لتُغلِق الملف نهائيًا، وهذا يعني شيئًا مُحددًا وهو أنها كانت تُراقبنا طيلة الوقت يا عزيزي المُحقق.

-أعتقد أن الآنسة بيرثا جوتوبيرد قد ماتت بعد حقنها بمادة مخدرة أيضًا، ثم سحبها أحدهم إلى منطقة الغابات المنعزلة الشاسعة وتركها هناك برفقة حقيبتها الصغيرة التي كانت تشتمل على الشطيرة وزجاجة النبيذ.

-هل أنت على علم اليقين بأن السيدة فورست هي الفاعلة؟

-في الواقع لست متأكدًا تمامًا، ولكن يتأرجح ظني ما بين السيدة فورست والآنسة ويتكار.

-حسنًا يتعيَّن عليّ الذهاب الآن، قالها بيتر

-هل تريد أن أذهب معك؟

-سيكون من الجيد أن ندعم بعضنا بعضاً في تلك الخطوة يا باركر. ربما سنحتاج مساعدةً أكبر.

ترنحت السيارة على الطريق المُزدحم ثم انحرفت إلى يمين شارع جيمس الرئيسي ناحية شارع أودلي الجنوبي، ثم تجاوزت محلاً لبيع الفاكهة، ثم انطلق المحقق بيتر ويمسي برفقة صديقه باركر إلى المدخل الرئيسي لإحدى العمارات السكنية. وعندما صعدا الدرج التقيا بواب العمارة وسألاه إن كانت الآنسة ماري ويتكار قد وصلت شقتها، وقد أجابهم أنها وصلت بالفعل منذ بضع دقائق، وحينها أيضًا سألاه إن كانت السيدة فورست قد عادت هي الأخرى وأجابهم بنعم. ربما كانا يقفان على أعتاب احتمالٍ خاطىء جديد في تلك القضية المُحيرة.

-هل أنت واثق أنها السيدة فورست وصديقتها ماري ويتكار؟، سأله المُحقق.

-في الواقع يا سيدي كانت السيدة ماري ويتكار ترتدي ثيابًا قديمة الطراز، لم أتحقق جيدًا فأنا لم أرغب في الاقتراب منها حتى لا تكتشف أمرنا، فقد التزمتُ الوقوف على مسافةٍ آمنةٍ التزامًا بتعليماتك يا سيدي المُحقق.

-حسنًا يجدر بنا أن نُلقي نظرة الآن لنتأكد بأنفسنا. تعالَ معنا

انضم إليهم البواب وصعدوا جميعًا إلى مكان الشقة، ثم سأله اللورد بيتر ويمسي قائلًا:

-هل صعدت السيدة الأكبر سنًا إلى شقتها في الأعلى؟، سأل المُحَقق البواب.

-أجل يا سيدي المُحقق، لقد صعدت المرأة إلى شقتها في الدور العلوي، وقد رأيت السيدة فورست تطرق بابها ثم فتحت لها الأخيرة على الفور ودخلت معها إلى شقتها، ولم يأتِ إليهما أي شخص آخر لاحقًا بعد ذلك

-حسنًا سنصعد إليهما على الفور، وأتمنى ألا تسمح لأي أحد بالتَطفل علينا لأننا نود قضاء بعض الوقت برفقة السيدتين

أومأ الرجل برأسه بشكلٍ تلقائي

نظر باركر إلى اللورد بيتر ويمسي وقال له:

-من فضلك تذكر يا عزيزي أن السيدة فورست تعرف أن اسمك تمبلتون، كما أنها لا تعرف هويتك الحقيقية، وعلى هذا يجدر بك التصرف على هذا النحو.

وافقه بيتر ثم رن جرس الباب.

مر الوقت من دون أن يفتح أحدهم الباب، على الرغم من أن صوت جرس الباب كان عاليًا جدًا.

-ما الأمر يا تشارلز؟، قالها بيتر

-لماذا لا يفتح أحدهم الباب؟؟، قالها ثم اقترب جدًا من باب الشقة وحاول وضع أذنه ناحيته قدر المُستطاع

-أعتقد أنَّ ثمة خطباً ما يا بيتر! هناك شيء يجري هنا في هذه الشقة!

كان وجهه شاحبًا ثم قال:

-هيا أسرع! يتعيَّن علينا الآن دخول المكان، فهناك شيء يجري في الداخل.

ضربَ باركر الباب بعصاه، ثم هتف صائحًا:

-افتحوا الباب، نحن رجال الشرطة!

وفجأة سمع المُحَقق بيتر ورفيقه صوتاً صاخباً قادماً من الداخل، بدا وكأن أحدهم يسحب كرسيًا خشبيًا أو شيئًا ثقيلًا جدًا مما أحدث ضجيجًا مدويًا كان أقرب إلى صوت سحق شيء ما، وكأن أحدهم يجرجر قطعة من الأثاث من مكانٍ إلى آخر، ثم أعقبه صوت صرخة قوية وحشية.

صاح بيتر قائلًا:
-اقتحم المكان فورًا!
سالَ العرق على وجهه وتبعهُ باركر بخُطى ثقيلة. وقف المُحققون في أماكنهم من دون حراك. أخذت أعينهم تتأمل أرجاء المكان بكل ذهول وصدمة. عانقهم الخوف. كان كل شيء داخل هذا المنزل مُنذرًا بالشؤم. لم يكن هناك أحد. عمَّ الهدوء كل الغرف تقريبًا. حاولوا الدخول إلى كل غرفة على حدة، وحينها أدركوا أن كل الأماكن خاوية فيما عدا غرفة واحدة كانت مُضاءَة بأنوارٍ قرمزية مُريعة. قفز المحقق باركر مُقتربًا من الفراش، فإذا به يجد الكثير من الأشياء المُحطَمة على الأرض.
ها هم جميعًا ينظرون ناحية الفراش الأبيض الذي يتوسط الغرفة ذات الإضاءة الخافتة، فإذا بهم جميعًا يصيحون بصوتٍ واحد:
-يا إلهي! ما هذا!
ثمة امرأة غارقة في دمائها تتمدد في سكينةٍ على الفراش أمامهم. لقد طُعِنَت المسكينة في رأسها ورقبتها. ها هو المُحَقق تشارلز باركر يقترب من الضحية أكثر. ها هو يتأمل جروحها كما أنه يُلقي بنظرة على غرفة الثياب الخلفية، فإذا به يلمح الآنسة ماري ويتكار. يُحدق رجال الشرطة في وجوه بعضهم بعضاً من دون أن ينبسوا ببنت شفة. يُلوح رجل الشرطة البدين مُشيرًا إلى الآنسة ماري التي وقفت أمامهم في عنادٍ وجرأة. عندما دقق اللورد بيتر النظر في تلك المرأة الميتة لمحَ شعرها المستعار إلى جوارها. أجل، إنها هي السيدة كليمبسون صاحبة العيون الزرقاء والتجاعيد البارزة.
يبدو الهلع جليًا على عينيها، وكأنها قد شاهدت شيئًا مُريعًا قد أرعبها قبل أن تقضي نحبها. على الجانب الآخر تقف الآنسة ويتكار التي تحولت في نظر

رجال التحقيق من مجرد امرأة مُشتبَه بها إلى مُجرمة حقيقية.
-سنضع الأصفاد في يديكِ يا آنسة ماري، لقد لعبتِ دوركِ باقتدار!
-عن أي شيء تتحدث أيها المُحَقق؟
-أتحدث عن تلك الجريمة التي أمامنا الآن، لقد حاولت قتل تلك المرأة!
تذمرت ماري ويتكار وكشرت عن أنيابها ثم قالت صائحة:
-أنا لم أحاول قتلها، بل هي مَن حاولت قتلي تلك السيدة المجنونة! لقد هاجمتني فجأة من دون أية مقدمات. تلك العجوز حمقاء. لقد دفعتني وأنقضت عليّ.
-هل هذا كل شيء؟
سألها المُحقق تشارلز باركر
-أُحذركِ من إخفاء أي دليل قد يظهر لاحقًا خلال فترة مُحاكمتكِ!
أخرجَ أحد ضباط الشرطة الموجودين دفتر اليوميات الخاص به، وبدأ يُدَون أهم الملاحظات التي تخص إدانتها.
دخل الطبيب إلى غرفة الجلوس وبدأ في فحص المرأة المُصابة المُمددة على الفراش والتي كانت تنزف نتيجة إصاباتها البالغة، وشيئًا فشيئًا بدأت السيدة كليمبسون تلتقط أنفاسها اللاهثة وقالت:
-أوه! السيد بيتر!، قالتها السيدة كليمبسون في ألمٍ واضح ثم أضافت:
-حمدًا لله أنك قد جئت إلى هنا يا سيدي!
-لا تُرهقي نفسك يا سيدتي، ففي القريب سوف نحصل منكِ على كل الإجابات التي نحن بحاجتها، قالها اللورد بيتر ويمسي
قاطعه المُحَقق باركر ثم سألها على الفور:
-أخبريني يا سيدة كليمبسون من فضلك، ما الذي حدث؟

-لقد قامت تلك المرأة بمهاجمتي وطرحي أرضًا، ثم رأيتها تُمسِك بحقنةٍ مُخدِرة وتقترب مني، كما أنها ضربتني على رأسي بشيءٍ ما وقيدتني في الفراش على هذا النحو، أظن أنني فقدت الوعي لاحقًا، قالتها ثم أعقبت مُضيفةً:

-لقد كان أبي الغالي يقول دائمًا إنني سأُقتَل يومًا خلال تأديتي لتلك المهام.

بدأ المُحَقق تشارلز باركر يتحسس الأرض بيديه، وإذا به يعثر على إحدى الحُقن المُخدرة بالفعل مُلقاة في إحدى الزوايا

تذمرت الآنسة ماري ويتكار ثم صرخت قائلة:

-هذه حقنتي! أستخدمها عندما يُباغتني الألم العصبي، وأعتقد أنه ما من شيءٍ في ذلك على الإطلاق!

في صباح اليوم التالي، تمَّ تقديم الآنسة ماري ويتكار للمُحاكمة بتهمة ارتكاب جرائم قتل الآنسة بيرثا جوتوبيرد، والآنسة فيرا فيندلاتر ومحاولة قتل السيدة كليمبسون، وفي تلك الأثناء كان المُحقق بيتر ويمسي يتناول العشاء برفقة المُحقق تشارلز باركر، بينما كان الأخير يشعر بالإحباط وبالتوتر الشديدين.

-يبدو وكأن تلك المُجرمة شيطانية الطابع يا بيتر، فكيف خططت المجرمة لكل ذلك بهذه البساطة؟

تناقش المُحَققان لساعاتٍ طويلة خلال مكوثهما معًا في إحدى الحانات الصغيرة أثناء تناولهما العشاء.

-أعتقد أنه يجدر بنا أيضًا رغم كل ذلك أن نقوم بجولة استكشافية في الغابات لنعرف بدورنا ما حدث هناك، ربما يكون هناك دليل ما، ربما نجده إلى جوار جثة الآنسة فيرا فيندلاتر.. ربما

-أعتقد أننا قد توصلنا بالفعل إلى حل لغز القضية التي انتهت تمامًا بعد أن

قمنا بإلقاء القبض على الآنسة ماري ويتكار، بعد أن ضُبِطَت مُتَلبسة بمسألة محاولة قتل السيدة كليمبسون ومهاجمتها في شقتها
-ولكن عليك أن تنتبه أيضًا يا عزيزي، إنَّ ما قامت به الآنسة ماري ليس أكيدًا فموت السيدة أجاثا داوسون يخلو من أي برهان مادي على وجود شُبهة جنائية وكذلك لم نضبطها مُتلبسة في أي شيء يُخص جريمة الآنسة فيرا فيندلاتر، المسألة ربما أننا بنينا أحكامنا بناءً على مهاجمتها وضربها للسيدة كليمبسون فقط.
-لو لم يكن لها يَد في كل ما سبق يا باركر لما كانت حاولت أن تقتل مُرشدتنا السيدة كليمبسون. فلو أنها لم تكن تراقبنا لما عرفتها! أضف إلى ذلك أيضًا أن تلك المرأة قد قامت بتغيير شكلها وباستئجار منزل آخر في منطقة بلومزري، وجاءت إلى هنا حتى تتمكن من لعب دورها كما خططت له والعيش بهويتين منفصلتين.
-أتفق معك أيها المُحقق، فقد استطاعت تلك المرأة الخبيثة الماكرة أن تخدعنا جميعًا، لقد وضعت عمتها الكُبرى كامل ثقتها فيها وأرادت أن تمنحها كل شيء بعد موتها لكنها تصرفت بحقدٍ وكراهية.. خططت لقتل المرأة وحقنتْها بنفس تلك المادة المُخدرة التي استخدمتها بدورها في حقن الآنسة فيرا فيندلاتر، ثم قامت أيضًا بحقن السيدة كليمبسون المسكينة بها.
-أخبرني يا بيتر: ماذا عن ذلك السند المالي الذي أرسلته ماري إلى القِس داوسون؟
-لقد فعلت ذلك خصيصًا حتى تجعلنا نتوهم أن القس داوسون شريكها، أو حتى تجعلنا نُشير بأصابع الاتهام إليه وحده.
-وكيف عرفت ذلك؟

-لقد تحققت من الأمر بنفسي، فالسيدة ماري ويتكار قامت بإرسال هذا السند بشكلٍ مفاجىء غير متوقع من أجل توريط الرجل المسكين فيه بشكلٍ أو بآخر

-يا لها من شيطانة! قالها باركر مُضيفًا:

-لقد خططت لعدة جرائم قتل فظيعة، وحاولت أن تُشَتت انتباهنا بإرسال بعض الإشارات الأخرى الضمنية

-ولكن ماذا عن السيدة فورست يا بيتر، أليست شريكتها في الجريمة؟ لقد كانت امرأة مُريبة حقًا!

-في الواقع ليس للسيدة فورست أي علاقة تمامًا بتلك الجرائم مُجتَمعة، فهذا الأمر جاء ضمن خطة الآنسة ماري لتقحم تلك المرأة في الحكاية لتجعلنا نشتبه بها!

رَنَّ جرس الهاتف بغتةً، فهرع المُحقق بيتر للرد على الفور وحينها هتف في فزع:

-ماذا؟ ماذا تقول؟ كيف حدث ذلك؟

ركض المُحقق تشارلز باركر نحوه ثم سأله:

-ما الأمر يا بيتر؟ ما الذي جرى!

-لقد انتحرت الآنسة ماري ويتكار!

توجَّه رجال التحقيق إلى مكانِ الحادث، حيث كانت المرأة مُمَددةً على الأرض، غارقةً في بحرٍ من الدماء، مُصوبةً عينيها إلى الأعلى وكأنها تستغيث من شيءٍ ما. بدا المشهد وكأنَّ هناك أمراً غامضاً، ما الذي حدث فجأةً؟ لقد تبدَّل كل شيء وانقلب المشهد رأسًا على عقب.

ها هي تفترش الأرض في حزنٍ بالغ مودعةً الحياة، بعد أن صعدت روحها إلى الأعلى.

يمضي المُحقق بيتر ويمسي برفقة صديقه تشارلز باركر إلى الخارج بأقدامٍ مرتعشة. يرتعد جسداهما من هول المفاجأة، ويضيعان وسط الظلام الذي يُغطي الأجواء. ثم فجأة بزغَ ضوء قرمزي مهيب وكأنه جاء من العدم ليُضفي مزيدًا من الغموض على المشهد.

يميل اللورد بيتر ناحية صديقه المُحَقق باركر ليسأله بصوتٍ هامِس مُرتَبِك:

-ما هذا الطقس؟ هل هي نهاية العالم؟

